رواية

البرزخ

أحمد ولد إسَلْمُ

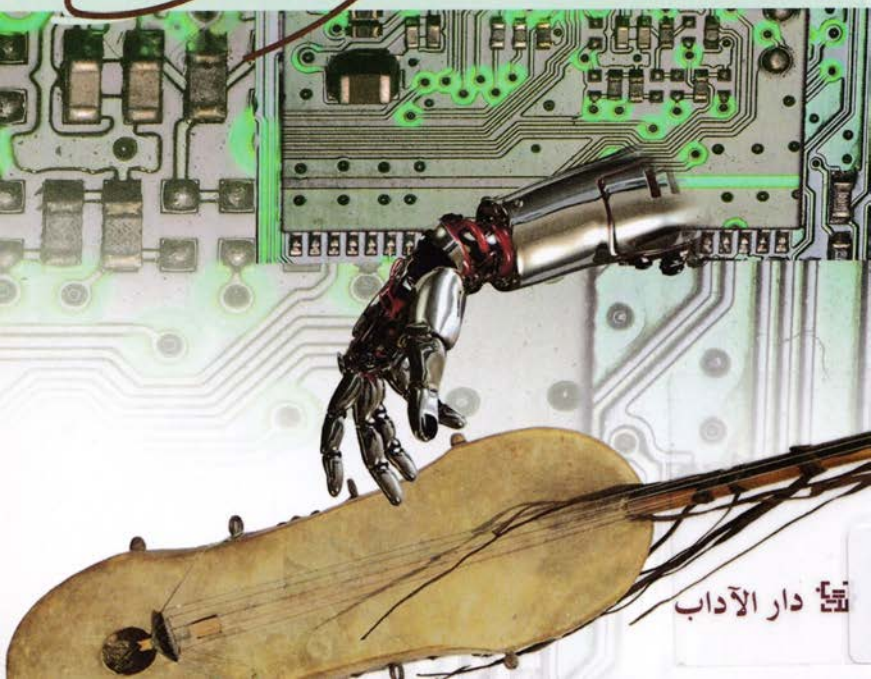

دار الآداب

ياسين

تدور أحداث رواية البرّاني بين عالمَيْن: عالم لا يستطيع الحياةَ من دون الإنترنت، وعالم لم يسمع هذه الكلمة من قبل. وتبحث الروايَةُ إشكالاتِ الهجرة والخصوصيّة الرقميّة، وتنسج خيوط علاقة غريبة بين الموسيقى الموريتانيَّة الموغلة في القدم، وبين برمجيَّات الذكاء الاصطناعيّ المتعالي على قدرات العقل البشريّ.

رحلة تقطع الأنفاسَ في سباق مرير للسيطرة على المستقبل.

أحمد ولد إسَلْمُ: كاتب وصحفيّ موريتانيّ. صدرتْ له رواية بعنوان: حياة مثقوبة، ومجموعة قصصيّة بعنوان: انتظار الماضي.

ISBN: 978-9953-89-716-5

دار الآداب

البرّاني

t.me/yasmeenbook

أحمد ولد إسْلُمُ

رواية

البـرَّانـــي

ياسين
قصص
روايات

دار الآداب ـ بيروت

t.me/yasmeenbook

البرَّاني

أحمد ولد إسَلْمُ / كاتب موريتانيّ

الطبعة الأولى عام 2021
ISBN 978-9953-89-716-5

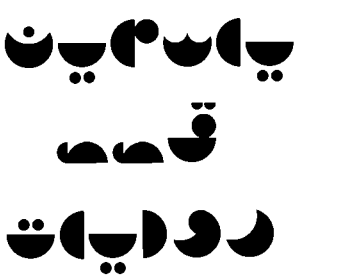

t.me/yasmeenbook

دار الآداب للنشر والتوزيع

e-mail: rana@daraladab.com
info@daraladab.com

/Daraladab @Daraladab daraladab.com

t.me/yasmeenbook

إهداء

إلى الفنَّان العظيم: **الشيخ سيِّد أحمد البكاي ولد عوه**

رحمه الله بكلِّ سرورٍ أدخله إلى قلب إنسان..

وإلى برنامج **البلاغات الشعبيَّة** في الإذاعة الموريتانيَّة

سقى الله أيَّامه

t.me/yasmeenbook

t.me/yasmeenbook

1

سأقتلك..

وصلت الرسالة المؤلَّفة من أربع مفرداتٍ إنجليزيَّة إلى هاتفه قديم الطراز مصحوبةً برنينٍ مزعج أخرجه من سانحة التأمُّل، لم يكن ليأخذها على محمل الجدّ، لولا أنَّ مُرسلها مجهول الهويَّة.

على المسار الأيمن من طريق الرفاهية الذي يُقسم مدينة فيوتسيتي إلى شقَّيْن يتطاولان في الأبراج الزجاجيَّة والكتل الخرسانيَّة، كان يسير بسرعة ستِّين كيلو مترًا في الساعة، وهي السرعة الدنيا في الشارع الذي يعاقب القانون من يعطِّل سالكيه اللاهثين نحو أحلامهم الضبابيَّة، الذين يستيقظون فجرًا على أزيز منبِّهاتٍ مضبوطةٍ أوتوماتيكيًّا في هواتفهم الذكيَّة، ويستمتعون بغفوةِ الدقائقِ التسع الفاصلة بين المنبِّهيْن أكثر من استمتاعهم بالساعات الستّ التي يقتنصونها من رزنامة جداول اليوميَّات المكتظَّة.

سأقتلك..

t.me/yasmeenbook

لو سمع العبارةَ من سائقٍ متهوِّر لما كان لها أيُّ وقع على نفسه، فهو يقود سيَّارته بهدوء على وقع سيمفونيَّة المزامير الغاضبة عن يساره ومن خلفه، وربَّما تسرَّبت إلى مسامعه بعضُ الشتائم المتدفِّقة من أفواهِ مَنْ يرونه يفوِّت فرصهم في الحياة، ببطئه غير المتناسب مع ما يريدون لوتيرةِ ساعاتِ يومهم، وكثيرًا ما ابتسم في وجه النظرات الحانقة التي ترشقه بها العيونُ المحمرَّة من السهر، المُحاطة بهالات الإرهاق السوداء، إلَّا أنَّه لا يكترث.

لكنَّها رسالةٌ نصِّيَّة واضحة ومختصرة بشكلٍ فجٍّ، ووصلت إلى رقم هاتفه الشخصيّ الذي لا يعرفه أكثر من عدد أصابع يده.

واصل قيادتَه وهو يستمتع بترانيم ونغمات الفنَّان الموريتانيّ الشيخ سيِّد أحمد البكاي ولد عوه المنبعثة من شريط الكاسيت القديم غير المتماشي مع طراز سيَّارته، والمُثير لاستغراب كلّ من استقلَّ مركبته التي يُسمِّيها الحازمة. سيَّارةٌ رياضيَّةٌ رباعيَّة الدفع يمكنها الوصول إلى سرعة مائة كيلومتر في الساعة خلال أقلّ من سبع ثوانٍ، لكنَّه يُزيِّن خلفيَّتها بلوحةٍ زرقاء لامعة تشوِّه لونها الأبيض الناصع، وقد كتب عليها باللغتيْن العربيَّة والإنجليزيَّة «أنا لست مستعجلًا، إذا كنت كذلك.. تفضَّل بالتجاوز»، وهي عبارة يمكن لكلّ من يكون على مسافة ثلاثين مترًا خلفه أن يقرأها بوضوح، ولا شكّ أنَّها السببُ الأوَّل لسيل الشتائم التي ترافقه طيلة يومه، فلا مُثير للحَنَق أكثر من سيَّارةٍ كهذه تسير باستعراضٍ مقيت على الخطِّ البطيء، وتُغيظ من خلفها بحثِّه على التجاوز.

يوم طَلَبَ من محلّ زينة السيَّارات طباعةَ العبارة على اللوحة، كان الشابّ يتميَّز غيظًا، فهدير المحرِّك ثماني

t.me/yasmeenbook

الأسطوانات يغري بأيّ شيءٍ إلّا التؤدة، لكنَّه رمقه بنظرةٍ فيها شيءٌ من الاحتقار حين رآه يستلّ شريط الكاسيت وينفث فيه نفخةً خفيفةً، ويضربه بحنان على حافَّة مغيِّر السرعات الأوتوماتيكيّ ثم يُعيده إلى قارئ الكاسيت، ولم يتمالك الشابّ نفسه قائلًا:

ـ حرامٌ عليك، أنت بذلك تعذِّب أوَّلَ من فكَّر في صناعة سيَّارةٍ رياضيَّةٍ في قبره.

ـ على العكس من ذلك، لو كان حيًّا لشكرني على إزاحة قارئ الأقراص المضغوطة ونظام الملاحة واستبداله بقارئ الأشرطة العتيقة.

قُبَيْل المَخرج الواقع بعد مدينة الإعلام للقادم من الشمال، تبدَّت لافتةٌ إلكترونيَّةٌ تقول: أمامك بوَّابة الغبطة، هذا آخر مَخرج قبل البوَّابة. يقرأ هذه اللافتة كلّ يوم ـ ربَّما يكون الوحيد الذي يفعل ذلك، وربَّما الوحيد الذي لاحظ أنَّ لون اللوحة لم يعد لامعًا كما كان قبل عشر سنوات ـ فمن يمرّ تحت البوَّابة الإلكترونيَّة يعني أنَّه مستعجل لدرجةٍ يكون فيها مستعدًّا لدفع خمس تيكوينات لكلِّ بوَّابة، مقابل أن يسلك الطريقَ السريعَ عشريّ المسارات.

ضحك في سرِّه وهو ينظر الجهة المقابلة من الشارع وهي تئنّ تحت وطأة السيَّارات المزدحمة القادم بعضها فجرًا ولم يصل بعد إلى وجهته؛ ومع ذلك، دفع أربعين تيكوين ضريبة للبوَّابات الإلكترونيَّة.

هل تظنّ أنَّ فيوتسيتي كافية لإخفائك؟

t.me/yasmeenbook

رسالةٌ ثانيةٌ بعد الأولى بأقلِّ من دقيقتيْن، شَعَر بتنمُّلٍ خفيف بادئًا من شِقِّ رأسه الأيمن نازلًا إلى ركبته، وخُيِّل إليه أنَّ سرابًا مفاجئًا بات يحول بينه وبين السيَّارة التي أمامه.

انحرف يمينًا إلى الشارع الجانبيّ المُسمَّى محلِّيًّا شارع الخدمات، لم يكن فيه إلَّا عددٌ قليل من السيَّارات بعضُها متوقِّفٌ ليشتري أصحابها قهوةً تعينهم على الاستيقاظ في بداية يومٍ طويل.

أوقف سيَّارته في موقفٍ مدفوع، وأرسل رسالةً نصِّيَّة لاقتطاع الرسوم الكافية لعشر ساعات، ثم صعد إلى الجسر الزجاجيّ العابر فوق نهر السيَّارات الجارف؛ وقف ثلاث دقائق ممسكًا بقبضتيْه القضيب الحديديّ المثبّت على الزجاج المقاوم للكسر، سَرَح لثوانٍ وهو يتابع حركة الميتروهات الأوتوماتيكيَّة التي يعبر اثنان منها السكَّة الممتدَّة على طول المدينة، ويصلان في الوقت المحدَّد، ويتوقَّفان تمامًا حيث يُراد لهما التوقُّف من دون تدخُّل بشريّ، ولا يعبآن بصراخ الرجل المتأخِّر الذي يجرّ حقيبةً ثقيلةً فتغلق أبواب العربة قبل وصوله بجزءٍ من الثانية، لكنَّه جزءٌ سيُجبره على الانتظار أربع دقائق أخرى حتى يصل المترو الموالي، وهو ما يعني بالنسبة له خسارةَ ثروة.

لوهلةٍ خطر له أن يتيقَّن إن كان الزجاج مقاومًا للكسر فعلًا، فضربه بقبضته القويَّة بلا سابق تفكير، لكنَّه تصرُّفٌ لَفَتَ انتباه المارَّة المستعجلين، وآلم يده، ولم يؤثِّر في الزجاج.

لم يكن ماضيه العتيق ممَّا يشرِّفه، لكنَّه خلال السنوات العشر الماضية حاول التخلُّص من كلِّ ما يمتُّ إلى ذلك الماضي بِصِلَة،

t.me/yasmeenbook

ويكاد يجزم ألّا أحد ممَّن سبقت لهم معرفته يستطيع التعرُّف عليه الآن.

لكنْ أن تصل رسالةٌ من مجهول تحمل تهديدًا بالقتل وتحديدًا لمكانه، فهذا أمرٌ لا يمكن تجاهله.

كانت الساعة تُشير إلى السابعة وثلاث وأربعين دقيقة حين ابتسم ابتسامةً بلهاء أمام الماسح الضوئيّ المزوَّد بتقنيَّة التعرُّف على الوجه مسجِّلًا بذلك دخوله قبل سبع عشرة دقيقة من بداية وقت عمله، وهي الدقائق التي يخصِّصها للسلام على حرَّاس البوَّابة والفرَّاشين قبل أن يستقلّ المصعد السريع المؤدِّي إلى الطابق الثامن والتسعين حيث مقرّ قناة 360 نيوز نتوورك.

تحتلّ الشبكةُ الرائدة في التغطيات الإخباريَّة أربعةَ طوابق من ناطحة السحاب دائريَّة التصميم، ويمنح موقعُها المرتفع نسبيًّا من يتجوَّل فيها نظرةً بانوراميَّة لمدينة فيوتسيتي المزدحمة بمئات آلاف البشر ومئات الأبراج.

يبدأ طقسَه اليومي بوقفةٍ لمدَّة ثلاثين ثانية مع كلِّ زميل من الصحفيِّين المداومين، يسألهم فيها عن أحوالهم ويعلِّق على ألوان الملابس وقصَّات الشعر ويستفسر عن المزاج العامّ، ويمنح كلّ من يلتقيه طاقةً إيجابيَّة تستفزّ بعضَ الغارقين في سواد النظرة الحالكة للحياة. يفعل كلّ ذلك بحرصٍ شديد؛ وعندما تلتقي عقاربُ الساعة الثامنة بالضبط، يكون إصبعه فوق زرّ الإدخال لفتح جهاز الكومبيوتر مؤذنًا ببداية ثماني ساعات من العمل المتواصل.

t.me/yasmeenbook

لكنَّه اليوم اكتفى بالتلويح بيده للزملاء المناوبين، وبدا مشوَّشًا وهو يُدخل كلمة مرور حسابه، فاضطرّ لإعادة كتابتها مرَّتيْن، ولم يزد على إلقاء التحيَّة على عارف الكفرنوتي المنتج المناوب الذي يتحدَّث بسرعة أربع كلمات في الثانية، ويستغرق سبع دقائق من كلِّ ساعة في الشكوى من ظروف العمل وغباء الإدارة وجور الطبقة الحاكمة وتعقيد العلاقات الدوليَّة، ويرى أنَّ نهاية العالم ستكون باختفاءٍ مفاجئٍ للأوكسجين أو بتعطُّلِ أنظمةِ البنك المركزيّ، أو أن تكتشف النساء أنَّ أزواجهنَّ لديهم ميولٌ جنسيَّة مخفيَّة، والسيناريو الأسوأ في نظره أن تقرِّر الحكومات التوقُّف عن استخدام نظام باي يور سلف (ادفع لنفسك).

ـ ماذا هناك؟ لا تبدو اليوم على طبيعتك.

سألت ميلسين جانبيور رئيسة قسم التسويق التي تقضي سبعًا وأربعين دقيقةً من وقت دوامها يوميًّا في الاستمتاع بتغزُّل من تمرُّ به من الرجال، وتتعمَّد التكسُّر في مشيتها والانحناءَ بتباهٍ كلَّما سمحت لها فرصةٌ لعرض بضاعتها المزيَّنة بوشمِ وردةِ لوتس تحت عنقها بسبعة سنتيمترات. وتمثِّل له ميلسين كلّ مَا يكره في جنس النساء.

فهي فارعة الطول، إذا خلعت كعبها العالي تصلح لاعبةَ كرةِ سلَّة، ولا يزيد وزنها عن ستِّين كيلوغرامًا، ثلثها في نصفها الأعلى وعشر غرامات موزَّعة بين شفتيْها ووجنتيْها، وعشرون غرامًا ربَّما تنقص إذا غسلت المكياج عن وجهها.

ـ لا شيء..

قالها باقتضابٍ يوحي بعدم الرغبة في مواصلة الحديث.

t.me/yasmeenbook

ـ ربَّما لم أنمْ بما فيه الكفاية ليلةَ البارحة.

لاحَظَ أنَّه لمس لاإراديًّا هاتفه القديم في جيبه الأيمن.

ـ مختور ولد احويبيب لم ينمْ بما فيه الكفاية... هذا عنوانٌ جاهز لنشرة التاسعة..

قالتها بشهقةِ غوايةٍ مرفقة بضحكةٍ لا تتماشى مع أسنانها اللامعة تحت ضوء مصابيح غرفة الأخبار التي لا تنطفئ أبدًا، ورمقت عارف الكفرنوتي بنظرةٍ، مستجديةً تعليقًا منه، غير أنَّه كان على وشك الذوبان وهو يتأمَّل وردة اللوتس، ولم يزد أن ضحك ببلاهة من دون تعليق.

ـ لاحظي أنَّكِ استغرقت سبعًا وثلاثين ثانية من وقت الشبكة في أمورٍ لا علاقة لها بالعمل.

ـ أنت فعلًا لست بخير اليوم.. عمومًا، جئت لأُخبرك أنَّ السيِّد حطَّاب العنطلاوي المدير العامّ للشبكة يريدك في مكتبه، حاول الاتِّصالَ بك باكرًا، لكنْ هاتفك مغلق كالعادة.

ـ لا شكَّ أنَّه اتَّصل بي قبل الثامنة.. على أيِّ حال، رأيت رسالته وسأكون في الموعد.

كان الكفرنوتي يحترق سخطًا من أمريْن: أوَّلهما كيف يعامل هذا الجلفُ البدويّ حسناءً كهذه بهذا البرود؛ والأكثر إغاظةً له، كيف يتَّصل العنطلاوي بمختور ولا يردّ. فاتِّصال المدير العامّ للشبكة بشخصٍ ما نعمةٌ في نظره، من لم يشكرها بالردّ الفوريّ ـ حتى ولو كان في غرفة الإنعاش ـ فإنَّه يستحقّ عقابًا أليمًا، لا يقلّ عن تسريبِ كلمة سرٍّ هاتفه إلى زوجته.

t.me/yasmeenbook

2

«إنَّ الوقت هو الإلٰه الذي يعبد أهلُ زماننا، هو المقدَّس الأعظم، هو الثورة الحقيقيَّة التي تحقِّق العدالة بين كلِّ طبقات المجتمع، فلا سلطة لأحد عليه، انتهى زمن العبوديَّة الوظيفيَّة».

إنَّ الإنسان اليوم حرٌّ بتقاضيه الأجر العادل لقاء ما يقوم به من جهد.

لم يعد هناك مجالٌ للتفاوت الطبقيّ ولا للمحسوبيَّة، فلا أحدٌ يملك جعْلَ الدقائق تمرُّ أسرع أو أبطأ من سرعتها الكونيَّة، واليوم أربع وعشرون ساعة في كلِّ بقعةٍ من هذا الكوكب، والتنافس بين البشر مفتوح، فمن شاء عمل منها عشرًا، ومن شاء عمل عشرين، ومن شاء قضاها متقلِّبًا على جنبيْه.

مع اعتماد نظام «باي يور سلف»، تحقَّقت أسمى قيمةٍ كان الإنسان يطمح إليها منذ بداية وجوده، قيمة العدل.

t.me/yasmeenbook

اليوم، لا يستطيع مديرٌ محاباةَ موظَّف، ولا سكرتيرة إغواءَ مدير، ولن يحصل موظَّفٌ على علاوةِ عملٍ إضافيّ لم يقدِّمه، فالنظام قائم على الربط الآليّ بين الحسابات الماليَّة للشركات وبين نظام مراقبة الأداء، ومع أيِّ خروجٍ من مقرِّ العمل ستصل محفظةُ الموظَّف فورًا قيمةَ ما بذله من جهد خلال الدقائق السابقة.. هل هناك عدلٌ أشملُ من هذا.. أليس هذا تحقيقًا لمأثور «اعطِ الأجير حقَّه قبل أن يجفّ عرقه».

انطلقت عاصفةٌ من التصفيق في كلِّ الشاشات المتدلِّية من جنبات غرفة الأخبار، فجميعها تنقل خطابَ حمُّود الجملودي مؤسِّس نظام «باي يور سلف ـ ادفع لنفسك» ورئيس البنك المركزيّ في فيوتسيتي.

صاحبت التصفيقَ صافراتٌ خافتة لأنظمة التنبيه على الأخبار العاجلة في أجهزةِ الصحفيِّين والمنتجين، وكان مختور يُرسل آخر خبرٍ عاجل إلى الشاشة متزامنًا بشكلٍ آليٍّ مع سرعة خطاب الجملودي.

ـ أستغفر الله العظيم، كان يمكن إيجاد تعبيرٍ آخر غير الإلٰه ليصف به الوقت.

همهم عارف الكفرنوتي بنبرةٍ هامسة حرَّكتها فطرتُه العربيَّة، وحجبها خوفه من عدم موافقتها هوى الجمهور الذي بدا كلُّه متحمِّسًا لهذا الإنجاز التاريخيّ، فأقلُّه أنَّ النظام الماليّ العالميّ صار يعتمد فلسفةً مصدرها عربيّ، وتبدو قابلةً للتسويق ومتماشيةً مع متطلِّبات الحياة المعاصرة.

t.me/yasmeenbook

ـ ما رأيك يا مختور؟

قال حطَّاب العنطلاوي وهو يضع يده على منكب مختور في حركة تشجيعٍ وإعجابٍ بسرعته الفائقة في تغطية كلمة الجملودي، والتي أخرجته من مكتبه إلى غرفة التحكُّم ليعرف المنتج المناوب على الهواء الذي يتمكَّن من كتابة المقتطفات على الشاشة بسرعةِ كلامِ المتحدِّث.

ـ رأيي في ماذا؟

ـ في ما قاله الجملودي عن النظام الماليّ العالميّ الجديد؟

ـ في لحظات التسويق يختار المديرُ الجيِّد كلماتِه بعناية.

ـ ألا توافقه الرأي؟

ـ لم يستشرني في الأمر، ما رأيك أنت إذا كان استشارك؟

شعر العنطلاوي بإهانةٍ مبطَّنة في سؤال مختور، وغذَّت ذلك الشعور ضحكةٌ مكتومة ندَّت من مهندس إضاءة يجلس في زاويةِ غرفةِ التحكُّم ما لبث أن أخفاها بافتعالِ العطاس حين نظره العنطلاوي شزرًا.

ـ عمومًا شكرًا لكم على التغطية المميَّزة، كانت عواجلكم تصل قبل عواجل أكبر وكالات الأنباء العالميَّة، وأنت يا مختور أنتظرك في المكتب بعد ساعةٍ وعشرين دقيقة.

ـ سأكون هناك.

قالها مختور من دون النظر إلى العنطلاوي، وواصل تدقيق ملخَّص الخبر الذي سيقرأه المذيعُ تمهيدًا لضيفٍ سيعلِّق على خطاب الجملودي.

t.me/yasmeenbook

نظر الجميع إلى العنطلاوي وهو يسدّ بجسده الممتلئ باب غرفة التحكُّم لدى خروجه، ثم نظروا جميعًا إلى مختور نظراتٍ تحمل تأييدًا ضمنيًّا، ومنهم من رفع إبهامه تشجيعًا من دون أن ينبس بكلمة.

تجاهل نظراتِهم وأعطى أمره للمذيع عبر جهاز التواصل الداخليّ بقراءة الخبر المحدث، ثم أخبر المخرج أنَّ الضيف سيكون تاليًا للخبر، وواصل تبديلَ مقتطفاتِ الخطاب على الشاشة بمعدَّل خمس ثوانٍ لكلِّ مقتطف.

وخلال ترحيب المذيع بالضيف، أخرج مختور هاتفه القديم الطراز، ضغط أزراره بشكلٍ عشوائيّ ثم أعاده إلى جيْبه، وواصل الاستماع إلى كلام الضيف مسندًا المذيع عبر جهاز التواصل الداخليّ بأسئلةٍ تثري المقابلة، وطالبًا من المخرج وضعَ صُوَر خطاب الجملوديّ في الخلفيَّة مع الاستعداد للانتقال إلى الصور المسجَّلة حين يغادر المنصَّة أو ينقطع البثّ المباشر.

ـ يا مختور.. يا مختور.. يا ولد احويبيب.. كان صوت عارف الكفرنوتي يصرخ بما يشبه الاستغاثة.

ـ ماذا هناك؟

ـ انظر البريد.. وصلت رسالةٌ غريبة.

فتح مختور البريد، فإذا رسالةٌ من عنوانٍ غريب تحمل ملفّ فيديو مرفقًا، ونصًّا مختصرًا يقول: تصلك هذه الرسالة لأنَّك معنيٌّ بها، تتضمَّن بيانًا مصوَّرًا من حركة «لا تبع وقتك» تعليقًا على خطاب السيِّد حمُّود الجملوديّ بشأن اعتماد نظام «ادفع

t.me/yasmeenbook

لنفسك».. يرجى الاطِّلاع عليها.

لم تكن تظهر في الرسالة قائمةُ المتسلِّمين، ويبدو عنوانُ المرسل كأنَّه عنوانُ المستقبل.

ـ هل سمعت بهذه الحركة من قبل.. سأل الكفرنوتي وقسمات وجهه متضاربةُ الملامح بين الاستغراب والغبطة والخوْف.

ـ لم أسمع بها من قبل، ويبدو العنوان مشبوهًا؛ اتَّصل بالقسم التقنيّ للاطِّلاع عليها قبل فتحها.

ـ فتحتها، الڤيديو غريب؛ خمس وأربعون ثانية لمتحدِّثٍ مشوَّش الصوت يرتدي قناعًا لساعةٍ بلا عقارب.. هل سبق أن رأيت رمزًا كهذا؟

ـ هل ما زال مختور في غرفة التحكُّم؟ سأل العنطلاويُّ الذي بدا يلهث وكأنَّه مصدومٌ من محتوى الرسالة، ولم ينتظر تعامل الفنِّيِّين معها.

ـ نعم ما زلت هنا، أجاب مختور بصوتٍ مسموع، ولكنَّه ثابت النبرة لا يشي بأيِّ خَوْف.

ـ ما رأيك في الرسالة، هل نتعامل معها؟

ـ لم أشاهد البيان، وقرارُ التعامل معها أنتم من تتَّخذونه.

ـ دَع المنتج المساعد يستكمل التغطية، وتعال معي أنت والكفرنوتي إلى غرفة الاجتماعات.

«.. إنَّ إعلان الجملوديّ اليوم اعتماد «ادفع لنفسك» نظامًا عالميًّا للتعامل بين الشركات والموظَّفين لا يُعدُّ تجلِّيًا بشعًا

t.me/yasmeenbook

للرأسماليَّة المتوحِّشة فقط، بل انتهاكًا صارخًا للحقِّ البشريّ في الحياة بكرامة.

لم يقف الجشع الرأسماليّ عند استعباد الإنسان بتحويله إلى آلةٍ تعمل لتعيش، وتعيش لتعمل، بل يتجاوزه اليوم إلى اعتبار حياته مجرَّد عملةٍ رقميَّةٍ لتكريس مزيدٍ من الثروة الوهميَّة في مَحافظ ملَّاك الشركات الكبرى بالإمعان في إذلال الموظَّفين، تمهيدًا للاستغناء عن الإنسان، وكسرًا للدورة الاقتصاديَّة البشريَّة التي قامت عليها سُنَّة الحياة، معتمدةً على أجرٍ مقابل جهدٍ يقدِّم منتجًا.

إنَّنا في حركة «لا تبع وقتك» نؤكِّد للجملوديّ ومن يقف وراءه أنَّ إلٰه الوقت الذي يُعبد لن يمنحه ما يكفي من الزمن لتحقيقِ مآربهِ والردّ ما سيرى».

قطَّب مختور جبينه الأسمر بقوَّة راسمًا مستطيلًا من التجاعيد على ناصيته، وأغمض عيْنه لثانيةٍ وحكَّ لحيته المخضَّلة شيبًا، فبادره العنطلاويّ:

ـ إيه! ماذا ترى؟

ـ هل يمكن الرجوع إلى بثّ الصور المباشرة من خطاب الجملوديّ لحظةَ نزوله من المنصَّة؟

ـ نعم، إنَّها هنا. كنت أشاهده في البثِّ الحيّ على الموقع، فتح الكفرنوتيّ والعنطلاويّ هاتفيْهما كأنَّهما يتسابقان إلى يد مختور: انظر.. قالاها معًا.

حرَّك مختور مؤشِّر الفيديو ليتوقَّف عند لقطةٍ لا يكمل طولها

t.me/yasmeenbook

ثانيةً واحدة، ويكبِّر الصورةَ فتظهر على هاتف الجملوديّ صورة مطابقة للصورة الظاهرة في البيان المجهول.

ـ كيف استطعت التقاطها..؟

قالها العنطلاويّ وهو يفتح عينيْه على سعتهما محاولًا إخفاء إعجابه وإبداء اندهاشه.

ـ الثانية الواحدة تحتوي خمسًا وعشرين صورة، من المعيب لمن كان مثلي أن لا يستطيع التقاط واحدةٍ منها على الأقلِّ.

لم يخفَ على الكفرنوتيّ انتهاز مختور لهذه اللحظة الفريدة، فقال بصوتٍ لا يخلو من امتعاض.. يا ابن اللزين.. مبدِّلًا الذال زاء في لكنةٍ مصريَّة خالصة.

فتحتِ الحسناءُ القادمةُ من أروقةِ السوربون بابَ غرفة الاجتماعات متكسِّرةً في مشيتها، تميل رأسها في حركة إغراءٍ واضحة بزاويةِ خمس عشرة درجةٍ إلى اليمين، وكان عطرها الفوَّاح رسالتها التحذيريَّة باقتحام خلوةِ صانعي القرار التحريريّ.

لحظة يا ميلسين... قال العنطلاويّ من دون رفع بصره عن صورة هاتف الجملوديّ وشاشته الممتلئة بشعار «ساعة بلا عقارب»، فيما كان الكفرنوتيّ يلتهم بعينيْه زهرةَ اللوتس من دون تحفُّظ، ومن دون انزعاجٍ ظاهرٍ من الآنسة جانبيور ـ كما تُفضِّل أن تُنادى في الاجتماعات الرسميَّة.

ـ أعتقد أنَّ سياستنا التحريريَّة واضحةٌ في هذا الباب، فليس من عادة 360 نيوز نتوورك أن تنشر بياناتٍ مجهولةَ المصدر والهويَّة.

t.me/yasmeenbook

قال مختور وهو يحاول استكشاف تفاصيلَ إضافيَّةٍ في الصورة الظاهرة على هاتف الكفرنوتيّ الغارق في عالمٍ آخر:

ـ لكنْ، لكلِّ حدثٍ كبير أطرافٌ تُظهر ردَّة فعل أوَّل مرَّة، لا يعني ذلك أن نتجاهلها لمجرَّد أنَّها لم تكن معروفةً أو مؤثِّرة لحظة وقوع الحدث.

تجلَّى التردُّد واضحًا في كلام العنطلاويّ وكأنَّه يحتاج من يُخرجه من هذا المأزق الإداريّ، فمن جهة لا يرغب أن يكون في واجهةِ معارضةِ نظام «ادفع لنفسك»، ومن جهةٍ أخرى، يحتِّم عليه موقعه وخبرته الإعلاميَّة أن يتَّخذ قرارًا فوريًّا، والوقتُ لن ينتظره.

استفاق الكفرنوتيّ من سكرته العابرة بوشم الآنسة جانبيور، وأراد تسجيل موقفٍ يذكره له العنطلاويّ، ويظهر فيه أكثر جدِّيَّة من مختور:

ـ الرأي عندي أن نستمع مرَّةً أخرى للرسالة بتمعُّنٍ بصريّ، ونرى إن كانت وكالات الأنباء العالميَّة ستتعامل معها، فلا شكّ أنَّها وصلت إليها ما دامت وصلت إلى هاتف الجملوديّ لحظة نزوله من المنصَّة.

ـ شركات الإعلانات تزدحم في طابور على هواتف القسم، وتضارب على أسعار ظهور منتجاتها على الشاشة خلال تغطية الحدث. أحتاج قرارًا منكم بالمساحة المتاحة زمنيًّا.

قالت ميلسين وهي لم تبرح بعدُ بابَ الغرفة الموارب ملوِّحةً بهاتفها الذكيّ في يدها وقائمة من المكالمات الفائتة على شاشته،

t.me/yasmeenbook

ثم أرجعت ذقنها إلى الوراء باستغراب متمعِّنةً في الشاشة، وقالت بصوتٍ يخلو من الأنوثة:

ـ كم الساعة؟

بادر العنطلاويّ والكفرنوتيّ إلى شاشتَيْ هاتفيْهما، فيما نظر مختور إلى شاشة الكمبيوتر المعلَّق على الحائط، وقال الجميع بصوتٍ واحد:

ـ التاسعة وسبعٌ وثلاثون..

ـ كيف يكون ذلك وقد كنت في مكتبي قبل دقائق!

نظر الجميع بزوايا مختلفة إلى الساعات الموزَّعةِ على جدرانِ غرفة الأخبار، وفيها مؤقَّتٌ بالثواني يستحثّ الصحفيِّين على الاستعجال في إنجاز مهامّهم، لكنَّها جميعًا بدت متيبِّسة عند 09:37:21.

ـ واااوْ.. هذا غريب! كيف تتوقَّف الساعاتُ كلُّها في وقتٍ واحد؟

t.me/yasmeenbook

3

عندما فتح مختور عينيْه أوَّل مرَّةٍ قبل ثلاث عشرة سنة، كان المشهد غايةً في الحياد، سقفٌ أبيض في غرفةٍ شديدة الإضاءة بجناح العناية المركَّزة بمستشفى بطرس الرسول الخيريّ على جادَّة فرونزوسكي بموسكو.

لم تتحمَّل عيناه المغمضتان منذ سبع سنوات سطوعَ الإضاءة، وحين أغلقهما لم تكن في ذهنه أيُّ صورةٍ أخرى، مرَّت مدَّة من الزمن لا يعرف مداها قبل أن تصل إلى مسامعه رطانةُ ممرِّضة تتحدَّث مع شخصٍ آخر، ولم يفهم كلمةً ممَّا تقول.

أدرك بعد مدَّةٍ أنَّ الممرِّضة كانت تصف حالته بالمعجزة، وتشكر الربّ على أنْ منحها فرصة مشاهدة معجزة تحصل على يدها.

كان قلبه منتظمًا وكلّ أجهزته الحيويَّة تعمل بكامل طاقتها، غير أنَّ ذاكرته فارغةٌ تمامًا، لا يذكر أيَّ شيءٍ على الإطلاق، لا

t.me/yasmeenbook

يعرف أيّ شيءٍ عن أيّ شيء. طفلٌ خرج من رحم الحياة بهيئة رجل في منتصف الثلاثينيَّات.

وضعت الممرِّضة ظاهرَ يدها على جبينه لقياس حرارته، كان ملمسها ناعمًا، وشعر بحرارة يدها تنتقل عبر أجزاء جسده، ففتح عينيْه مرَّة أخرى ليراها مبتسمةً في ردائها الأبيض الكامل مغطِّيةً رأسها بحجاب الراهبات، وعيناها مغرورقتان بالدموع، وتتمتم بعباراتٍ بدتْ كأنَّها مزيجٌ من الهمس والهمهمة.

ثم تحلَّق حوله أشخاص آخرون، منهم نساءٌ على هيئتها، ورجلٌ أشيب عليه وقارُ العلماء ويحيط عنقه بمجسٍّ ذي سمَّاعات.

أدرك الجميع أنَّ معجزتهم لا يفهم ما يقولون، وكان ذلك متوقَّعًا، فحين قدم إلى المستشفى كان جثَّةً هامدة لا تحمل أيَّ معطياتٍ سوى ورقةٍ مكتوبةٍ بخطٍّ عربيٍّ فيها ثلاث كلمات «مختور ولد احويبيب»، سلَّمها مستشفى موسكو العامّ لمندوب مستشفى بطرس الرسول الخيريّ، حين قرَّر الاعتناء به.

كان الرجل الوقور يتقدَّم خطوةً بانحناء على رأس مختور، ويقول: السلام عليكم.

لمعت عيْنا مختور كأنَّ العبارة أيقظت شيئًا نائمًا في عقله.

أضاف الدكتور بلغةٍ عربيَّةٍ فصيحة:

ـ اسمي آليكسي ريابوفيتش أنا الطبيب المشرف على حالتك. إذا كان هذا الكلام مألوفًا بالنسبة لك فحرِّك رأسك.

كان آليكسي يُخرج الحروف العربيَّة بتأنٍّ لافت، ويسند كلامه

t.me/yasmeenbook

بحركة يديْه ورأسه، وجميع من حوله بحالة صمتٍ مطبق.

أتقن الدكتور آليكسي ريابوفيتش اللغة العربيَّة بعدما أمضى سنواتٍ طويلةً في بعثاتٍ تبشيريَّة بالعالم العربيّ، وأكمل عدَّة دوراتٍ تعليميَّة للغة العربيَّة في كلٍّ من سوريا والعراق واليمن الجنوبيّ قبل اتِّحاده مع الشمال.

حرَّك مختور رأسه قليلًا إلى الأمام والخلف.

ـ جيِّد.. الآن سأطلب من الجميع مغادرة الغرفة وسأبقى معك أنا فقط، هل هذا يناسبك؟

لم يبدُ على وجه مختور أيُّ أثر لكلام الدكتور الملتحي، لكنَّه أغمض عينيْه وفتحهما ثم أغمضهما.

طلب الدكتور من الجميع مغادرة الغرفة، وسَحَب كرسيًّا ذا عجلات، وصار على مقربةٍ من مختور.

ـ من الطبيعيّ أن تعاني من فقدان ذاكرتك بعد غيبوبةٍ طويلة، لكنَّك في أيدٍ أمينة. نحن في مستشفى بطرس الرسول الخيريّ ستتكفَّل بكلِّ ما تحتاجه، هل يمكن أن تحرِّك يدك؟

قال آليكسي وهو يمرِّر سبَّابته على يد مختور التي كانت مبسوطة، فتحرَّكت لاإراديًّا قابضةً على سبَّابة آليكسي بقوَّة.

ـ جيِّد.. لا تخفْ أنت بخير وجهازك العصبيّ قد عاد إلى العمل، سأضع يدي تحت رأسك لمساعدتك على الجلوس.. اتَّفقنا؟

جلس مختور وبدأ يجيل نظره في الغرفة الضيِّقة متأمِّلًا المعدَّاتِ الطبِّيَّة ووجهَ آليكسي من دون أن يفتح فمه.

t.me/yasmeenbook

رفع الدكتور يده محرِّكًا سبَّابتها يمينًا وشمالًا، فتبعتها عينا مختور. وضع يده على صدر مختور العاري والمزوَّد بثماني لصقات تتدلَّى منها أسلاكٌ كهربائيَّة، وجعل يده الأخرى خلف رأسه محاولًا إعادته إلى وضع الاستلقاء، لكنَّه أبدى مقاومةً لذلك.

ـ لا تريد أن تستلقي، لا مشكلة... هل تحبّ أن تجرِّب الوقوف؟

لم يجب مختور، لكنَّه لم يُبْدِ معارضةً ظاهرة، فأزاح الطبيب الرداء الذي يغطِّي رجليْه، وحاول تحريكهما باتِّجاه جانب السرير، لكنَّ مختور كان متجاوبًا وأنزل رجليْه فورًا، فشعر كأنَّ محتوياتِ الغرفةِ تتحرَّك من مكانها.

ـ بهدوء.. بهدوء.. ابقَ واقفًا لثوان.. جسمُك لم يتحرَّك منذ مدَّةٍ طويلة، انظر إلى رجليَّ، تحرّك هكذا؛ قَدِّم رِجلًا واعتمد على الأخرى ثم قدِّم الثانية واعتمد على الأولى.. سأُمسك بيديْك. لا تخف السقوط.

ـ الأربطة المطَّاطيَّة على ساقيْك كانت تساعد دورتك الدمويَّة في الحركة، لولاها لتصلَّبت شرايينك.

تقدَّم مختور خطوتيْن وعيناه مغمضتان، ثم فتحهما ووقف متصلِّبًا، لم يستحثُّه آليكسي على التحرُّك، لكنَّه أومأ برأسه باتِّجاه السرير، فتحرَّك مختور إلى الوراء عائدًا إلى السرير، وجلس ورجلاه متدلِّيتان كأنَّه يهمّ بالوقوف.

ـ هل تتذكَّر أيَّ شيءٍ ممَّا حدث معك من قبل.. هل الكلام الذي أقوله مفهوم بالنسبة لك؟

t.me/yasmeenbook

حاول مختور أن يحرِّك شفتيْه، وفتح فمه، لكنَّ حنجرته لم تحدث صوتًا، ثم أغمض عينيْه وفتحهما وأبقى فمه مفتوحًا، وصدرت أصواتٌ معظمها من صدره، لم يفهمها آليكسي في البداية، لكنَّ مختور ظلَّ يكرِّرها؛ ومع محاولته الرابعة، جاءت كلمة لا إلٰه إلَّا الله واضحة.

فغر آليكسي فاه باستغراب.. لكنَّه استدرك الأمر قائلًا:

ـ ليست تلك أكبر إشكاليَّاتك الآن..

صبَّ آليكسي جرعةَ ماءٍ في كأسٍ سعتها عشرة سنتيلترات، وارتشف أمام مختور ثم تجرَّعها بهدوءٍ، ومدَّ إليه كأسًا أخرى بالحجم ذاته مشيرًا عليه بشربها.

أمسك مختور الكأسَ الصغيرةَ ورفعها إلى فيه، فانساب منها قليلٌ على شفته، لكنَّه أفرغها ولم ينزلها إلى حلقه. صبّ آليكسي كأسًا أخرى وتجرَّعها بصوتٍ مسموع، فقلَّده مختور.

ـ لستَ مضطرًّا لإصدار صوتٍ مع البلع.. لكنْ لا مشكلة، افتح فمك هكذا لأرى حلقك، قل آآه... تبدو بشكلٍ جيِّد... الآن استرح قليلًا.

دخلتِ الممرِّضةُ المحجَّبة إلى الغرفة حاملةً كيسًا بلاستيكيًّا عليه شعار المستشفى، ووضعته على السرير، وتبادلت مع الدكتور كلامًا غير مفهوم، ثم أخرجت جهازَ ووكمان وشريطَ كاسيت وسمَّاعة.

ـ سأضع هذه السمَّاعة في أذنيْك، وستسمع صوتًا ربَّما سمعته من قبل.

t.me/yasmeenbook

قال آليكسي ذلك وهو يضع السمَّاعة في أذنيْه، ويقدِّم الشريط إلى الأمام محاولًا معرفة محتواه، كانت مقطوعةً موسيقيَّةً لم يسمعها من قبل. نزع السمَّاعة من أذنيْه، وجعل أحد طرفيْها في أذن مختور وترك الثاني متدلِّيًا، ثم شغَّل الشريط.

ضيَّق مختور عينيْه قليلًا، ثم أمسك الطرف المتدلِّي ووَضَعه في أذنه الأخرى مقلِّدًا حركة آليكسي.

أغلق مختور جفنيْه بحركةٍ بطيئةٍ، ثم ارتسمت ابتسامةٌ صغيرة على شفتيْه، ولمعت صورةُ امرأةٍ تضحك في ذهنه.

كان صوت الفنَّانة الموريتانيَّة ديمي بنت آبه ينساب في كيانه وهي تردِّد:

ضحكت فالة تنزاه العين.. لا إلٰه إلَّا الله

المليك الحقّ المبين.. المستغني عمَّا سواه

نزع آليكسي أحد طرفَي السمَّاعة ووضعه في أذنه من دون أن يظهر على وجه مختور أنَّه منزعجٌ من ذلك.

كان صوت الفنَّانة يكرِّر في غنائيَّةٍ عذبة: لا إلٰه إلَّا الله.. المليك الحقّ المبين.. المستغني عمَّا سواه..

أرجع السمَّاعة إلى أذن مختور، وجلس يتأمَّله وهو غارقٌ في عالمٍ لا يبدو قريبًا أبدًا من جادَّة فرونزوسكي، ثم التفت إلى الممرِّضة المحجَّبة التي كانت تمسح دموعها بطرف ثوبها وتغالب الابتسامة.

ـ دعيه يستمع إلى الموسيقى، فيبدو أنَّها كانت آخر ما سمع

t.me/yasmeenbook

قبل الحادثة، لا تحاولي الضغط عليه، ولا تتكلَّمي معه بالروسيَّة، فلن يستجيبَ لك.

جلست الممرِّضة تجيل سبَّحة كهرمان في يدها، وتمتم بعباراتِ شكرٍ للربِّ على منحها شرفَ معاينةِ معجزة قيامة شخصٍ من الموت، كانت تتأمَّل وجه مختور الحليق الأسمر، وبشرته الناعمة التي طالما سحرتها خلال سنوات العناية به.

نظرت إلى شامةٍ سوداء تحت عيْنه اليسرى، فبدت لها كعلامة مميَّزة لا شكَّ أنَّها قد تفيد في تحديد هويَّته، فهي العلامة الوحيدة في وجهه، وليس في باقي جسده أيُّ خدش.

سألت نفسها عن شعوره لو عرف أنَّها كانت تعتني بتنظيفه مرَّتيْن في الأسبوع، وتتولَّى كلّ شؤونه بما فيها حلاقة شعره الداخليّ، وأنَّها تحفظ كلّ تفاصيل جسده، وطالما سهرت ليالي طوال وهي تجدِّد توبتها من إثم الافتتان به حين يكونان وحدهما.

كانت تسمِّيه جوزيف تيمُّنًا بالنبيّ يوسف الذي نجا من البئر والسجن، وصار مَلِكًا عادلًا، وفاتنًا أيضًا.

قاومت رغبتها الملحَّة في بدء محادثةٍ معه، ولكنَّها تذكَّرت وصيَّة الدكتور بعدم الضغط عليه، كانت لديها أحاديث كثيرة تريد مشاركتها معه، وأكثر ما كان يؤرِّقها هو خوفها العميقُ من أنَّه كان يسمع ما تقول حين تهمس له برغباتها الدفينة متيقِّنةً من غيابه عن الوعي، ومتجاوزةً أخلاق الممرِّضة وضوابطَ قواعدِ الكنيسة والمستشفى معًا، لكنَّ بشريَّتها تطغى أحيانًا على رهبنتها، فتعاقب نفسها بعد كلِّ مرَّةٍ بجلساتِ تطهيرٍ قاسية، تحرم فيها نفسها من الأكل وتركع على الحصى مستغلَّة إخفاء ملابسها الفضفاضة

t.me/yasmeenbook

لِرِكَبها السوداء من أثر التطهير.

الإغلاقُ المفاجئ لجهاز الووكمان عند انتهاء وجه الشريط أخرج مختور من استغراقه، ففتح عينيْه فزِعًا، مستغربًا وجوده في هذا المكان بعيدًا عن الصور التي كانت تتوارد على ذهنه مع كلِّ مقطعٍ غنائيٍّ للفنَّانة ديمي بنت آب.

فالعالم الذي كانت تأخذه إليه الأغاني عالمٌ خالصُ النقاء؛ ليس فيه أيُّ شيءٍ ممَّا يُرى في الصورة البادية أمامه، كانت الأغاني تتحدَّث عن مجالس أُنْسٍ وعن صحراءَ وقمرٍ ونجومٍ وخيامٍ من الوبر والصوف، وجِمالٍ ترتع، وعشَّاقٍ يتواعدون سرًّا، ونباتاتٍ صحراويَّة، وليس فيها شيءٌ ممَّا في هذه الغرفة الغريبة.

ـ أين أنا..؟ من أنا؟.. من أنت؟

قال مختور الكلماتِ الستّ بتقطُّع بطيء وبلغةٍ عربيَّةٍ فصيحة، جعلت الممرِّضة تقفز واقفةً مردِّدةً عباراتِ شكرٍ باللغة الروسيَّة لم يُبْدِ مختور أيّ تفاعلٍ معها، ثم تذكَّرت وصيَّة الدكتور.

ـ أنت في مستشفى بيترس الرسول في موسكو.

حاولت أن تستعيد مخزونها المعرفيّ من اللغة العربيَّة التي تعلَّمتها في معهدٍ بالقاهرة، واستخدمتها خلال بعثاتها التبشيريَّة في الدول العربيَّة، لكنَّها لم تتعوَّد الحديثَ بها.

ـ أنا اسمي أولغا.. أنا ممرِّد في مستشفى في موسكو.. أنا يأتني بك سنوات كسير. أنا يخاول الكلام باللغا آرابيا لكنْ أنا لا يارف الآرابيَّة جدًّا.

ابتسم مختور ابتسامةً واسعة جعلت أسنانه البيضاء تظهر كاملةً

t.me/yasmeenbook

مرصوفةً ونظيفةً تحت لثَّةٍ قويَّةٍ ومتماسكة بفعل التنظيف اليوميّ لها من طرف أولغا.

ـ هل يمكن أنا يكلِّم الدكتور آليكسي هو يارف آرابيا آخسن.

ـ لا مشكلة، أستطيع أن أفهم ما تقولين.. هل تعرفين من أنا؟

ـ أنت مختور والاد اخويبيب.. أنت جاء هنا قبل سنوات كسير..

ـ مختور ولد اخويبيب؟! هل يزورني أحد هنا..

ـ لا.. أنت كنت كبل في مستشفى موسكو الخكومة لكن مستشفى بيترس الرسول جاء أنت هنا لأنَّ مستشفى... ما يدفع المال.

ـ ماذا تعرفين عنِّي.

ـ كل شيء لا شيء.. أنا يأتني بك سابأ سنوات وأنا بخث عن أنت لكن لا يوجد أخد يارف شيء أنت جاء مستشفى ماءا هدا الكيس.. وملابس ووركة فيها اسم أنت.

ـ ألم يخبركم مستشفى الحكومة من أين جئت إليهم؟

ـ مستشفى موسكو الخكومة يكول أنت جاء في سيَّارة إسعاف من ميترو ما كان فيه شيء.. أنت جاء وركة ووكمان وكاسيت.. أنا يكلم دكتور آليكسي يكلم أنت أنا آرابيا دايف.

ـ جيِّد.. شكرًا لكِ.

بذل جهدًا ذهنيًّا مضنيًا في استيعاب كلمات أولغا المهلهلة،

t.me/yasmeenbook

وقاسها على أقرب لفظٍ قريب محاولًا منحها معنى، ولكنَّ عبارة سبع سنوات التي ذكرت أنَّها قضتها في الاعتناء به جعلته يغيب عميقًا في تفكيره محاولًا إيجاد دلالةٍ مطابقة لها، وأحسن ما أوصله فهمه إليه أنَّها خطأ لغويّ منها، ثم استغرق قليلًا في محاولةٍ تجريديَّة لخلق شيءٍ محسوس لفكرة الزمن ما الذي يعنيه أن يمضي إنسانٌ سبعَ سنواتٍ من عمره؟

نظر إلى جسمه، فاستوعب أنَّ وزنه نقص قليلًا، وأنَّ لون بشرته ربَّما كان أغمق ممَّا هو عليه الآن، هذه أشياء محسوسة يمكن قياسها، ولكنْ كيف يفهم مقتضى مضيّ سبعِ سنواتٍ من حياته، وهل ستُحسب من عمره ما دام عاشها في غيبوبةٍ مطلقة؟ ماذا يعني الإدراك الزمنيّ للحياة، وهل هناك قيمةٌ للزمن إذا لم يكن مرتبطًا له بشيءٍ محدَّد.

اختلطت الأفكار في رأسه، وتشوَّشت الصور الواردة إلى ذهنه غامضة ضبابيَّة، وشعر أنَّ جسمه يزداد خمولًا وثقلًا، وأنَّ رأس أولغا يترنَّح والسرير يميد بها يمينًا وشمالًا، ثم سمع صوتَ جهازِ مراقبةِ القلب تتقارب رنَّاته، وأغمض عينه على أولغا وهي تنادي في جهازٍ صغير بيدها على الطبيب المناوب.

ـ ما الذي فعلتِهِ يا أولغا... لماذا أزلتِ الحقنةَ من وريده؟

ـ لم أزِلْها يا دكتور. هو أزالها بنفسه ولم أنتبه لذلك..

ـ بسرعة أعيديها.. هاتِ جهاز إنعاش القلب...

لحظاتٌ مرعبة عاشتها أولغا وآليكسي وهما يريان معجزتهما تعود إلى عالمها الحالك، ودارت مخاوفُ كثيرةٌ في ذهن أولغا..

t.me/yasmeenbook

هل كان في كلامها ما أزعجه؟ هل ضايقه أنَّها تعتني به، وهل في المعلومات التي أعطته ما يمكن أن يسبِّب له انتكاسة؟

حاولتْ جاهدةً تتبُّعَ تعليماتِ الدكتور آليكسى، وتمتمتْ بكلِّ الصلوات التي حضرت إلى ذهنها، وفجأةً بدأ خيْطٌ متقطِّع يظهر على شاشةِ جهازِ النبض.. ثم ارتفع قليلًا واستمرَّ في الارتفاع والانخفاض إلى أن استقرَّ في مستواه الطبيعيّ.

ـ لن نقبل أن نفقدك مرَّةً أخرى يا جوزيف.

ـ لا تناديه بجوزيف. هذا سيشوِّش تفكيره. لا داعي لذكر اسمه، وعليكِ أن تفصلي بين عاطفتك السخيفة وعملك الطبِّيّ. إذا كنتِ تريدين أن تبكي غادري الغرفة، فلا يحقّ للممرِّضة التعلُّق العاطفيّ بالمريض.

غادرت أولغا الغرفة دامعةً ومختنقة، ونظرت إلى مختور نظرةً سريعة، فالتقت أعيْنهما وابتسم.

ـ هل تسمعني؟... إذا كنتَ تسمعني أعطني إشارة.

ـ نعم.. أسمعك.

ـ وتستطيع أن تتكلَّم؟

ـ نعم.

ـ هذا عظيم.. لا تُجهد نفسك ولا تشغل بالك بأيِّ شيء، أمامك وقتٌ كافٍ لتعرف كلّ ما تريد معرفته.

ـ أُريد معرفةَ شيءٍ واحد.. منذ متى وأنا في غيبوبة؟

ـ لا يهمّ.. المهمّ أنَّك أفقت منها، ستعرف كلَّ شيءٍ في

t.me/yasmeenbook

حينه.

كانت ساعة آليكسي الذكيَّة تُشير إلى الثالثة وسبع عشرة دقيقة مساءً.

ـ في أيِّ يومٍ نحن؟

ـ وما قيمة ذلك؟ انسَ أمرَ الزمن، ستجد منه ما يكفي لمعرفة كلّ شيء.

قالها آليكسي وهو يفتح الأنبوب المعلَّق في وريد مختور تاركًا المهدِّئ ينساب إلى دمه، واستقرَّت عيْنه على الساعة في معصم الدكتور الملتحي.

يتذكَّر مختور ذلك الآن، وهو يرى الساعاتِ متجمِّدةً كلّها على 09:37:21

t.me/yasmeenbook

4

ياسمين

في أعقاب زلزالٍ مفاجئٍ وقويّ، بلغت شدَّته 9,4 على مقياس ريختر وكان مركزه وسط المحيط الأطلسيّ، سادت مخاوفُ من تسونامي مدمِّر يجرف السواحل الغربيَّة لإفريقيا وأوروبا، لكنَّ الرياح التجاريَّة القادمة من الشرق أثَّرت على حركة الأمواج ووجَّهت قوَّةَ الدفع باتِّجاه الغرب لتصل موجاتٍ عالية، ولكنْ غير خطيرة، إلى السواحل الشرقيَّة للولايات المتَّحدة الأميركيَّة وبعض شواطئ أميركا الجنوبيَّة.

غير أنَّ الصور التي رصدتها الأقمار الاصطناعيَّة بعد الزلزال كشفت مفاجأةً غير مسبوقة في المنطقة، حيث انحسرت مياه المحيط من الجانبيْن كاشفةً عن جزيرةٍ في عمق البحر بمساحةٍ تزيد على ثلاثة آلاف كيلومتر مربَّع، في حدثٍ جيولوجيٍّ نادر.

وفور ظهور الجزيرة، تسابقت القوى الكبرى لفرض السيطرة عليها، كونها في المياه الدوليَّة التي لا سلطة لأحدٍ عليها.

t.me/yasmeenbook

إلَّا أنَّ قوارب الهجرة غير الشرعيَّة كانت الأسرع في الوصول إلى هناك، حيث جرفت الأمواج خمسةَ قواربَ كانت في طريقها من السواحل الموريتانيَّة والمغربيَّة إلى جزر الخالدات الإسبانيَّة، وألقت بها على حافَّة الجزيرة التي لم تطأها قدمُ بشرٍ من قبل.

كان مجموع من نجا من رحلات الموت قرابةَ ثمانين شخصًا، معظمهم من دول المغرب العربيّ، وفيهم أفارقة وسوريُّون ومصريُّون وحتى أفغان.. كلُّهم كان يحدوهم الأمل في الوصول إلى جنَّة أوروبا الموعودة، لكنَّ زلزال المحيط والأمواج العاتية جرفتهم بشكلٍ متقطِّعٍ إلى الجزيرة الجديدة.

شتات من الناس لا يجمعهم دينٌ ولا لغةٌ ولا نسب، قلَّة منهم يعرفون ما يريدون بالضبط ـ أو ما كانوا يريدون على الأصحِّ ـ ومعظمهم كان هدفَهم الأسمى الخروجُ من جحيمِ بلدانهم أيًّا تكن الوجهة.

وجَّهت طائرةُ استطلاعٍ تابعة لمركز المسح الجيولوجيّ الأميركيّ نداءً إلى مقرِّ قيادتها بوجوب إرسال إغاثةٍ عاجلة، فقد رصدتْ على طول الساحل الشرقيّ للجزيرة عشراتِ الأشخاص الفاقدين للسند.

خلال ساعات، كانت طائراتُ خفرِ السواحل الفرنسيَّةُ والإسبانيَّة والبريطانيَّة تحوم ماسحةً طول الساحل الشرقيّ الذي يمتدّ ثلاثةً وأربعين كيلومترًا، ملقيةً علب المياه والوجبات الجاهزة على الأيدي الملوِّحة بحثًا عن إغاثة.

خوليو مارتينيز قائد إحدى المروحيَّات الطبِّيَّة قرَّر المجازفةَ بالهبوط على أرض الجزيرة مسجِّلًا بذلك اسمَه كأوَّلِ طيَّار يهبط

t.me/yasmeenbook

على الأرض الجديدة، كانت أرض الجزيرة منبسطةً خالية من الأجراف الصخريَّة، لكنَّها كانت ليِّنة وزلقة؛ ومع ذلك، هبط بسلام، وغاصت صفائح مروحيَّته خمس عشرة سنتيمترًا في الأرض من دون أن تُحدث أيّ غبار.

قذفتْ طائرةٌ تحالفَ أنقذوا المهاجرين، وهو تجمُّعٌ لمنظَّمات حقوقيَّة، عشراتِ القواربِ المطَّاطة طالبةً من المهاجرين استخدامها للتجمُّع على الساحل في مكانٍ واحد.

ومع ساعات مساء اليوم الثالث بعد الزلزال، كان عددُ من تجمَّعوا ثلاثةً وسبعين شخصًا، بالإضافة إلى عشراتٍ من عمَّال الإغاثة.

في بروكسل ونيويورك، كان أعضاء اتِّحاد العقول المهاجرة يسابق الزمن لتقديم عريضةٍ دوليَّةٍ بإقامة منطقةٍ دوليَّةٍ حرَّة في الجزيرة الجديدة مقترحًا مشاريع جاهزة لإقامة مدينةٍ عصريَّة تكون نموذجًا للحرِّيَّة والانفتاح والعصرنة وتحفظ الشواطئ الأوروبيَّة من غزو قوارب المهاجرين، على أن لا تكون لأيِّ دولةٍ سلطةٌ على أراضيها.

لاقى المقترَحُ قبولًا منقطعَ النظير وغير متوقَّع من مختلف الدول، وبادرت كبرى الشركات العالميَّة ومراكز البحث إلى تأييد المقترَح بالإعلان الفوريّ عن تمويلِ مشاريعَ عملاقة للبنى التحتيَّة وتشييدِ مراصدَ ومراكزَ أبحاثٍ وجامعاتٍ ومستشفياتٍ ومدارسَ فضلًا عن المراكز التجاريَّة والمصانع.

لم تكتمل السنة حتى كانت النواة الأولى لمدينة فيوتسيتي

t.me/yasmeenbook

جاهزةً تمامًا لِتنافسَ المدنَ التي قَدِم منها المهاجرون.

اليوم، تشغل مدينةُ فيوتسيتي عشرة في المائة من مساحة الجزيرة، ولها قوانينها الخاصَّة حيث تنصّ على الإعفاء من الضرائب وتسمح لأيِّ شخصٍ بدخولها من دون الحاجة لجواز سفر، وينصّ دستورها على أنَّها دولةٌ مسالمة لا تشارك في أيِّ حربٍ دوليَّة، ويُدير شؤونها مجلسٌ معيَّن من الأمم المتَّحدة، ويكفل حرِّيَّة المعتقد والتعبير، وكيَّفت قوانينها لتكون أقصى عقوبةٍ فيها هي الحرمان من العمل.

خلال السنوات الماضية، احتلَّت الجزيرة المركز الأوَّل عالميًّا في مستوى رفاهية الفرد، وهي الدولة الوحيدة في العالم التي لا تصل نسبةُ البطالةِ بين سكَّانها نصفَ نقطةٍ مئويَّة.

يعود الفضل في كلِّ هذا التطوُّر لاتِّحاد العقول المهاجرة الذي أخذ على عاتقه توفير كلّ الحلول واستشراف المشاكل، وساهمت قوانينها المنفتحة باستقطاب مئاتِ العقولِ العربيَّة الهاربة من قمع السلطات في بلدانها ومن الفساد والمحسوبيَّة، وكان الشعار المكتوب على واجهة قاعة الاستقبال في مطار خوليو مارتينيز «لا يهمّ من تكون.. المهمّ ماذا تستطيع أن تعمل».

يشكِّل العربُ اليوم قرابة ثمانين في المائة من سكَّان الجزيرة البالغين حوالى تسعمائة ألف شخص، وتتنوَّع البقيَّةُ بين أفارقة وأوروبيِّين وأميركيِّين ـ معظمهم لاتينيُّون، وقليلٌ شتات من مختلف دول العالم.

لا ينصّ دستورُ الجزيرة على لغةٍ رسميَّة، لكنَّ اللغة العربيَّة

t.me/yasmeenbook

هي الأكثر استخدامًا في التواصل اليوميّ، تأتي بعدها الإسبانيَّة ثم الإنجليزيَّة.

يتذكَّر حطَّاب العنطلاويّ الآن ذلك المشهدَ الراسخَ في ذاكرته على الرَّغم من مرور خمس عشرة سنةٍ عليه، حين أيقظه عاملُ منزله قُبَيْل منتصف ليلةٍ صيفيَّةٍ شديدة الرطوبة، يقول إنَّ رجالًا يطرقون باب البيت.

كان الأمرُ متوقَّعًا بالنسبة له، فهو على يقين أنَّ وزارة الداخليَّة الموريتانيَّة اطَّلعت على تحقيقه عن فساد صفقة استغلال مناجم الفوسفات، وأنَّه الحلقةُ الأضعف في القضيَّة لكونه أجنبيًّا لا قبيلة ستقف وراءه.

فتح النافذة ليرى اثنيْن من الشرطة بملابسَ مدنيَّة، يعرف وجهَ أحدهما، ولم تُسعفه الإضاءةُ الخافتة في تمييز الثاني.

طلب من عامل المنزل استمهالهما، وسحب حقيبةً صغيرةً من تحت سريره تحتوي مدَّخرات عمره، خرج من الباب الخلفيّ واثقًا أنَّ طريقه سيقوده إلى المجهول.

مشى عشر دقائق بأقصى ما أُتيح له من سرعة لا تُلفت انتباه المارَّة، أجرى خلالها مكالمةً سريعة ومشفَّرة.

أوقف سيَّارةَ أجرةٍ قديمة أوصلته إلى الشاطئ، تضرب الأمواج الباردة جدًّا قدميْه، على الرَّغم من وقوفه على بُعد ثلاثة أمتار من الشاطئ، يتحسَّس حقيبةَ الظهر الصغيرة، يشدُّها بقوَّة بحثًا عن حرارةٍ اختزنتها من ملامستها محرِّك سيَّارة الأجرة المتهالكة التي ما زال هديرُها تتعاطى الكثبانُ أصداءه..

t.me/yasmeenbook

بدا كلٌّ من حوله منشغلًا بنفسه؛ سيِّدة في الثلاثين تهدهد طفلًا، تتمتم بكلماتٍ غير مفهومة.. إفريقيّ يلهو بأعقاب سجائره المتراكمة.. طفلٌ يبني أكواخًا من الرمال المبلَّلة اعتمادًا على حجم قدمه الصغيرة، فتزيحها الموجة ويُعيد بناءها من جديد.. وشابّ قمحيّ اللون يعاند البحرَ بالكتابة على الرمال...

حاول استراق النظر إليه لمعرفة مضامينِ رسائلهِ المرتبكة، غير أنَّ الخطوطَ المتداخلة جعلتْه يستسلم لفشله.

أوحى مشهدُ الجميع برتابةٍ مقيتة، ورغبةٍ جامحة في مناقشة أمرٍ ما مع أحد المخلصين..

كان الفراغ هائلًا، ومسحةُ حزنٍ تغشى جانب السماء التي بدت غير راضيةٍ عمَّا يفعل، فجلجل عن بُعد رعدٌ غاضب، وتسرَّبت السحبُ الخفيفةُ من أعماق البحر مستعجلةً الالتحاق باجتماع تقرَّر عقده بعيدًا عن أعين القابعين في منازلهم المترفة!

تدريجيًّا.. فقدت الحقيبةُ حرارتها، راودته رغبةٌ في إعادة ترتيب محتوياتها، مع أنَّه استغرق في ذلك خلال الأسبوع الماضي أكثر من ثلاث ساعاتٍ لانتقاء ما يستحقّ أن تحتويه الحقيبة، فقد كان واثقًا أنَّ هذا اليوم سيأتي؛ دفترُ يوميَّاتٍ صغير، مسواكٌ من الأراك طريّ، اضطرَّ لكسر جزءٍ منه كي يلائم حجم الحقيبة، ومفتاحٌ لبابٍ قديم ورثه من جدِّه، قلمٌ من علامة تجاريَّة محلِّيَّة، ورزمةٌ من الأوراق اقتطفها من أحد دفاتره البالية، وسروال جينز ضيِّق، وأشياءُ تافهة لا يعرف لما اختارها.. ووقعت عينه على صورة..

t.me/yasmeenbook

استلَّها بلهفة، وكأنَّه يراها لأوَّل مرَّة! كانت متشقِّقة أثَّرت فيها الأيادي الخشنة والسنون.

كانت لفتاةٍ وهي تسند ظهرها إلى شجيرةٍ من السرو، تشبك أناملها بقوَّةٍ مالئةً الفراغ بين أصابع يدٍ بأصابع الأخرى، وقد أحاطتْ بهما ركبتها اليمنى في جلسة تأمُّل نادرة.

آثارُ حنَّاء تطلي الأظافر الرقيقة، وحجابٌ مشدودٌ بحزم على رأسها، ينساب برخاءٍ على ذراعيْها، حائلًا بذلك دون إظهار تفاصيل قدِّها.

وتنتصب خلفها عن بُعد نخلةٌ تتدلَّى عراجينها بثقة، وبين السروة والنخلة، اخترقت خيوطٌ خفيفة لشمس الغروب.

كانت الصورةُ بيضاء وسوداء ما جعل الألوان غير بيِّنة.

كان الوجه القمريّ يشعّ بنورٍ خافت ينتصب في وسطه الأنف المترفِّع قليلًا بتعال، والعينان النجلاوان تستظلَّان بأهدابٍ كثيفة وحاجبيْن مقوَّسيْن.. والشفتان اللمياوان ترسمان ابتسامةً موناليزيَّة غامضة، تتقاطع في نقطةٍ غير محدَّدة مع النظرة الواثقة..

يوهم كلّ ذلك المتمعِّنَ في الصورة أنَّها تريد الهمس بسرٍّ دفين حرصت على كتمانه لسنوات.

ويتربَّع في الزاوية اليمنى أسفل الورقة تاريخُ التقاط الصورة الذي مضى عليه أكثر من عشر سنين.

عادةٌ سيِّئة درج عليها قدماءُ المصوِّرين، تحرمك متعةَ اختيار التاريخ الذي تريد. فالناس يرغبون دائمًا في اختلاق تواريخَ لذكرياتهم ـ مهما كانت ـ تناسب الموقف الآني..

t.me/yasmeenbook

ينفث الإفريقيّ من جديد دخان سيجارته رخيصة الثمن، ويتعالى صراخ الطفل، فترفع المرأة صوتها بالذِّكر في أذنه وتهزّه بهدوء، يعود به كلّ ذلك إلى لحظته.

يرفع الإفريقيُّ ساعده، يؤخِّر قليلًا قميصه الطويل، فتبرز ساعةٌ رقميَّة، ويغمغم بلغةٍ فرنسيَّةٍ رديئة: «مرَّت ثلاث ساعات».. ويضرب برجله قنِّينة ماء معدنيّ فارغة فتحلِّق بعيدًا، ثم تسقط بجانب الطفل المصرّ على تشييد أكواخه.

يلوِّح الرجل قمحيّ اللون بقميصه في إشارة استنفار أو استغاثة، فيتدافع الجميع نحو زورقٍ يحمل جانبه الموالي لهم عبارةً أجنبيَّة، فُهم لاحقًا أنَّها تعني «تحقَّق حلمي» باللغة الإسبانيَّة، تداخلت مع بسملة كُتبت بخطٍّ سيِّئٍ وبلونٍ أخضر.. كان صوت المحرِّك مزعجًا.. والشفاه تتحرَّك بتناغمٍ منتظم.

وعلى بُعد ثلاثة أمتار من الشاطئ، كانت ورقةٌ بيضاء مستطيلة تتقاذفها الأمواج، لترميها على أطلالِ كوخٍ بناه صبيٌّ بمقياس قدمه الصغيرة.. تبيَّن من شقوقها أنَّها صورة الفتاة.

يصرخ: انتظر.. انتظر.. رجاءً.

يتطاير لعابُ المرأة وهي تدفن بحنانٍ لافت رأسَ طفلٍ في صدرها.. ويهزج الإفريقيّ بصوتٍ شجيٍّ يغمر بروحانيَّته الزورق المبتعد.. وتتلاشى في المدى تلك الورقة.

ـ كم الساعة الآن يسأل العنطلاويُّ الراكبَ المتكدِّس على يمينه.

ـ وما قيمة أن تعرف الساعة.. هل لديك موعدٌ مع أحدهم

t.me/yasmeenbook

في عُرض المحيط الأطلسي؟

يُجيب الراكب المكتئب، فتضيف إجابته جوًّا مفتعلًا من المرح.

يعلِّق الشابُّ قمحيُّ اللون الجالسُ في مقدِّمة المركب:

ـ عايز يشوف برنامجه في التلفزيون.. دا أشهر صحفيّ تحقيقات في البلد عندكو.

التفت الجميعُ إلى العنطلاويِّ الذي لم يُخْفِ استياءه من كشف هويَّته للركَّاب.

ـ ومن أنتَ؟ لا تبدو من لهجتك معنيًّا بما يجري في بلدهم، سأل العنطلاوي بلغةٍ لا تخلو من غضبٍ مكتوم.

ـ أنا عارف الكفرنوتي جاي هنا أعمل تحقيق عن الهجرة السرِّيَّة.. تيجي تشتغل معاي فيكسر؟

ـ وما تيجي أنت تشتغل معاي أنا!

ـ تدفع كام يا باشا؟

ـ أدفع عمري وتخلص الرحلة على خير.

ضحك الجميع. وتزامنت ضحكتهم مع صوتٍ قادم من بعيد أشبه ما يكون بهزيم رعدٍ مجلجل، إلَّا أنَّه أقرب إلى صوت الانفجار.

سرت قشعريرةٌ في جسد العنطلاويِّ، وشدَّ الحقيبةَ على صدره.

دقائقُ قليلة وارتفعت موجةٌ قويَّةٌ ضاربةً مقدِّمة القارب،

t.me/yasmeenbook

وأسقطت جهاز الاتِّصال اللاسلكيّ من يد قائده الذي كان يؤثر الصمتَ طيلة الرحلة.

ـ تبًّا.. فقدنا وسيلتنا الوحيدة للاتِّصال.

ـ معاي هاتف أقمار اصطناعيَّة ما تخافش.. قال الكفرنوتيّ وهو لا يكاد يُخرج الكلمات من شدَّة التدافع الذي أحدثته الأمواج.

جرف الجزْر القاربَ عنوةً باتِّجاه الغرب، وتشبَّثت أيادي الجميع بأيِّ شيءٍ يستطيعون الإمساك به. ارتفعت دعواتٌ إلى الله والسماء وشجرة التنوب الكبيرة في قريةٍ إفريقيَّة، كلٌّ يريد من إلٰهه إنقاذه في هذه اللحظة العصيبة.

بكى بعضهم وتبوَّل آخرون على أنفسهم، وشدَّت المرأة رضيعها بين نهديْها، وشعر الراكب الملاصق لها بالخِزْي حين خطرت على باله لجزءٍ من الثانية فكرةٌ شهوانيَّة، واستسلم الجميع لقَدَرٍ بدا محتومًا، وتتولَّى الأمواج الغاضبة تنفيذه.

تبدَّى من بعيد سوادٌ مهول، رفع الموج بشكلٍ مفاجئ مؤخِّرة القارب فأسقط العنطلاويَّ على الإفريقيّ، وتدافع الجميع إلى مقدِّمة القارب الذي كان ينزلق بزاوية خمس وأربعين درجة مع الموجة العالية، ليصرخ القائد فيهم:

ـ تماسكوا.. تماسكوا.. القارب سينقلب.. أمامنا شيء.. عملاق أسود.

لم تصل كلماتُ القائد قبل اصطدام مقدِّمة القارب بأرضٍ لزجة، فغاصت فيها محطِّمة الخشب، ومناثرة ركَّابه على مسافاتٍ

t.me/yasmeenbook

متقاربة، قبل أن تأتي موجةٌ عملاقة، وتجرف بعضهم إلى عُرض البحر تاركةً الطفل وحيدًا يصرخ ويد أمّه تلوح له من أعماق بحر الظلمات.

لم ينجُ من ركّاب هذا القارب سوى خمسة: طفلٌ بلا سند، وصحفيٌّ مصريّ قادته مغامرته بعيدًا عن مقرِّ عمله، وشابٌّ فلسطينيّ ما زال يحتفظ بمفتاح جدّه، ورجلٌ إفريقيٌّ لا يفهم أيٌّ من الناجين لغته، وقائد المركب المُصاب.

وجد الخمسة أنفسهم في العراء اللزج الذي تكسوه الأعشاب البحريَّة وقد استجمعوا ما يستطيعون من قواهم للابتعاد أكبرَ مسافةٍ ممكنة عن الشاطئ الذي لا يوحي أنَّ أحدًا سبقت له زيارته.

كانت الرياحُ الباردة تصفق في خواء الجزيرة مجمِّدةً الأجسام المنهكة تحت الملابس المبلَّلة، وكان الإفريقيّ يصرخ بكلامٍ غير مفهوم محاولًا تهدئةَ الطفلِ الرضيع.

نظر قائدُ المركب إلى ساقه النازفة، فخلع قميصَه وشدَّ به ركبته لوقف النزيف، ثم قلَّب نظره في السماء محاولًا الاستدلال بأيِّ علامة فيها على مكانه، فلم يَرَ غيرَ سوادِ الغيوم الداكنة، ولم يسمع إلَّا أصواتَ الموج الذي يضرب بعنفٍ هذا المكان الغريب.

الكفرنوتيّ الذي فقد كلّ شيءٍ في القارب، هاتفه المربوط بالأقمار الاصطناعيَّة، حقيبة ظهره التي فيها جواز سفره وبطاقته الصحفيَّة وأجهزة التصوير والإرسال وحاسوبه، التفت إلى العنطلاويّ المستلقي على ظهره، وقال بصوتٍ مجهد:

ـ تفتكر الساعة كام دلوقتي؟

t.me/yasmeenbook

نادى العنطلاويّ على الإفريقيّ الذي نجح أخيرًا في إسكات الرضيع مشيرًا إلى الساعة بما يفيد الاستفهام عن الوقت، لكنَّ إجابة الرجل لم تكن مفيدةً، فالمجيب لا يعرف لغة السائل.

أبدى الإفريقيّ لطفًا كبيرًا، وتقدَّم خطواتٍ باتِّجاه العنطلاويّ والكفرنوتيّ مستعرضًا أمامهما ساعته الإلكترونيَّة القديمة التي توقَّفت مع أوَّلِ ضربةِ موج، وتجمَّدت شاشتها على ستَّة أصفار: 00:00:00.

ـ تفتكر الساعة كام دلوقتي؟

قال الكفرنوتيّ للعنطلاويّ وهما في قاعة الاجتماعات، وأعينهما مثبَّتة على ساعاتِ غرفةِ الأخبار المتجمِّدة كلّها عند 09:37:21.

فدخل الاثنان في نوبة ضحكٍ لم يفهم مختور والآنسة جانبيور دوافعها، لكنَّهما لم يجدا وقتًا لشرح السبب، فهناك ما هو أهمّ.

t.me/yasmeenbook

5

قطع رنينٌ متزامنٌ في هواتف معظم الحاضرين في قاعة الزمن بالبنك المركزيّ عاصفةَ التصفيق الطويلة بعد انتهاء خطاب حمود الجملوديّ، وتحوَّل التصفيق فجأةً إلى همهمةٍ واستفسارات، ثم لحظة سكونٍ لقرابة دقيقة، كانت رؤوس الجميع فيها متدلِّيةً على هواتفهم وهم يتابعون رسالةً وصلت كلّ واحدٍ منهم من بريده الشخصيّ، وفيها ڤيديو لشخصٍ يرتدي قناعًا لساعةٍ بلا عقارب، ثم رفع صحفيٌّ في نهاية القاعة صوته مفاجئًا الجملوديّ بسؤاله عن تعليقه على الرسالة التي تحمل تهديدًا واعتراضًا على مشروع «باي يور سلف»، لتتحوَّل كلّ الكاميرات إلى الجملوديّ فجأةً وملامحه لا تخفي الارتباك الظاهر، فيبدو أنَّه رأى الرسالة، ولكنْ لم يسعفه الوقتُ بالاطِّلاع على مضمونها الكامل:

ـ أحححمم... أأأ.. لم أطَّلع بعد على الرسالة التي تتحدَّث عنها، ولكنْ نحن في بلدٍ يكفل حرِّيَّة الرأي والتعبير،

t.me/yasmeenbook

وهذا ما يميِّزنا؛ وقد سمَّينا دولتنا فيوتسيتي لأنَّها مدينةٌ من المستقبل، وطبيعيّ أنَّ بعض العقول التي ما زالت تعيش في الماضي قد لا تستوعب القفزة العظيمة التي قدَّمناها للبشريَّة، بفضل جهودِ وعرقِ تسعمائة ألف شخص يعيشون على هذه الجزيرة، ويؤمنون أنَّ العمل هو الحياة، وأنَّ الوقت هو العملة الأكثر عدلًا في قيمتها السوقيَّة؛ ولذلك، إذا ألقيت نظرةً على الشاشة هناك ستجد أنَّ عملة تيكوين هي الأكثر تداولًا في سوق العملات الرقميَّة، وهي العملة الوحيدة في العالم التي تستطيع أن تشتري بها خبزًا من كومبوديا، وجملًا من موريتانيا، ووردةً من أمستردام من دون الحاجة لأكثر من الهاتف الذكيّ.. انظر إلى الشا.. شة.

توقَّف الجملوديُّ فجأةً كأنَّه ابتلع لسانه، ودعا من قلبه أن يكون ما يرى غير صحيح، وأن لا يكون أحدٌ في القاعة قد لاحظ ما شاهد للتوِّ.. فكلّ الساعات التي تزيِّن قاعة الزمن الكبيرة ـ التي تغطِّي سقفها نسخةٌ عملاقة من لوحةِ إصرار الذاكرة لسلڤادور دالي ـ متجمِّدة عند 21:37:09.

ـ ... وعلى العموم، سنعقد اجتماعًا بعد عشر دقائق لدراسة المستجدَّات ومواصلة العمل، ولن نسمح كما لن تسمحوا لذوي العقولِ المتحجِّرة بعرقلة مسيرتِنا الرائدة نحو المستقبل.

ـ كيف ستعرفون الموعدَ الدقيق للاجتماع وكلّ الساعات متوقِّفة؟

صرخ صحفيٌّ خجول في نهاية القاعة، ثم أنزل رأسه متمنِّيًا

t.me/yasmeenbook

أن لا تكون كلمُته قد سُمعت، إلَّا أنَّ جميع من في القاعة نظروا إلى هواتفهم، ثم إلى الساعات الجداريَّة، ثم أعادوا النظرة إلى هواتفهم.. وغادر الجملودي القاعة مسرعًا، مشيرًا إلى مَنْ في الصفِّ الأوَّل باتِّباعه، فتزاحموا على الباب الذي كان نصف موصد، وكانت همهماتُهم تعزف سيمفونيَّةً من الغضب والاستغراب.

ـ كيف حصل هذا؟ أريد تفسيرًا فوريًّا، وأريد معرفة من يقف وراء هذه الكارثة!

قال الجملوديُّ عبارتَه بصوتٍ زاعق وهو يضرب يده على الطاولة من دون انتظار اكتمال دخول معاونيه ولا أعضاء الهيئة العليا للحكم، وممثِّلي اتِّحاد العقول المهاجرة، ورؤساء مجالس الشركات العملاقة الذين كانوا يشكِّلون الصفّ الأوَّل في القاعة، ووقفوا بكلِّ نفوذهم لفرض اتِّباع نظام «باي يور سلف» على المستوى العالميّ.

دخل من بابِ القاعة مهندسٌ إفريقيٌّ يزاحم كبار الضيوف طالبًا الإذن بالعبور، وحاملًا في يده جهاز كومبيوتر لوحيّ، مردِّدًا عباراتِ الاعتذار لكلِّ من صدمه أو دهسه في طريقه.

ـ سيِّدي.. سيِّدي.. الأمر أخطر ممَّا كنَّا نتوقَّع، الخادم المركزيّ يتعرَّض لهجومٍ عنيف، ويتلقَّى أمرًا بالتدمير الذاتيّ.

ـ أمرًا بالتدمير الذاتيّ؟! هذا غير معقول. أنا مَنْ برمجه، ولا يستطيع غيري أبدًا منحه الإذن بذلك.

ـ انظر سيِّدي...

t.me/yasmeenbook

حملق الجملوديّ في البيانات المتدفِّقة على شاشة الكومبيوتر اللوحيّ وهي تُظهر خوارزميَّة التدمير الذاتيّ، وقد بدأت عدًّا عكسيًّا ومؤشِّر طاقة العمل وصل إلى ثمانين في المائة، ونسبة التدمير بلغت 7%. وإذا استمرَّت على هذه الوتيرة لن تغيب شمسُ اليوم قبل أن تختفي كلّ بيانات جميع البشر الذين يعيشون على جزيرة فيوتسيتي، وسيجدون أنفسهم مساء اليوم بمحافظ فارغة تمامًا.

ـ أستأذنكم سيِّدي الرئيس. هناك أمرٌ عاجلٌ يستدعي دخولي الفوريّ إلى غرفة الخوادم المركزيَّة، سأطلعكم على التفاصيل فور تبيّنِ حجمِ الضرر.

ـ لحظة، أنت تمزح.. كلّ هؤلاء الرجال ينتظرون إجابةً فوريَّة عمَّا حدث، وأنت تغادر القاعة بكلِّ بساطة.

قال رئيس مجلس الحكم المعيَّن من الأمم المتَّحدة، ملتفتًا إلى بقيَّة مَنْ في القاعة الذين هزُّوا رؤوسهم بالموافقة وأعناقهم مشرئبَّة في انتظار معرفةِ ما حصل.

ـ ما حصل يا سادتي، أو ما نعرف حتى الآن، هو أنَّ خوادمنا تتعرَّض لهجوم إلكترونيّ، وأنَّ الزمن قد توقَّف. حسنًا، ابحثوا عن تفسيراتٍ لذلك، وتجادلوا فيه بقدر ما تريدون.. لكنْ أنا لا وقت لديَّ.

قال الجملوديُّ كلماتِهِ بحزم لافت من دون أدنى مظهر للديبلوماسيَّة، وغادر القاعة ملوِّحًا بالكومبيوتر اللوحيّ في يده.

التفت الرئيس إلى الحاضرين في غرفة الاجتماعات، طالبًا

t.me/yasmeenbook

منهم الجلوس والإنصات، لكنَّه احتاج لرفع صوته وتكرارِ عباراته مرَّتيْن، قبل أن يستجيب أوَّلُهم، ويسحب كرسيًّا وهو يكتب بيده الأخرى على هاتفه، فيما كان الآخرون بين من يُجري مكالمةً هاتفيَّة أو يكتب رسالةً أو يقرأ أخرى.

ـ أيُّها السادة، أنتم هنا تمثِّلون المجتمع العلميّ والصناعيّ العالميّ، ومعي ممثِّلون عن السلطة المركزيَّة، أريد من كلّ واحدٍ منكم أن يستنفر كلّ طاقات فريقه العلميّ والتقنيّ لمعرفة حقيقة ما حدث، وأن نشكِّل معًا فريقيْن: أحدهما للبحث عن الحلِّ التقنيّ متعاونًا مع فريق السيِّد حمُّود الجملوديّ؛ والثاني لتقديم الاستشارة السياسيَّة لخليَّة الأزمة التي سأتولى رئاستها.

ـ الأمر لا يقتصر على فيوتسيتي، فقد شمل كلّ شركات السليكون فالي. جميع ساعاتهم توقَّفت.

قال رئيس الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة، الذي يمثِّل الشركات العشرين الكبرى في عالم التقنيَّة.

ـ ويبدو أنَّه وصل إلى بورصة سِيول.

قال ممثِّل اتِّحاد العقول المهاجرة وهو ينظر إلى رسالة وصلت إلى هاتفه.

ـ هذا غير منطقيّ.. هل أرسل أيٌّ منكم رسالةً من هاتفه المحمول؟

قال وزير الداخليَّة في فيوتسيتي الذي دخل باب القاعة مسرعًا:

ـ نعم.. أجاب الاثنان بشكلٍ متزامن.

t.me/yasmeenbook

ـ علينا أن نتوقَّف فورًا عن استخدام شبكة الإنترنت. اقترح الوزير.

ـ كيف سنتواصل مع العالم بلا إنترنت.

ـ لدينا غرفة اتِّصالات مؤمَّنة. من لديْه مكالمة عاجلة فليتفضَّل معي، وأبلغوا كلّ من تواصلتم معهم بقطع الإنترنت عن مقرِّ عملهم، وإبلاغ من تواصلوا معهم عبر الإنترنت بفعل ذلك.. هذا هجومٌ غير مسبوق... لكنْ سنحلّ المشكلة.

تبادل الجميع نظراتِ الاستغراب من كلام وزير الداخليَّة، وتبعه سبعة أفراد ورئيس المجلس، فيما بقي الآخرون متردِّدين، قبل أن يقرِّروا مغادرةَ القاعة في اتِّجاهات مختلفة.

ـ قلت لك إنَّها أوامر القيادة العليا للمجلس، ليس لك الحقّ في جدالي، أوقف الاتِّصال اللعين بالإنترنت فورًا عن كلِّ الجزيرة...

زعق وزير الداخليَّة وهو يتحدَّث في هاتفه المحمول ومن دون مبالاة، بالوجوه المكفهرَّة التي تبعته من دون وعي..

ـ تبًّا للولايات المتَّحدة وكلّ القوى العظمى.. فليوفِّروا لأنفسهم شبكة إنترنت أخرى. هذه شبكتنا المستقلَّة، نحن من أنتجها وأرسل أقمارها ونحن من يُديرها، ولا سلطة لأيٍّ منهم علينا.. قلت لك أغلق الإنترنت فورًا.

بدا أنَّ المتحدِّث على الطرف الآخر من الهاتف نفَّذ الأمر، لأنَّ الوزير التفت إلى من حوله، وقال: الآن أوقفنا انتشار الڤيروس، وسنعمل على استئصاله.

t.me/yasmeenbook

تخلَّف رئيس الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة وممثِّل اتِّحاد العقول المهاجرة عن ركب الوزير، ودخلا إلى مكتبٍ مجاور لغرفة الخوادم في البنك المركزيّ، حيث يعكف مدير البنك وفريقه التقنيّ على حلِّ المعضلة التي ما زالت تلتهم قواعد البيانات كما تلتهم دودةٌ ورقةً يانعة.

ـ افتح فوهات التبريد جميعًا وشغِّل المولِّد الاحتياطيّ... تبًّا! لو كان سكَّان فيوتسيتي يعملون بهذه الطاقة كلّ يوم لكنَّا سيطرنا على العالم... امنحهما حساباتِ دخولٍ إداريَّة.. اجلسا إلى تلك الطاولة.

قال الجملوديّ من دون أن يرفع عينيْه أو يوقف يديْه عن الكتابة وهو يتحدَّث إلى مهندسيْن، ظهر أنَّ كلًّا منهما يعرف الأمر الموجَّه إليه؛ فتقدَّم أحدهما باتِّجاه الضيفيْن اللذين خلعا فورًا سترتيْهما، وأرخيا ربطتيْ عنقهما وكشفا عن سواعدهما التي كان العرق يرسم دائرةً فوق كلّ واحد منها.

عند بداية تأسيس فيوتسيتي، كان النزاع على أشدّه حول العملة الرسميَّة التي سيكون بها التعامل بالبلد الناشئ. وخلال الأيَّام الأولى للمشروع، كانت الفكرة أن تكون كلّ العملات العالميَّة مقبولةً في التعامل اليومي وتقوَّم بناء على قيمتها السوقيَّة، لكنَّ ذلك أوجد حالةً من الارتباك وسبيلًا للمضاربة كاد يعصف بالمدينة الوليدة، قبل أن يتقدَّم المهندس الشابّ حينها حمُّود الجملوديّ المنضمّ حديثًا لاتِّحاد العقول المهاجرة باقتراح إنشاء عملةٍ رقميَّةٍ مرتبطةً بالهواتف الذكيَّة تكون قائمةً على الطاقة الإنتاجيَّة للفرد، ويكسب من نقاطها بحسب ساعات عمله، وتكون

t.me/yasmeenbook

قيمتها السوقيَّة مرتبطةً بمدى إنتاجيَّة المجتمع الذي يعيش في فيوتسيتي، واقترح تسميتها تايم كوين، أيْ عملة الوقت؛ وأن تكون كلّ وحدةٍ منها تساوي دقيقةَ عمل، على أن تُقدَّر رواتب الموظَّفين بحسب الدرجات الوظيفيَّة، فلكل درجةٍ قيمةٌ خاصَّة مقابل دقيقة عملها.

حَظِي المقترَح بتشجيعٍ كبير من طرف الشركات التقنيَّة، وموَّل الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة المشروع الرائد، وصمَّم الجملوديّ وفريقٌ تقنيّ الخوارزميَّاتِ الخاصَّة لإنتاج عملة تيكوين بلغةٍ عالية التشفير، بحيث تُعطي لكلِّ شخصٍ من سكَّان الجزيرة رمزًا فريدًا يُدخله مع بداية عمله، ومرتبطًا بمجسّ للتعرُّف على الوجه؛ زوّدت كلّ أماكن العمل في البلاد بما فيها أكشاك الصحف ومحلَّات الورود ومحطَّات الانتظار بمعرِّفات الوجوه، وطوَّر الفريق تطبيقًا هاتفيًّا يسمح للموظَّفين غير المرتبطين بأماكنَ عملٍ محدَّدة أن يسجِّلوا بدايةَ وقت عملهم عبر التطبيق على أن يسجِّل خروجهم بمجرَّد قضائهم عشر دقائق خارج صفحة العمل المرتبطة بشركتهم.

وخلال سنواتٍ قليلة، قفزت عملة تيكوين لتكون أكثر العملات الرقميَّة تداولًا، وباتت معتمدةً في كلّ بقعةٍ من العالم.

ـ قدِّم لي تقريرًا بالأضرار.. قال الجملوديّ موجِّهًا الحديث إلى معاونه المنغمس في إعداد إحصائيَّة لما خلَّفه الهجوم.

ـ حتى الآن، توقَّفت كلّ شبكة الميترو والأجهزة المرتبط عملها بالإنترنت، وتوقَّف مطار خوليو مارتينيز ومطار عبَّاس بن

t.me/yasmeenbook

فرناس، وألغيت جميع الرحلات وتعطَّلت الخدمات البنكيَّة.

ـ لم أطلب منك نشرة أخبار. هذه التفاصيل تهمّ رئيس المجلس ووزير داخليَّته، إنَّما أسأل عن خوادمنا كم نسبة الضرر فيها؟

ـ ما زالت في حدود الثمانية عشر في المائة سيِّدي، لكنَّها صارت بوتيرةٍ أبطأ قليلًا.

ـ يبدو أنَّ وزير الداخليَّة كان محقًّا، فالڤيروس مرتبطٌ بالرسالة التي وصلتنا، وأيّ هاتفٍ وصلته الرسالة فقد أوصلها إلى شبكة الإنترنت المرتبطة بالهاتف.

قال ممثِّل اتِّحاد العقول المهاجرة الذي تفرَّغ للبحث عن آليَّة عمل الڤيروس:

ـ هل تبيَّن معك مصدره.

ـ لم أرَ شيئًا بهذا التعقيد من قبل، فكلَّما وصلتُ نقطةً أعادني إلى البداية، إنَّه مصمَّم بشكل دائريٍّ لولبيّ، بحيث يُعيد من تَتبَّعه إلى الجهاز الذي يبحث منه.

ـ هذا يفسِّر كون الرسائل كانت تَرِد من بريد المستقبل.

ـ ربَّما.. عمومًا، سأواصل البحث.

ـ اللعين.. كيف استطاع أن يوقف الزمن! كيف تمكَّن من الوصول إلى كلِّ هذه الساعات في وقتٍ واحد؟

ـ يبدو أنَّه خلق ثغرةً ذاتيَّةَ الإنشاء في خليَّة الوقت بالهواتف، ومنها إلى خليَّة الوقت في أنظمة التشغيل، وبذلك توقَّفت كلّ الساعات دفعةً واحدة.

t.me/yasmeenbook

ـ أرسل تقييمك للرئاسة، وطمئنهم أنَّنا نعمل ما في وسعنا لوقف الهجمة، واطلب من رئيس المجلس توجيهَ خطابٍ إلى السكَّان، ففي أزمةٍ كهذه تكون المعلومة الحقيقيَّة هي الحلّ.. واطلب من الداخليَّة إرسالُ فريقٍ من إدارة الأمن الرقميّ لمساعدتنا، فلن نستطيع العمل كفريق إذا كان كلٌّ منَّا في بناية، ولا نملك رفاهيةَ التواصل عبر الإنترنت.

مرَّر الجملوديّ طلبه إلى معاونه المنهمك في توزيع الجداول الرقميَّة بإحصاء الخسائر، فيما مدَّد يديْه قليلًا رافعًا إيَّاهما ومميلًا رأسه يمينًا وشمالًا لفرقعة رقبته المتصلِّبة، ثم نظر إلى غرفة الخوادم وقد انخفضت درجةُ حرارتها إلى اثنتي عشرة درجة مئويَّة.

ـ يس.. ڤوالا.. ابحث في سجلِّ الأرقام عن اسم آليكسي ريابوفيتش.

ذكَّرت درجة الحرارة هذه الجملوديّ برحلته إلى مؤتمر علميّ للبرمجة في موسكو قبل ثلاث عشرة سنة، حين عرَّفه طبيب الأعصاب الروسيّ على مريضٍ سابق وصفه بالمعجزة، يملك ذاكرةً فولاذيَّة بعدما أفاق من غيبوبةٍ دامت سبعة أعوام، وعوّض بموهبة أنَّه يحفظ أكثر الأمور تعقيدًا من نظرةٍ واحدة، ولذلك تعلَّم لغة سوفيلوتيكسس أصعب لغات البرمجة في العالم خلال أسبوعٍ واحد، بل إنَّه خلق لغةَ برمجةٍ تقوم على الحرف العربيّ، وعرض عليه تمويل اتِّحاد العقول المهاجرة لها، لكنَّه لم يُعِد التواصل معه.

t.me/yasmeenbook

ـ إذا تمكَّنَّا من الوصول إلى ذلك الشابّ.. يُفترض أنَّه صار رجلًا الآن، ربَّما نحقِّق تقدُّمًا!

قال الجملوديّ وهو يحدِّث نفسه ضاغطًا على الرقم الذي عثر معاونُهُ عليه بسهولة.

ـ مستشفى بطرس الرسول الخيريّ في موسكو.. كيف أستطيع مساعدتك؟

ـ كم الساعة الآن عندكم؟

ـ إنَّها الثانية والنصف تقريبًا.. لماذا؟

ـ لا يهمّ.. هل يمكن أن أتحدَّث مع السيِّد آليكسي ريابوفيتش؟

ـ للأسف لا، فالسيِّد ريابوفيتش انتقل إلى المجد السماويّ قبل خمس سنوات.

ـ آسف لسماع ذلك... هل ما زال عندكم في المستشفى رجلٌ أسمر تحت عيْنه اليسرى شامة.. لا أعرف اسمه، لكنَّ السيِّد ريابوفيتش كان يسمِّيه المعجزة.

ـ أووه.. سمعت عنه من قبل، لكنَّه لم يعد هنا منذ سنوات.

ـ هل لديك أيّ فكرة عن مكانه.

ـ للأسف لا.

ـ قلت لي كم الساعة عندكم في موسكو؟

ـ الساعة الثانية وسبع وثلاثون دقيقة، سيِّدي.

t.me/yasmeenbook

ـ شكرًا لك.

ـ تبًّا! لا فائدة... ولكنْ على الأقلِّ عرفنا الوقت.

ـ كم الوقت هناك..؟

قال ممثِّل اتِّحاد العقول المهاجرة من دون النظر إلى الجملوديّ الغارق في تفكيره بشكلٍ مفاجئ.

ـ إنَّها الثانية وسبع وثلاثون دقيقة ظهرًا في موسكو.

ـ يبدو أنَّ الڤيروس وصل إليهم، لأنَّها ذاتها 09:37:21 بالتوقيت المحلِّيّ لفيوتسيتي. ففارق التوقيت بيننا خمسُ ساعات.

t.me/yasmeenbook

6

ـ فقدنا الاتِّصال بالإنترنت، لا شيء يعمل عندي.

صرخ المنتج المساعد في غرفة التحكُّم مستغيثًا بأيِّ أحدٍ يمكنه إنقاذه، ووصل صوته إلى غرفة الاجتماعات القريبة من غرفة التحكُّم، حيث العنطلاويّ ومختور والكفرنوتيّ.

ـ يا دي النيلة... رصيدي يتناقص بشكلٍ سريع وأنا لم أشترِ شيئًا.

ـ وهذا ما يحدث معي..

نظر العنطلاويّ إلى هاتفه مرعوبًا، وهمَّ بالوقوف، لكنَّ حافَّة الطاولة اعترضت جسمه الضخم، فأرجع الكرسيّ إلى الوراء ووقف ناظرًا إلى مختور الذي كان بارد الأعصاب كأنَّ ما يحدث في العالم لا يعنيه.

ـ من أين تأتي بهذه البرودة؟.. العالم يغلي وأنت تبتسم.

t.me/yasmeenbook

ـ هناك ما هو أهمّ من رصيدكما، المنتج المساعد يصرخ مستغيثًا سأذهب إلى غرفة التحكُّم وأتولَّى قيادةَ الفريق، يجب أن يحتفظ أحدٌ ما ببقيَّة عقله، فهذه ليست نهايةَ العالم.

ـ وما أدراك أنَّها ليست نهايةَ العالم، هل سبق أن توقَّف الزمن من قبل؟

قال الكفرنوتيّ كلماته الغاضبة لمختور من دون أن يتلقَّى إجابةً منه، فقد غادر بهدوء إلى غرفة التحكُّم طالبًا من المنتج المساعد مغادرةَ الغرفة.

ـ هدوء يا شباب.. هدووووووء! لا أريد أن أسمع أكثر من صوتٍ واحدٍ في الغرفة.

رفع مختور نبرةَ صوتهِ ليوحي بالسيطرة في غرفة التحكُّم التي كانت الأصوات فيها متداخلة.

ـ أليس هذا رئيسَ المجلس في شاشة المصدر الثالث؟

ـ نعم، قال المخرج.

ـ تأكَّد من صوته وَضعْهُ على الشاشة.. ننتقل إلى كلمةٍ مباشرة لرئيس مجلس الحكم في فيوتسيتي.. قال مختور هامسًا في أذن المذيع عبر جهاز التواصل الداخليّ.

... مدينتكم.

لقد بنيتم هذه المدينة بعرقكم ووقتكم، وجعلتموها نموذجًا يقتدي به العالم، ولا شكَّ أنَّ لكلِّ نجاحٍ أعداء، واليوم يريد بعضُهم عرقلة مسيرتكم وهو ما لن تقبلوا به.

إنَّ حقَّكم الدستوريّ في المعلومةِ يُلزمني كرئيسٍ لمجلس

t.me/yasmeenbook

الحكم أن أصارحكم بتعرُّضها لهجومٍ إلكترونيٍّ استهدف نظامنا المعلوماتيّ المركزيّ محاولًا سلبكم ثمرَةَ أعوامٍ من العمل الشاقّ.

قد يلاحظ بعضُكم أنَّ رصيده الماليّ يتناقص من دون مبرِّر. لا تقلقوا، ستتكفَّل الدولةُ بتعويضكم ما فقدتم وزيادةِ كلٍّ منكم رصيدًا إضافيًّا.

في هذه اللحظات العصيبة، لا ينفع أن نختبئ خلف المكاتب المغلقة، علينا أن ندافع جميعًا عن حقِّنا في الحياة، فالحياة بلا عمل موتٌ بطيء. واصلوا أعمالكم، فهناك فِرَقٌ من خيرة العقول البشريَّة تعمل في هذه اللحظات على وقْفِ الهجوم الإلكترونيّ، وأرجو من الجميع تفويتَ الفرصةِ على المخرِّبين، وأطلب من جميع وسائل الإعلام خاصَّةً المرئيَّة والمسموعة مواصلة بثّ هذه الكلمة لأنَّها الوسائلُ الوحيدةُ العاملة حتى الآن، فقد اضطررنا لقطع الإنترنت عن كامل الجزيرة في انتظار حلِّ المعضلة التقنيَّة.. دامت فيوتسيتي رمزًا للمستقبل المزهر، ودامت سواعدُكم قويَّةً تملأ وقتَ الجزيرةِ بالعمل المفيد وجيوبكم بالأموال.

ـ لِنَعُد إلى المذيع.. لخِّص الخطاب.. هل كنت تسجِّل الملاحظات؟

أشار المذيع بأنَّه كان يفعل، وواصل مختور تبديل مقتطفات الخطاب على الشاشة، قبل أن يهتزّ هاتفه في جيبه، فأخرجه ليرى إشارة رسالة: «إذا كانت هذه نهاية العالم، أريد أن أقول لك إنِّي أحبّك..».

ـ تبًّا! لا وقت لديَّ للمزح..

t.me/yasmeenbook

قال مختور وهو يُعيد هاتفَه إلى جيبه، قبل أن يستعيد توازنه وينظر إلى الشاشة التي تحمل صُوَرًا متفرِّقة من العالم، معظمها من خطاب رئيس المجلس، غير أنَّ إحداها كانت من شاطئ فيوتسيتي حيث ميدان النجاة، أكبرُ ميدانٍ في المدينة، وهو ساحة عامَّة تُزيِّنها تماثيلُ متفرِّقة لمراكبَ وأشخاصٍ يحاولون النجاة من الغرق، وتُعَدُّ معرضًا فنِّيًّا دائمًا يقدِّم فيه الفنَّانون أعمالهم لزوَّار المدينة في الهواء الطلق.

كانت الصور الواردة من هناك تُظهر تجمُّعًا بدأ يتزايد وأعينه معلَّقةٌ على شاشةٍ عملاقة بعرض عشرين مترًا، وفيها مراسلٌ لقناة 360 نيوز نتوورك.

ـ هل هذا مراسلنا؟ ماذا يفعل هناك؟

ـ نعم، ذلك مراسلنا. ويقول إنَّه جاهز للمداخلة.

هَتَف صحفيٌّ من قسم التبادل الإخباريّ عند باب غرفة التحكُّم.

ـ تحوَّلْ إلى المصدر السابع.. تأكَّدْ من جودة الصوت.

قال مختور للمخرج وهمس في أذن المذيع: مراسلنا في ميدان النجاة جاهز، يبدو أنَّ مظاهرةً تتشكَّل هناك.

ـ نعم... أسمعك، أنا إبراهيم ولد حيمودة مراسل قناة 360 نيوز نتوورك.. تصادف أنِّي في ميدان النجاة.

ـ شكرًا، إبراهيم... ضَعْنا في صورة الأجواء لديك. هل من ردود فعل على ما يجري؟

ـ نعم، في هذه اللحظة يبدو أنَّ الجميعَ متطلِّعون للاستماع

t.me/yasmeenbook

إلى ما يقول رئيس المجلس، الناس يتجمَّعون هنا ليتابعوا خطاب الرئيس من شاشة عملاقة كانت مخصَّصة للإعلانات، كما تشاهدون في الصور، يبدو أنَّ خطاب الرئيس لا يلبِّي توقُّعاتهم، لا أريد استباق النتائج، لكن دعني أسأل بعض هؤلاء..

ـ سيِّدي، ما رأيك في ما يحدث؟

ـ نحن لا نفهم ما يجري، فوجئنا بانقطاع الإنترنت وتوقُّفِ الساعات عن العمل، كما تعلم ـ نحن نكسب قوتنا من خلال عدد الساعات التي نعملها، وإذا كان الزمنُ قد توقَّف فهذا يعني أنَّ رصيدنا قد تجمَّد، وهذه كارثة.

اقتحم شخصٌ يضع على وجهه قناعًا لساعةٍ بلا عقارب مشهدَ التصوير ساحبًا الميكروفون من يد العامل الذي كان يتحدَّث.

ـ دعني أُخاطب العالم من خلال شاشتكم. إنَّ المجلس يتكتَّم على عجزه عن مواجهة حركة «لا تبع وقتك»، الحركة تمثِّل كلّ إنسان يرفض الخنوع للنظام الماليّ العالميّ المُسمَّى باي يور سلف، إنَّ شعار باي يور سلف شعارٌ برَّاقٌ ومخادع، وبعيدٌ عن الإنصاف! هل يستوي عمل البنَّاء الذي يشيِّد الجسور في لفح الشمس مع مديرٍ جالسٍ في مكتبٍ مكيَّف؟

كيف يستطيع المجلس تقديرَ الوقت الذي يقضيه مصمِّم إعلانات هو يعتصر أفكارًا إبداعيَّة من ذهنه؟ هل ستحاسبه شركته فقط على الوقت الذي قضاه في التصميم، وذلك وقتٌ لا يمثِّل عشرة في المائة من الوقت الذي بذله في التفكير؟ إنَّ نظامهم

t.me/yasmeenbook

البائد استعبادٌ مقيتٌ للإنسان، ونحن فررنا من بلداننا رفضًا للاستعباد والاحتقار، واستوطنَّا هذه الجزيرة لأنَّها ملكنا، ونحن من بناها. المجلس المعيَّن من الأمم المتَّحدة لا يعرف مرارة اللجوء، ولا يُدرك عمقَ المأساة التي واجهناها قبل الوصول إلى هنا، وعليه أن يستقيل، ويجب تغيير الدستور لتكون الكلمة لشعب المهاجرين الأحرار، يختارون من يحكمهم بأنفسهم.

ـ هل أنت من حركة «لا تبع وقتك»؟

ـ كلّنا من هذه الحركة، إنَّها تمثِّلنا جميعًا.

غادر المقنَّع المشهد وهو يُخرج من حقيبةِ ظهرِهِ أقنعةً ورقيَّة يوزِّعها على الجماهير التي صفَّقت بحرارة له فور انتهاء كلمته، وتلقَّف بعضُهم الأقنعةَ مبادرًا لوضعها على وجهه.

في حين كانت قوَّاتُ الأمن تُنزل أفرادها من سيَّاراتها مشكِّلةً حائطًا من الدروع في محيط ساحة النجاة.

ـ أشاهد الآن قوَّات الأمن تنتشر، والجمهور يتزايد في الساحة، ويرتدي أقنعة «لا تبع وقتك». هناك تحرُّكٌ مشبوه، أحد المتظاهرين يُلقي زجاجةً حارقة على سيَّارة الأمن، الوضع يلتهب.. هل تسمعني؟ أنا إبراهيم ولد حيموده.. مراسل قناة 360 نيوز نتوورك.

ـ نعم، نسمعك. ابقَ معنا إبراهيم. نعود للاستوديو، ولكنْ دَع المصوِّر يواصل بثّ الصُّوَر إلينا عبر الأقمار الاصطناعيَّة.

ـ الأمن يقتحم سيَّارة البثّ الآن.. قد تنقطع الصورة في أيِّ وقت.

t.me/yasmeenbook

كانت قوّات الأمن تنتزع الأسلاك الرابطة بين الكاميرا وجهاز البثّ، قاطعةً بذلك الصورة عن ميدان النجاة، وتاركةً المتظاهرين يهتفون بشعارٍ موحَّد، ولكنْ بلغاتٍ متعدِّدة: «لا تبع وقتك».

ـ تبًّا! ما هذا الغباء؟ هل نحن في فيوتسيتي أم في دولة عربيَّة؟

قال المخرج الذي بدا مرتبكًا مع ظهور سوادٍ على الشاشة، وقطع فورًا على صورة المذيع طالبًا منه التعليق على قطع الصور.

نادى مختور على الكفرنوتيّ بصوتٍ هادئٍ متسائلًا هل الصور التي كانت تَرِد من المتظاهرين جاهزةً لإعادة البثّ.

ـ ليس بعد.. لست روبوتًا يا مختور! وهدوؤك هذا يقتلني.

ـ قبل أن تموت جهِّز لي الصور، لا وقت لديَّ لانتظار تكليف صحفيّ بها، اعطني إيَّاها قطعةً واحدة بلا مونتاج.

ـ هل ستُعيد بثَّها من دون استشارة العنطلاويّ... دي صُوَر معارضين يا باشا.

ـ طبعًا، سأُعيد بثَّها من دون الرجوع إليه، وإن كان لديه اعتراضٌ فليتفضَّل إلى غرفة التحكُّم.

ـ هل يمكن أن نبثّ خطاب الرئيس مرَّةً أخرى.. قال العنطلاويّ الذي كان يسمع حديث الكفرنوتيّ ومختور من دون أن يعلِّق عليه.

ـ لقد أعدناها عشر مرَّات.. أحتاج صُوَر المتظاهرين، فقد كنَّا القناةَ الوحيدة التي تبثّها.

ـ وكالات الأنباء تريد الصور التي بُثّت قبل قليل على

t.me/yasmeenbook

شاشتكم، يبدو أنَّكم كنتم المصدر الوحيد لها.. قالت ميلسين وهي تقتحم غرفة التحكُّم وعطرُها الفوَّاح يغمر الغرفةَ المكتومة.

ـ تحدَّثي مع العنطلاويّ في ذلك.

ردَّ مختور من دون النظر إليها، منشغلًا بكتابة ملخَّصٍ لخطاب المتظاهر المقنَّع.

نظرتْ إليه نظرةً ملؤها الإعجاب والاحتقار معًا، كيف لا يكلِّف نفسه عناء النظر إلى طلعتها البهيَّة، فيما كان الكفرنوتيّ هائمًا في الفتحة الظاهرة على آخر تنُّورة ميلسين جانبيور حاسدًا قماشها الذي يلامس بشرتها الطريَّة.

ـ انجز يا عارف.. اعطني الصور بسرعة.

قال مختور مدركًا أنَّ عارف الكفرنوتيّ لن يصمد أمام وقفة ميلسين..

ـ حاضر يا باشا.. ثوانٍ وتكون عندك.

ـ معذرةً، السيِّد الوزير: نحن لسنا في نواكشوط، هذه فيوتسيتي، ولا تملك الدولة فيها حقّ التدخُّل لوسائل الإعلام في ما تنشر أو لا تنشر، الدستور صريحٌ في ضمان حرِّيَّة التعبير، وإذا كانت لديكم نسخةٌ أخرى من الدستور غير التي شاركتُ شخصيًّا في صياغتها، فأرجو إرسالها إليَّ للاطِّلاع عليها قبل اتِّخاذِ قرار.

قال العنطلاويّ ذلك ووجهه المستدير يكاد ينفجر غضبًا، فلديه حساسيَّةٌ مفرطة من وزارة الداخليَّة، خاصَّةً حين يكون الوزير من أصولٍ موريتانيَّة، فقد جاء إلى هنا هربًا من ملاحقة أجهزة الأمن الموريتانيَّة له بعد تحقيقٍ كشف فسادًا حكوميًّا تنازلت فيه

t.me/yasmeenbook

الحكومة عن مناجم الفوسفات لخواصّ مقرَّبين من الرئيس.

ـ كلامُك صحيح عندما تكون الظروف عاديَّة، لكنَّه مرفوضٌ حين تكون البلاد في حالة طوارئ.

قال الوزير بصوتٍ مسموع من هاتف العنطلاويّ الذي وضع المكالمة على مكبِّر الصوت مشيرًا إلى الكفرنوتيّ بتدوين التصريح.

ـ هل هذا تصريح رسميّ من سيادتكم بفرض حالة الطوارئ على الجزيرة؟

ـ نعم، هذا تصريح رسميّ.

ـ دعني أحوِّل مكالمتك على غرفة التحكُّم لتقول هذا الكلام للجمهور العامّ... إعلان حالة الطوارئ يا مختور.. اكتب بذلك عاجلًا على الشاشة.

ـ ليس لديَّ وقت لهذه الترّهات.. أعتقد أنَّ كلامي واضح، لا تعيدوا بثّ تلك الصور، وإلَّا سيكون ذلك انتهاكًا صارخًا للقانون وستحاسَبون عليه.

ـ الصور على الشاشة يا سيادة الوزير، وسيستمرّ بثّها بالتناوب مع خطابِ رئيس المجلس، هذا هو قرار إدارة التحرير، أيّ شيءٍ غير ذلك يمكن أن تتفضَّل إلى هنا لنناقشه عن قرب... شكرًا لك.

وقطع العنطلاويّ المكالمة من دون انتظار ردّ الوزير، ملتفتًا إلى مختور الذي كان في غاية الانسجام مع محيطه، وهو يكتب العاجل على الشاشة طالبًا من المذيع التنويه به، في حين كانت

t.me/yasmeenbook

ركبة الكفرنوتيّ ترتجف بعصبيَّة حين نظر إليه العنطلاويّ.

ـ ما لك ترجف هيْك.. أنت لست في مصر، هذه فيوتسيتي، التي كنتُ أوَّلَ الواصلين إليها قبل وصول هذا الإمعة بخمس سنوات.

ـ آه.. بس كده إنت تخّنتها قوِي.. تقطع المكالمة في وجه الوزير؟!

ـ وفي وجه الرئيس إذا كان يريد التدخُّل في عملي.. هل يملك أيٌّ منهما أسهمًا في 360 نيوز نتوورك.

ـ لا يا باشا.. ربِّنا يستر.. وتْعدِّي الأزمة دي على خير.

ـ أو ما تعدِّيش.. تبًّا لك يا كفرنوتيّ! تخلَّص من عقليَّتك العربيَّة.. أنت صاحب القرار هنا. هذه أموالك التي حصَّلتها بعرقك وكدحك، أنت صاحب فكرة القناة، وأنت الذي كنت تحلم بقناة تلفزيونيَّة لا تملك الدولة سلطةً عليها، لماذا تتخلَّى عن حلمك مع أوَّل امتحان؟!

ـ أنا لا أتخلَّى يا باشا.. أنا فقط لا أقف في وجه الموجة.. البحر علَّمني ذلك.

ـ أحدُ المتظاهرين يتَّصل ويقول إنَّ الأمن اعتقل إبراهيم ولد حيمودة وعددًا من المتظاهرين، وأنَّ المظاهرة تحوَّلت إلى اشتباكٍ عنيف مع قوَّات الأمن.

قال صحفيّ من قسم التبادل الإخباريّ، مخاطبًا مختور.

ـ حوِّلْ مكالمته على الهواء.. ما اسمه.

ـ يقول إنَّ اسمه ماسالوفي غوتانير..

t.me/yasmeenbook

ـ هل يتحدَّث العربيَّة.. إنَّه يتحدَّث بالإنجليزيَّة. دعني أسأله.

ـ نعم.. لكن عربيَّته ضعيفة.

ـ لا مشكلة. حوِّله على الهواء... سيكون معك شاهدٌ عيان من ميدان النجاة اسمه ماسالوفي غوتانير.. استطلعْ منه الأوضاع في الميدان.

ـ ماذا لديك ماسا...

ـ اسمي ماسالوفي غوتانير.. أنا مهندس في شركة الكطارات، نزلت إلى الميدان بعد التوكُّف المفاجئ للشبكة، كوَّات الأمن تتلك الغازات والكنابل الصوتيَّة.. اعتكالات بالعشرات في صفوف المتزاهرين من بين المعتكلين مراسلكم وكذلك كلّ من على وجهه كناع «لا تبع وكتك»، لكنَّ أفواجًا جديدة من المتزاهرين تصل الآن إلى الميدان من جهات متعدِّدة.. وأصحاب مراكب الصيد عادوا بالعشرات للاندمام إلى المتزاهرين..

ـ هل قوَّات الأمن تسيطر على المشهد؟

ـ لا يا سيِّدي.. ما أراه الآن أنَّ المتزاهرين تمكَّنوا من استعادة سيَّارة البس التي كانت مع مراسلكم.. كما أنَّهم خلَّصوا عددًا من المعتقلين بعد كلب سيَّارة الاحتجاز.. أحدهم الآن يكود سيَّارتكم إلى وسط الميدان.. وأنا أتحرَّك باتِّجاهه.. مراسلكم على مكربة منِّي..

ـ هل يمكن أن تمرِّر الهاتف إليه؟

t.me/yasmeenbook

ـ نعم.. أنا معك.. أنا إبراهيم ولد حيمودة من ميدان النجاة.. الوضع ملتهب تمامًا.. المتظاهرون سيطروا على عدد من سيَّارات قوَّات الأمن التي يبدو أنَّها لم تكن مستعدَّةً لهذا الموقف بما يكفي.. الآن سيَّارة البثّ معنا، وسنعود للبثّ بعد قليل.

ـ الحمد لله على السلامة.. سلامتكم قبل شيء.

ـ أنا إبراهيم ولد حيمودة.. أحدِّثكم من ميدان النجاة.. الصورة يُفترض أن تكون وصلتكم الآن.. هل وصلتكم الصورة؟..

ـ نعم، الصور مشوَّشة قليلًا، لكنَّها تصل.. تفضَّل بالحديث من الهاتف حتى تتَّضح الصورة.. الصورة واضحة الآن.

كانت الصورة تُظهر مئاتٍ من المتظاهرين يتراشقون بكلِّ ما في أيديهم مع الشرطة، وفيها ظهر المراسل إبراهيم ولد حيمودة وهو ينفض الغبار عن رأسه، ويحاول ترتيب سترته المتَّسخة.. ويسحب المتظاهر الذي كان يتحدَّث معه، ظهر على الشاشة المتظاهر واضعًا قناع حركة «لا تبع وقتك».. وأمسك الميكروفون قائلًا:

ـ مهمَّتي انتهت هنا.. سأترك الميكروفون لكم.. كنت فكط أريد أن أكول لوزارة الداخليَّة أنَّ كلّ واحد من المتزاهرين سيكون مراسلًا لكناة 360 نيوز نتوورك... أشكر لكم عملكم.

ـ شكرًا لك.. كما تشاهدون في الصور الوضعُ متقلِّب، وهناك إقبال وإدبار من قوَّات الأمن، ويبدو أنَّ المتظاهرين قطعوا

t.me/yasmeenbook

عنها طريق الإمداد.. حين أغلقوا كلّ الطرق المؤدِّية إلى الشاطئ.. أشاهد الآن بعض رجال الأمن المنهكين يخلعون ملابسهم الرسميَّة..

تحوَّلت الكاميرا إلى مشهدٍ لبعض رجال الأمن يتسلَّمون قوارير مياه من المتظاهرين، ويخلعون ملابسهم، ومنهم من يضع قناع «لا تبع وقتك» على وجهه.

وفجأةً، تحوَّلت كلّ الشاشات في غرفة الأخبار إلى سوادٍ حالك.

ـ ماذا حصل؟.. صرخ الجميع بصوت واحد.

خرج العنطلاويّ من مكتبه بقدر ما سمح له جسمه الضخم من سرعة، ووقف الكفرنوتيّ واضعًا يديْه على رأسه.

ـ يبدو أنَّ الكهرباء قُطعت عن البناية.

قال مختور من دون أن يرفع عينيْه عن الشاشة السوداء التي عكست وجهه المُرهَق.

ـ فعلها الوزير النذل.. شغِّلوا المولِّدات الاحتياطيَّة فورًا.

صرخ العنطلاويّ بقوَّة قبل أن تلمع مصابيح السقف برجفةٍ خفيفة وتعود الإضاءة إلى الشاشات تدريجيًّا، وتُعيد أجهزة الكومبيوتر التشغيل.

ـ تفضَّل.. معنا سيادة المدير.

قال خمسةٌ من رجال الأمن المدجَّجين بالسلاح.

ـ هل لديكم إذنٌ من النيابة العامَّة باقتحام ملكيَّة خاصَّة.

t.me/yasmeenbook

كانت ذراع العنطلاويّ تُلَفُّ خلف ظهره من طرف ثلاثة من الرجال قبل أن يُكمل كلمته.

ـ القناة في عهدتكما.. لا تبيعا وقتكما.

قال العنطلاويُ مخاطبًا مختور والكفرنوتيّ من دون أن يتمكَّن من النظر إليهما، وقوَّات الأمن تسوقه بصعوبةٍ إلى مدخل سلّم الطوارئ.

ـ يا دي النيلة.. ماذا سنفعل الآن؟

قال الكفرنوتيّ مخاطبًا مختور الذي كان يعبث بهاتفه قديم الطراز، مقطّبًا جبينه بهدوء، في انتظار اكتمال إعادة تشغيل أجهزة غرفة التحكُّم.

ـ أزمة وستمرّ.

ـ برودتك هذه تخنقني..

قال الكفرنوتيّ مغتاظًا من مختور، الذي لم يزد على ابتسامةٍ خفيفة، وواصل العبث بهاتفه بتركيز.

t.me/yasmeenbook

7

ـ تلقَّيت اتِّصالا من وادي السليكون يقولون إنَّهم استعادوا السيطرة على الشبكة، وأنَّ الڤيروس لم يقم بأيِّ عمل تدميريّ سوى وقف عمل الساعات، ثم أعاد تشغيلها من جديد، وسحب نفسه من دون أيِّ أثر يمكن تعقُّبه.

قال رئيس الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة الذي كان يمسح العرق عن جبهته على الرَّغم من أنَّ حرارةَ غرفة المراقبة المطلَّة على مركز الخوادم في البنك المركزيّ لفيوتسيتي كانت في واحدة وعشرين درجة.

ـ كيف يُعقل ذلك؟ ما زال النشاط التدميريّ للڤيروس على أشدِّه في خوادمنا؟

ردَّ الجملوديّ الذي بلغ منه الإنهاك أقصى درجاته، ولم تعد أصابعه قادرةً على مواكبة كتابة الرموز الغامضة الظاهرة على الشاشة الكبيرة المعلَّقة على جدار غرفته.

t.me/yasmeenbook

ـ ويبدو الحال نفسه عند سِيول.

أضاف ممثِّل اتِّحاد العقول المهاجرة، وقد بدأ اليأس من كسر الدائرة اللولبيَّة لنشاط الڤيروس يؤثِّر على معنويَّاته.

ـ كم الساعة الآن إذًا؟

ـ الخامسة والنصف فجرًا في كاليفورنيا.

ـ يعني أنَّها الحادية عشرة والنصف في فيوتسيتي.. مرَّت ساعتان تقريبًا على بداية الكارثة، كيف لم أشعر بمرورها!؟

تساءل حمّود الجملوديّ، وكأنَّه يحدِّث نفسه.

ـ يمرّ الوقت سريعًا حين تكون منشغلًا!

ـ الوقت لا يغيِّر سرعته، لا يُبطئ ولا يُسرع، تلك خرافات العقول الفارغة، عقول من يبحثون عن أعذارٍ لفشلهم.

استغرب المهندسان المتبرِّعان بالمشاركة في البحث عن حلولٍ لأزمةٍ لا تعنيهم على المستوى الشخصيّ من ردّ الجملوديّ، وتبادلا النظرات بينهما، من دون أن يقولا شيئًا.

ـ اللعنة... متى تنتهي هذه الدائرة الفارغة! أفكلَّما أُغلقت ثُغرةٌ ذاتيَّة الإنشاء يخلق هذا اللعين ثُغرةً أخرى.. كم وصل مستوى التدمير عندك؟

صرخ الجملوديّ بذلك وهو يضع يديْه على عينيْه ويُرجع رأسه قليلًا إلى الوراء، ومخاطبًا مساعده العاكف على المراقبة.

ـ 37 في المائة، سيِّدي. ويبدو أنَّه استعاد سرعته.

ـ هذا لأنَّه تفرَّغ لنا.. إذا كان انسحب من دون أثر من الأماكن الأخرى.

t.me/yasmeenbook

أوقفوا نظام «ادفع لنفسك». ظهرت هذه الرسالة على جميع شاشات الأجهزة التي يعمل عليها مهندسو البنك المركزيّ، ولم تفلح كلّ محاولاتهم في تغييرها.

ـ فقدت القدرةَ على الدخول إلى النظام.

زعق الجملوديّ في استغاثةٍ يائس، وملتفتًا إلى بقيَّة الفريق، لكنَّ الوجومَ على وجوه البقيَّة كان واضحًا، فجميعُ شاشاتهم تحمل الرسالة ذاتها.

ـ أريد جميع فريق الأمن الإلكترونيّ هنا معي في البنك المركزيّ.

قال الجملوديّ متحدِّثًا في هاتفه، مخاطبًا وزير الداخليَّة.

ـ إنَّنا نفقد السيطرة على المدينة، وكلّه بسبب جشعك، فليأتِ فريقُك إلى مقرِّ الوزارة فورًا.

ـ هذا ليس وقتًا لتنازع الصلاحيَّات، أحتاج جميعَ مهندسيكم هنا معي، فقد فقدنا السيطرة على الخوادم المركزيَّة.

ـ سأُحيلك إلى رئيس جهاز الأمن الرقميّ.. إنَّه معك الآن.. تحدَّثا بلغتكما الغريبة، وافعلا ما تريانه ضروريًّا، لكنْ أوقفوا هذه المهزلة فورًا.

ـ لم نعد قادرين على الدخول إلى الشبكة، جميع الأجهزة تحت سيطرة الأعداء.

قال مدير الأمن الرقميّ، وهو يجول بين عشرات المهندسين الجاثمين على مكاتبهم في قاعةٍ بطول مائة متر وعرض خمسين، وقد تربَّعت على جميع شاشاتها صورةٌ لساعة بلا عقارب، وجملةُ

t.me/yasmeenbook

«أوقفوا نظام ادفع لنفسك» تظهر وتختفي كلّ ثانية.

في مكتب وزير الداخليَّة الواقع في الدُّور الثالث والسبعين من مبنى الحكومة، كان الوزير محمود ولد هاشم يقلِّب ملفًّا أزرق بين يديْه، ويُنزل نظَّارته قليلًا على أنفه الكبير، ثم يُعيدها من جديد، قبل أن يُخرج ورقةً عليها نسخةٌ من صورةٍ فوتوغرافيَّة لفتاة في منتصف العشرينيَّات وهي تجلس مسندة ظهرها إلى شجيرة سرو وخلفها نخيل، ويرفع رأسه مخاطبًا مدير قناة 360 نيوز نتوورك:

ـ هل تعرف هذه الصورة؟

ـ نعم، أعرفها.. وما علاقتها بالموضوع!

أجاب حطَّاب العنطلاويّ الذي حُشر بين جنبات كرسيٍّ ضيِّق لا يلائم حجمه، فبدا محصورًا وزوائد جسمه تتدفَّق مغطِّيةً طرفَي الكرسيّ الصغير.

ـ هذا الملفّ كفيلٌ بتحويلك إلى ثلاث محاكم، أكثرها عدلًا محكمةُ الجنايات الموريتانيَّة، ففيه أدلَّةٌ دامغة على تزييف مستنداتٍ رسميَّة بقصد التأثير على اقتصاد دولةٍ مستقلَّة، وهروبٍ من مسرح جريمة، وتكفي مكالمةٌ واحدة لتجد نفسَك بين يدَي الأمن الموريتانيّ.

ـ أنا مواطنٌ مؤسِّس لفيوتسيتي، ولا تملك أنت أو غيرك حقَّ تهديدي بهذه الأوراق السخيفة.

ـ لا أحد فوق القانون. هذه هي القاعدة الأولى من الدستور الذي شاركْتَ سيادتك في صياغته.

t.me/yasmeenbook

ـ ولأنّي شاركتُ في صياغته فقد حرصتُ أن ينصّ على منع تسليمِ أيِّ مواطنٍ أو لاجئٍ في فيوتسيتي إلى أيِّ دولةٍ أخرى في العالمِ، وأن يُحاكم إذا توافرت الأدلَّة الكافية على تهمته في أرض فيوتسيتي.

ـ هذا صحيحٌ تمامًا، لكنَّك نسيت أنَّ الدستور ينصّ على أنَّ رئيس مجلس الحكم، وفي الظروف القاهرة التي تهدِّد الحياة الآمنة، يمكنه بالتشاور مع أعضاء الجهاز التنفيذيّ إعلانَ حالةِ طوارئ، وإيقاف العمل بهذا الدستور لمدَّةٍ لا تزيد على ثلاثين يومًا، في انتظار تعيينِ رئيسٍ جديدٍ من طرف الأمم المتَّحدة.

ـ لم تأتِ بي مكبَّلًا إلى هنا لنقاش الدستور.

ـ لا، وإنَّما جئتُ بك لأعرف منك علاقتك بحركة «لا تبع وقتك»، فقد وثَّق الضبَّاط الذين اعتقلوك أنَّك قلت لزملائك قبل مغادرتهم: لا تبيعوا وقتكم.

ـ لا يُخفى عليك أنَّ هذا التعبير دارجُ الاستخدام في فيوتسيتي منذ إطلاق عملة الوقت تيكوين، ولا يحمل أيَّ إدانة؛ فمنذ صار الحصول على المال مرتبطًا بالوقت، بات الناس يعتبرونه البضاعة الأثمن، وبدلًا من عبارة لا تضيِّع وقتك صاروا يقولون لا تبع وقتك.

ـ فِكُّوا وثاقه واتركونا وحدنا.

قال وزير الداخليَّة للضبَّاط الواقفين خلف العنطلاويّ، فبادر أحدهما بفكّ وثاقه، ثم غادروا المكتب.

وقف العنطلاويّ معتمدًا على مسند الكرسيّ، ودلَّك ساعديْه

t.me/yasmeenbook

اللذين أثَّر فيها الرباط البلاستيكيّ، وتَبِع الوزير الذي كان يُشير إليه إلى شرفة المكتب.

ـ انظر من هنا، وأخبرني ماذا ترى؟

ـ مكتبي في الطابق الثامن والتسعين، وأمتلك رؤيةً بانوراميَّة للمدينة أوسع وأجمل من شرفة مكتبك التي لا تقف فيها إلَّا وقت التدخين.

كان الوزير يُشعل سيجارته، وظهرت ملامح وجهه السمراء موغلةً في التأمُّل، وبعيدةً عن الشخصيَّة القاسية التي كان عليها قبل قليل أمام ضبَّاطه، أخذ نَفَسًا عميقًا من سيجارته، والتفت إلى العنطلاوي قائلًا:

ـ هل تظنّ الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة، والولايات المتَّحدة، والاتِّحاد الأوروبيّ وكلّ الشركات والمنظَّمات المساهمة في هذه الجزيرة، قرَّروا بناء هذه المدينة، وتوفير العمل لأكثر من تسعمائة ألف شخص، ابتغاء مرضاة الله أو لسواد عيون المهاجرين، شفقةً من موتهم في عُرض البحر؟

ـ بل فعلوا ذلك لأنَّ مصالح الجميع التقت على هذه الجزيرة، ولأنَّ العرض الذي قدَّمه اتِّحاد العقول المهاجرة كان مقنعًا، ومثَّل حلًّا توافقيًّا وجنَّب البشريَّة صراعًا ثقيلًا كان سيكلِّفها حربًا عالميَّة على جزيرةٍ لن يقبل طرفٌ بسيطرة الآخر عليها.

ـ وهل تظنّ أنَّ كلّ هؤلاء سيقفون الآن متفرِّجين على ما يحصل، ويصفِّقون للثورة والحلم الشبابيّ، ويعطِّلون العمل بنظامٍ يوفِّر لهم أكبر طاقةٍ إنتاجيَّةٍ شهدتها البشريَّة في تاريخها؟

t.me/yasmeenbook

ـ اسمعني.. أنا مدير أكبرِ شبكةٍ إعلاميَّة، وأوظِّف عشراتِ العقول المبدعة، ولم أفكِّر يومًا أنَّ نظام باي يور سلف غير عادل، ولكنَّ اليوم مع توقُّف الزمن وتسارع الأحداث، تذكَّرت كلَّ شيءٍ مررت به، وفكَّرت في العمل الذي يقوم به الموظَّفون عندي، وكيف أنَّه من الظلم أن يُحاسَبوا على ساعاتِ عملهم فقط، في حين أنَّهم يقضون أكثر منها تفكيرًا في تطوير وإنجاح المشروع الذي يؤمنون به، وأيقنت أنَّ كثيرًا منهم لا يعمل من أجل مالٍ لا يمسكه بيده، بل مجرَّد أرقامٍ مخبَّئة افتراضيًّا في محفظةٍ إلكترونيَّة مرتبطة بهاتف ذكيّ.

ـ ارفع يديْك في مكانٍ يجعلني أراهما بوضوح.

قطع صوتُ اقتحام مكتب الوزير حديثه الهادئ مع العنطلاويّ، وفوجئ الاثنان بكتيبةٍ مدجَّجة بالسلاح يقودها مدير الأمن الرقميّ، تشهر فوَّهات بنادقها الآليَّة باتِّجاه الوزير.

نظر العنطلاويّ إلى نفسه، وإلى الوزير، ثم ألقى نظرةً من الشرفة على الشارع المقابل الذي كان يعجّ بمزامير السيَّارات المزدحمة، وعشراتِ الأشخاص المتَّجهين إلى الشاطئ.

ـ هل جُنِنْت.. أنا وزير الداخليَّة محمود ولد هاشم، كيف تتجرَّأ على تهديدي بالسلاح.

ـ القانون فوق الجميع، هكذا ينصّ الدستور.. أنت متَّهم بالتورُّط في جريمة إطلاق ڤيروس إلكترونيّ أوقف العمل في الخوادم المركزيَّة، وإصدار قرارٍ بقطع شبكة الإنترنت عن الجزيرة، من دون اتباع المسطرة القانونيَّة، وقد عطَّلْتَ بذلك

t.me/yasmeenbook

مصالح جميع سكّانها... وفق نصّ القانون يحقّ لك التزام الصمت، وأيّ كلمةٍ تقولها ستكون مسجَّلة، وقد تُستخدم في محاكمتك.

اقتاد الجنود وزير الداخليَّة، فيما بقي العنطلاويّ مندهشًا، يقلِّب نظره بين الضبَّاط الصامتين وأيديهم على الزِّناد، وبين الوزير المستسلم مستغربًا، قبل أن يصرخ به أحد الجنود.

ـ أنت أيُّها البدين، غادر فورًا، فمكتب الوزير محجوزٌ للتحقيق.

التقط العنطلاويّ الملفّ الأزرق الذي كان على طاولة الوزير في غفلةٍ من الجنديّ الأخير الذي كان يُغادر المكتب، وأدخله تحت سترته المبلَّلة عرقًا، وخرج من دون أن يقول له أحدٌ شيئًا.

t.me/yasmeenbook

8

استقبل من في غرفة الأخبار العنطلاويّ بالترحيب والعناق، وأعاد إطلاقُ سراحه قليلًا من الأمل إليهم، بعدما لعبت الظنون بتفكيرِ كثيرٍ منهم، وخشي بعضُهم أن تمتدّ سطوةُ الدولة إلى قناة 360 نيوز نتوورك فتغلقها، وذلك ما يعني قَطع مصدرِ دخلٍ يوميٍّ في جزيرةٍ لا مكانَ فيها لمن لا يعمل.

ـ الحمد لله على السلامة يا باشا.. طمِّنَّا عليك.

قال الكفرنوتيّ وهو يغادر غرفة التحكُّم بعدما اطمأنَّ على سير التغطية على أكمل وجه، وانتشار مراسلي القناة في مناطق مختلفة من المدينة، وعانق العنطلاويّ الذي كان يتلفَّت إلى هذا الجانب أو ذاك، باحثًا عن شخصٍ آخر:

ـ أين مختور؟

ـ تجده في قاعة الاستراحة، خرج قبل ثوانٍ. يقول إنَّه

t.me/yasmeenbook

سيأخذ ساعة استراحته اليوميَّة... تعرف مختور؛ انقلابُ الكونِ لا يمنعه من شرب شايِهِ.

كان مختور لاهيًا في هاتفه قديم الطراز، وظهر أنَّ اقتحام العنطلاويّ لخلوته لم يسرّه، إلَّا أنَّه وقف مرحِّبًا به، قائلًا:

ـ هذه ساعة استراحتي، تحتاج انتحار رئيس الولايات المتَّحدة على الهواء، أو فوز موريتانيا بكأس العالم حتى أقطعها.

ضحك العنطلاويُّ الذي نادرًا ما دخل قاعة الاستراحة الفسيحة المزوَّدة بأساسيَّات المطبخ وبعض الكراسي المتناثرة، وفي سقفها شفَّاطات للدخان، وفي زاويتها سجَّادةٌ بعرض مترين بجانبها موقدٌ كهربائيٌّ وعدَّة شايٍ موريتانيَّة، حيث كان مختور متَّكئًا على جانبه يكتب شيئًا ما في هاتفه العتيق.

ـ لا يا زلمة.. جاي أعزم نفسي على الشاي الموريتانيّ.. إذا ما عندك مانع.

ـ على الرحب والسعة، فاتك الكأس الأوَّل.. ولكن الوسطاني قريب.

ـ إيش السرعة هذي!

ـ أتاي ليس كيسًا ورقيًّا يوضع في ماءٍ ساخن ويكون جاهزًا خلال دقيقتيْن، أتاي له أصولٌ لا تعترف بقوانين فيوتسيتي.

ـ بتقول لي.. ما أنا عارف، كنت إذا ما اشربتو بصدّع..

قال العنطلاويّ وهو يجلس بصعوبة محاولًا التربُّع على السجَّادة بالطريقة العربيَّة..

ـ والله يا زلمة صار لي زمان ما تربَّعت على الأرض.

t.me/yasmeenbook

ـ النمط الغربيّ يسلبنا كلّ شيء.

ـ خلِّينا من الفلسفة والسياسة بكفِّي اللي حنشوف لمَّا نرجع غرفة الأخبار، والله إنَّك زلمة غريب.. في حدْ بعدو بشغِّل هيْك نوع من التليفونات؟!

نظر مختور إلى هاتفه الصغير الأسود، مقلِّبًا إيَّاه بين يديْه ومعلِّقًا:

ـ سيعجبك!.. أشحنه مرَّةً واحدة كلّ أسبوع، أطمئنّ فيه على مزرعتي، وتصله رسائل الحساب البنكيّ نهاية اليوم.. ولا أحتاج أكثر من ذلك.

ـ وكيف تعيش من دون إنترنت ولا شبكات تواصل اجتماعيّ.

ـ ما لي ولها، إذا احتجت الإنترنت فلن يكون ذلك إلَّا لأمرٍ طارئ، ـ وهو شيءٌ نادر الحدوث ـ وحينها آتي إلى المكتب، ما سوى ذلك أستمتع بالحياة التي تفوِّتونها.

ـ عن جدّ ما عندك أيّ سوشيال ميديا؟

ـ لا والله، أساسًا عندي خمسةُ أشخاصٍ أتواصل معهم، أنت ـ للضرورة القصوى ـ والبنك والكفرنوتيّ والآنسة جانبيور وراعي مزرعتي.

ـ وين مزرعتك؟... يا أخي أيَّامي في موريتانيا كانت غاية في الجمال، لولا أنَّ النظام عندكم لم يتحمَّل برنامجي الاستقصائيّ.

t.me/yasmeenbook

ـ مزرعتي في ضواحي مدينة النعمة في أقصى الشرق الموريتانيّ.

أجاب مختور من دون أن يعلِّق على مساعي العنطلاويّ لجرف الحديث إلى مسار التغنِّي ببطولاته، ثم أنزل الإبريقَ على لوحٍ خشبيٍّ وملأ منه كأسًا، ثم وضع السكَّر والنعناع وأعاد الشاي من الكأس إلى الإبريق، وترك مكوِّناته يمتزج بعضها ببعض في هدوء.

ـ حين رأيت الحياةَ اللاهثة في فيوتسيتي استغربتُ كيف ستنظر الأجيال اللاحقة إلينا، فلو قيل لأحدِ أفرادِ الجيل الثالث ممَّن سيولدون هنا إنَّ جلسة الشاي هذه تحتاج خمسًا وأربعين دقيقةً لاعتبرها عقوبة.

قال مختور وهو يبادل محتوى كؤوس الشاي لإضفاء رغوةٍ على كؤوسه.

ـ والله يا أخي لا أعرف، هل المشكلة فينا أم في الزمن، ما الذي نبحث عنه؟ منذ بدأ العالم كانت الساعة ستِّين دقيقة، لم يتغيَّر شيء، لكنَّها لم تعد تكفي ما كان يفعله فيها من كان قبلنا.

لم يعلِّق مختور على كلام المدير الذي نسي لوهلةٍ ما يدور حوله، وأخذته جلسةُ الشاي هذه إلى لحظةٍ خارج الزمن، قبل أن يشير إليه مختور أنَّه يجيب مكالمة واردة:

ـ ما شاء الله.. إيَّاك الخير.

لم يسمع المدير المتحدِّث على الطرف الآخر، لكنَّه قرأ من ملامح مختور أنَّ الأمر ليس خطيرًا.

t.me/yasmeenbook

ـ لا، لا، ما شاء الله! الأمور بخير، هوْن مظاهرات، والدنيا متخلِّطة، ولكنْ أنا بعدُ بخير وزهو في المكتب.

ـ . . .

ـ يبشّرك بالخير، أيوه شوف يكان حذاك حدّ محتاجهم جيب لو لبنهم.

ـ . . .

ـ أنت هو الشيخ. . شوف ذاك المناسب. . مع السلامة.

ـ الأرض قرية صغيرة فعلًا، هذا راعي المزرعة يقول إنَّه سمع في الإذاعة خبرًا عن الأحداث في فيوتسيتي، وأراد أن يطمئنَّ عليّ، كما أخبرني أنَّ إحدى بقراتي ولدت عجلة. . وهذا حدثٌ عظيم.

قال مختور وهو يمدّ يده بالكأس إلى العنطلاويّ الذي كان يكابد للوقوف بعد جلسةٍ لم يكن معتادًا عليها، وقد أعادته المكالمة إلى واقعه.

ـ سأتركك، لا تُطِلْ استراحتك، فالدنيا مشتعلةٌ في الخارج.

نطق العنطلاويّ كلماته متقطِّعة بين رشفات كأسه التي هزَّها بإعجاب، وأعادها إلى مختور، فتسلَّمها من دون أن يعلِّق على طلب المدير، فكلاهما يعرف أنَّ مختور لن يتحرَّك قبل أن يشرب كأسه الثالثة.

هزَّ مختور رأسه يمينًا وشمالًا، محاكيًا حركة أرداف العنطلاويّ، وخطر له أنَّه لو كان امرأةً ترتدي ملحفةً من النيلة وتلوك مسواكًا من الأراك لكان محلّ إعجابٍ من كثيرٍ من الرجال

t.me/yasmeenbook

الموريتانيِّين الذين لم تتغيَّر نظرتهم إلى الجمال المرتبط بالنساء البدينات، ثم ابتسم ساخرًا من الفكرة، ومن نفسه.

فرغم إحاطته بكثيرٍ من العلوم التطبيقيَّة، وقدرته الفائقة على تخزين كلّ شيء يلمحه بصره، ومقامه خارج موريتانيا لأكثر من عشرين عامًا ـ إذا حسبنا سنوات الغيبوبة ـ إلَّا أنَّه ما زال عاجزًا عن تطوير منظومته القيميَّة.

فلا تطربه إلَّا موسيقى البيظان بأشوارها وتدينيِّتها وآردينها، ويستحسنُ غناءَ المرحومة ديمي بنت آبه، والفنَّان الراحل الشيخ سيِّد أحمد البكاي ولد عوه، ويكره المرأةَ المدخِّنة، ولا يميل إلى النحيفات، ويُثير المكياجُ اشمئزازه، وأفضل المأكولات عنده كبد الإبل وسنامها، ولا يطيب له المقام إلَّا في مزرعته التي تخلَّى عن وظيفة رئيس قسم التطوير البرمجيّ في إحدى شركات الأمن الرقميّ الروسيَّة، ليعود إلى موريتانيا ويختار بقعةً خالية من البشر، ويسيِّج مساحةَ أربعة كيلومترات مربَّعة جامعًا فيها نوادر الحيوانات والطيور، ليعود إليها ثلاث أو أربع مرَّات كلّ عام.

ولا يعرف إن كان الروبوت الراعي الذي صمَّمه للعناية بها سينازعه ملكيَّتها يومًا.

رنَّ الهاتف في يده مظهرًا اسم الكفرنوتيّ على شاشته المربَّعة، فصبَّ كأسًا من الإبريق وفتح الخطّ:

ـ يا عمِّي تعال.. الدنيا ولعت وأنت قاعد تشرب شاي.

ـ سبع دقائق وسأكون هناك..

t.me/yasmeenbook

ـ كيف تعرف أنَّها سبع دقائق.. هو أنت عندك ساعة تشتغل..؟

نظر مختور إلى هاتفه وساعته تشير إلى الساعة الواحدة ظهرًا واثنتيْن وخمسين دقيقة، وقال من دون أن تتغيَّر نبرةُ صوته.

ـ إذا غلا الابريق فقد مرَّت أربع دقائق، وثلاث دقائق كافية لصبّ الكأس.

ـ يا عمِّي، فُكَّك من الهزار.. تعال ساعدني. الدنيا مولَّعة، واحتمال تتحوَّل الثورة لأحداث عرقيَّة.

ـ جيتك.. حنيني نشرب كاسي.

لم يكن حديث الكفرنوتيّ عن البُعد العرقيّ ممَّا خطر بباله. أعاد النظر إلى هاتفه وهو يصبّ الكأس قبل أن يكتمل غليان الإبريق، وترك عدَّةَ الشاي في مكانها، وغادر بتمهُّلٍ إلى غرفة الأخبار المشتعلة.

ـ المظاهرات القادمة من الحيّ الشماليّ ترفض الانصياع لمطالب حركة «لا تبع وقتك»، والمتظاهرون في ميدان النجاة والأحياء الجنوبيَّة والغربيَّة يصرُّون، ويرفعون شعاراتٍ سياسيَّة تطالب بإلغاء الوصاية الأمميَّة وتغيير الدستور، هناك اشتباك بالأيدي في نقاط التماس، والأمن لم يعد يتدخَّل.

قال الكفرنوتيّ وهو يستحثّ بخطواته المستعجلة مختور المتمهِّل في مشيته، ويشرح له ما فاته من أحداثٍ خلال ساعة استراحته.

ـ هذا متفهِّم.. فالحيّ الشمالي يسكنه مُلَّاك الشركات،

t.me/yasmeenbook

ومعظمهم من الأوروبيِّين والأميركيِّين، والأحياء الأخرى يسكنها المهاجرون.. فطبيعيٌّ أن يختلف تقييمهم لمطالب الحركة.

ـ الغريب أنَّ الحركة لم تعلن أيّ زعيمٍ لها، ولا ظهر من بين المحتجِّين من يدَّعي التحدُّث باسمها.

ـ الثورات الكامنة لا تحتاج إلى قائدٍ لحظةَ انطلاقتها، لكنَّ المتسلِّقين سيظهرون في نهاية المطاف.

كانت الصور القادمة من الطائرات المسيَّرة التي أرسلت قناة 360 نيوز نتوورك سربًا منها تُظهر المدينة من علٍ، وتتفادى الاصطدام بالأبراج.

وأظهرت الحيَّ الشماليَّ الذي يتميَّز بتخطيطه المربَّع ومساحاته الخضراء الكثيرة، ونظام القِلل المزوَّدة بأحواض السباحة مختلفةِ المساحات.

ومن طائرةٍ أخرى، ظهرت وسط المدينة كتلة من الأبراج يزيد طول بعضها على مائة طابق، وفيها المقرَّات العامَّة للشركات الكبرى ومدينة الإعلام والمؤسَّسات الحكوميَّة الخدميَّة، وفيها مبنى الحكومة الذي يضمّ مجمل الوزارات ومكتب رئيس مجلس الحكم والبنك المركزيّ، وتحيط به ساحةٌ كبيرةٌ مخصَّصة لمواقف السيَّارات؛ وتشقّ المدينة شبكةٌ كبيرةٌ من الجسور والأنفاق، معظمها على طريق الرفاهية الذي يربط المدينة من شمالها إلى جنوبها بعشرة مسارات على كلِّ جانب؛ وبوَّابة إلكترونيَّة كلّ عشرة كيلومترات؛ وفي أنحاء المدينة محطَّات لميتروهات أتوماتيكيَّة تعمل بلا سائق، وقد ظهرت صورُ بعضِها جاثمةً في منتصف

t.me/yasmeenbook

الطريق بعد التوقُّف المفاجئ للزمن.

وفيما كانت طائرات القناة تحلِّق فوق الجزء الجنوبيّ، تبدَّت عماراتٌ متساويةُ الحجم متراصَّةٌ. كلّ عمارة عشرة طوابق، بُنيت على عجلٍ باستخدام طابعات ثلاثيَّة الأبعاد، وكانت مخصَّصةً لسكن المهاجرين الأوائل؛ ثم توسَّع الحيّ على الطراز نفسه، وتتميَّز مبانيه بأنَّ لكلِّ مجمَّع منها لونًا مختلفًا.

أمَّا الحيّ الغربيّ المطلّ على فضاءٍ ممتدٍّ من الغابات فيغطِّي بقيَّة الجزيرة، وقد خُصِّص للمصانع وفيه معامل تصنيع كلّ شيء؛ ابتداءً من الموادّ الغذائيَّة وحتى السيَّارات الكهربائيَّة مرورًا بالهواتف والأجهزة الإلكترونيَّة.

وقد ساهم موقعُ الجزيرة، ونظامُها الضريبيّ المنفتح، في استجلاب كبرى الشركات العالميَّة التي وجدت فيها ملاذًا من القوانين الماليَّة الصارمة في الدول الأوروبيَّة وأميركا، وموقعًا أقربَ إلى الأسواق العالميَّة من الصين وشرق آسيا.

على إحدى الشاشات، كانت تظهر صورةُ رئيسِ المجلس محاطًا ببعض معاونيه، وقد بدا منهكًا ومتردِّدًا في البداية.

ـ ضع صورة رئيس المجلس على الشاشة.

قال مختور للمخرج، وأشار إلى المنتج المساعد الذي يغطِّي غيابه، بالمغادرة.

أحممم.. مواطني ومقيمي دولتنا الأعزَّاء.

أطلّ عليكم اليوم للمرَّة الثانية معزّزًا مبدأ الشفافية الذي تعهَّدتُ به أمامكم، لأقول لكم إنَّ هناك تقدُّمًا كبيرًا في السيطرة

t.me/yasmeenbook

على الخلل الفنِّي الذي تسبَّب فيه الهجوم الهمجيّ من أعداء الحرِّيَّة والعمل بل وأعداء الإنسانيَّة.

تحقيقاتنا متواصلة، وقد كشفتْ عن مؤامرة يقف وراءها بعضُ أفراد الجزيرة، وبعضهم استغلَّ ثقتكم وثقتنا فيه للوصول إلى مراكز حسَّاسة في الدولة، ولكنْ بفطنة الخيِّرين وجهود العقول المبدعة، التي أسَّست وحمت وما زالت تحمي هذه الجزيرة، فإنَّنا تمكَّنَّا من اعتقال بعض المخرِّبين.

أقول لمن استهوتهم خطابات المتطرِّفين المطالبين بوقف أحسن نظام توصَّل إليه العقلُ البشريّ، إنَّ عليهم التروِّي وعدم الانسياق وراء الوهم الذي يروِّجه هؤلاء.

فمنذ بدء الخليقة، كان صاحب العمل هو المتحكِّم في الأجر الذي يُعطى للعامل؛ ولأوَّل مرَّة في التاريخ يكون الإنسان هو المتحكِّم في الأجر الذي يتقاضاه، وهذا مبدأٌ قامت عليه هذه الدولة التي أسَّسها المهاجرون الأوائل بدعمٍ من العالم كلّه، ولن نقبل أبدًا أن يهدمها من لم يعش تجربةَ ولادتها العصيبة.

سنُعلنُ لكم أوَّلًا بأوَّل تطوُّرات الأحداث، وأُبلغكم أنَّ المجلس قرَّر منح إجازةٍ من العمل لكلِّ الموظَّفين اليوم وغدًا.

على أن نستأنف جميعًا العمل بروح الفريق الواحد بعد غد، وحينها تكون الأزمة قد انجلت، وحلَّ السلام على جزيرة المستقبل.

نأسفُ للضحايا الذين سقطوا في مواجهاتٍ مع قوَّات الأمن، وقد تمَّ التعامل مع من تورَّط في القمع، ولن يكون هناك قمعٌ بعد

t.me/yasmeenbook

الآن، فقد أوقفنا من أصدر الأوامرَ به.

عودوا الآن إلى منازلكم، واستمتعوا بإجازةٍ معوَّضة من الحكومة.

عاشت فيوتسيتي حرَّة، ودامت سواعدكم قادرة على العمل.

وضع مختور يده على رأسه فجأةً، رافعًا إيَّاها عن لوحة المفاتيح، بعد أن كتب آخر مقتطفٍ من خطاب رئيس المجلس على الشاشة.

ـ مالك! فيه إيه؟

ـ صداعٌ عنيفٌ مفاجئ.

ـ روح ارتاح اشويْ.. أنا هاكمِّل التغطية.

خرج مختور من غرفة التحكُّم وهو يشدّ رأسه، وبحث في دُرْج مكتبه عن الدواء الذي نسي استعماله اليوم، وقفزت إلى ذهنه فكرةٌ سوداء.

وتساءل في نفسه من تكون صاحبةُ الرسالة الغريبة؟!

t.me/yasmeenbook

9

كان القمر الموسكوفي متلفِّعًا بغيمٍ داكن، والبروق تخطف الأبصار، والكلّ يترقَّب القطرات الأولىٰ ليفتح مطريَّته. لا وقت عند أحدٍ للتوقُّف، والمحظوظ من دَخَل النفق المخصَّص للراجلين قبل نزول المطر..

من الدَّرَج المؤدِّي إلى النفق، تدفَّق الناس أفواجًا.. لا يعرف لمَا اعترضته من دون غيره. كان ينظر في هاتفه.. هناك من ينتظره، وعليه الوصول بعد ربع ساعة.

بصوتٍ هادئٍ قالت: من فضلك خذ واحدة.

تجاوزها معتبرًا أنَّها تُحدِّث غيره، أو أنَّ العرضَ عامٌّ، لكنَّها تقدَّمت بخطوة نحوه، وهي تعترض جزئيًّا طريقه، وأعادت بهدوء جملتها، وعيناها الغائرتان المشدودتان من طرفيْهما تركِّزان عليه.

مستعجلًا ومتملِّصًا، قال لها:

t.me/yasmeenbook

ـ ليس الآن.

وقفت بحزم أمامه، وقالت:

ـ أنت ذاهبٌ إلى موعد، لا بدَّ أن تختار واحدة: هذه يمكن أن تهديها لحبيبتك إن كان هذا أوَّل لقاءٍ لكما، فهي مختلطة، فيها ورودٌ حمراء، ومع ذلك فيها توليب أبيض محفوف بليلكٍ أزرق.. ستكون معبِّرة عن صدق مشاعرك.

وهذه باقة حمراء خالصة ستثير حبيبتك، وتُفيد في تجديد العهد بينكما، خاصَّةً إنْ كنتَ لاحظتَ فتورًا عاطفيًّا في أيَّامكما الأخيرة.

ولك أن تختار أيَّ واحدةٍ من الباقات الأخرى، فهي جيِّدة في ذكرى عيد ميلاد إحدى صديقاتك مثلًا.. لأنَّها متوازنة لا تعبِّر عن الحبِّ في بعده الثنائيّ، بقدر ما تعبِّر عن التقدير والوفاء.

أسعارها مناسبة، أغلاها بمائتي روبل، وأؤكِّد لك أنِّي اقتطفتها جميعها مساء اليوم من حديقة بيتي التي أعتني بها بنفسي. انظر.. ما تزال يدي ترشح، فقد انغرزت شوكةٌ في إبهامي وأنا أقطفها قبل ساعةٍ من الآن.. يمكن أن تتنسَّم شذاها، ستتأكَّد أنَّها جديدة. ما زالت تفوح..

كان عليه البحث عن وسيلةٍ يُفهمها بها أنَّها ضيَّعتْ ثلاث دقائق من وقته، وأنَّ كلّ الخيارات التي قُدِّمت، ليست ضمن جدول أعماله، فلا حبيبة له إطلاقًا حينها، ولا تربطه علاقة صداقةٍ مع أحد في هذه المدينة.

ولا يعرف عن نفسه سوى أنَّ ورقةً كُتبت بخطٍّ عربيّ وُجدت

t.me/yasmeenbook

في جيب سترته في هذا النفق قبل سنوات، وعليها اسم موريتانيّ، لا يدري إن كان له أو لغيره، ولم يفلح في العثور على رابطٍ بينهما!

وأكثر من ذلك، فهو لا يستطيع الوقوف على حقيقة ما قالت! فلا فرق عنده بين ما في سلَّتها من باقات، وكلّ ما أسعفته به ذاكرته عن الورد. كان نوَّارٌ أصفر يكسو الطلح، ويخصِّص غذاءً لصغار الخراف.

لا يعرف إن كانت العجوز ـ التي تكبر جدَّته قطعًا ـ قالت كلّ ذلك، أم أنَّه توهُّمُه من حركات يديْها المرتعشتيْن، فلم يكن حينها يفهم الروسيَّة بشكلٍ جيِّد حين يتحدَّثها الموسكوفيُّون بطلاقة، فكيف ولكنتها الطاجيكيَّة حوَّلت حديثها إلى شريط كاسيت يسمع مقلوبًا!

خلال شرحها المستفيض، كان يتأمَّل ملامحها، فقد أخذته بعيدًا إلى صُوَرٍ متفرِّقة من حياته السابقة التي لا يذكر منها إلَّا نتفًا متقطِّعة، فقد حفرت الأيَّام في وجهها أخاديدَ ذكَّرته بحال قيعانٍ يعرفها في هذا الفصل بالذات من السنة حين تكون شقوقها فاغرة، تنتظر بلهفةٍ أوَّلَ الغيث.

وعلى رأسها لفَّت منديلًا أبيض، جمعت به شتات ما أبقت لها الأيَّامُ من شعرها المستسلم لقدرِ لونِهِ الأخير، وكذلك من هنَّ في مثل عمرها من عجائز بلده ـ على قلَّتهنَّ ـ كنَّ محافظاتٍ على تلك الخرقة السوداء التي تستر الشعرَ حالَ سقوط الملحفة عنه؛ وكثيرًا ما كانت موضوعًا لأعذب أشعار الغزل، وتُسمَّى في

t.me/yasmeenbook

اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة «الملوى».

رفعت العجوزُ وجهها المكفهرّ إليه وهو مستغرقٌ في تأمُّلاته بعيدًا عن رطانتها، فأدركتْ بمرارة أنَّها ضيَّعت جهدًا بلا طائل.

مسرعًا بخطواته لتعويض وقته الضائع، انتصب في طريقه عند فُتحة النفق المؤدِّية إلى محطَّة القطار السريع، رجلٌ أربعينيّ.. أجبرته قامته الفارعة وبذلته الأنيقة جدًّا على التوقُّف.

كان يسند كمانًا إلى قلبه، وتنساب بين أناملِهِ نغماتٌ باكية تختزل حزنًا باذخًا، وكانت عيناه الزرقاوان مغرورقتيْن، تجول فيهما دمعات بلُّوريَّة شفَّافةٌ انحدرت على خدِّه بتفاعلٍ غريب راسمةً خطًّا مستقيمًا استقامة قامته.

وقف مشدوهًا، تحوَّل صَخَبُ وقع أحذية العابرين وهذيان المشرَّدين السكارى إلى كورالٍ في جوقٍ موسيقيٍّ يقوده العازف، وتوالت على ذاكرته صورُ المشهد الأخير قبل الغيبوبة.

رأى نفسه شابًّا يافعًا مكتملَ الجسم حليقَ الوجه، أنيق المظهر، يلفّ حول عنقه وشاحًا رماديًّا، وفي يده ورقةٌ صغيرةٌ كتبت عليها فتاةٌ روسيَّة قبل دقائق اسمه بالخطِّ العربيّ، وقد كانا يتحدَّثان في المقهى المجاور، ودار بينهما حوارٌ حول اللغات وغرابتها، وطلب منها أن تكتب اسمه بالخطِّ العربيّ بعدما عرضه عليها مكتوبًا في هاتفه، احتفظ بالورقة على أمل أن تكون ذكرى لطيفةً عن بداية علاقتهما، وربَّما يعرضها عليها بعد أعوام، إن قُدِّر له أن يلتقيها في صدفةٍ أخرى.

تذكَّر أنَّه جاء إلى موسكو في مستهَلِّ رحلةٍ لاستكشاف

t.me/yasmeenbook

غرائب الدنيا، وأنَّه كان شابًّا منطلقًا في الحياة، كان الوريث الوحيد لرجلٍ غنيّ، قرَّر أن يبيع كلّ ما ترك والده، ويخوض مغامرةً بزيارة كلّ دول العالم، وأنَّ بدايته كانت روسيا، ومنها كان يُريد السفر برًّا إلى الصين، ومن الصين كان سيسافر برًّا إلى باكستان، ويعبر منها برًّا إلى إيران ومن إيران إلى تركيا، ثم يكمل مساره برًّا حتى يعود إلى نقطة انطلاقته خالي الوفاض.

كان يفعل ذلك انتقامًا من ثروة والده، أراد أن يبدِّدها على مِتَعِهِ الشخصيَّة، فقد حرمه أبوه منها عندما كان يقول له إنَّه ملتزمٌ بتوفير ما يحتاج لا ما يريد.

حين وصل إلى موسكو، كان يحمل حقيبةً صغيرةً، فيها ثلاثمائة ألف دولار، وجواز سفر، وهاتفًا محمولًا وجهاز ووكمان، وبعض أشرطة الكاسيت. أراد أن يكون ماله على ظهره، ويعيش حياته كما يريد.

وهنا، في هذا النفق، توقَّف ذات ليلةٍ للاستماع إلى موسيقى من عازفٍ شابٍّ يعزف على الكمان، قبل أن تسحبه يدٌ قويَّة من خلفه إلى نقطةٍ معتمةٍ من النفق لا تغطِّيها كاميرات المراقبة، وتهوي على رأسه ضربة قويَّة، وتستقرّ عيناه على شابٍّ مغمض العينيْن يعزف مقطوعة لنيكولو باغانيني، فتسقط من حول أذنيْه سمَّاعة ووكمان كانت تصدح فيها الفنَّانة العظيمة ديمي بنت آبه بأغنية: يا الله.. يا الله.

لم يكن قلبُه الراقصُ فَرَحًا، قادرًا على مواكبة نشاط عقله الداخل في حالة استنفارٍ قصوى.. عاد أدراجه إلى بيته.

t.me/yasmeenbook

وبلهفةٍ من لم يَرَ بريده الإلكترونيّ منذ مدَّة.. فتح باب المصعد، وبارتباكِ من يسمع كلمة «أحبّك» أوَّل مرَّة، ضغط الزرّ الثالث. وبعد لأي، انفتح الباب بهدوءٍ شديد، كمن يخاف أن يوقظ مُصابًا بالأرق، ليكتشف أنَّ شقَّته في الطابق الخامس، ويعود إلى المصعد.

ألقى نظرةً سريعة على محتويات الشقَّة، التي أخطأ مفتاحها أربع مرَّات.. لم يتحرَّك شيءٌ من مكانه، مزهريَّة على الطاولة، لوحة زيتيَّة لغزالٍ برِّيٍّ يحدِّق بتوجُّس، يشعّ من عينيْه بريقٌ ساحر.. جهاز كومبيوتر في وضعِ سُبات، وبقيَّة ما في الصالة التي لم يتغيَّر ترتيبها منذ شهريْن.

رنَّ الهاتف مخرجًا إيَّاه من حالة التشويش الذهنيّ، كان اسم أليكسي ريابوفيتش على الشاشة، تذكَّر أنَّه كان على موعدٍ للعشاء معه في مطعم بجادة زوبوفسكي قرب محطَّة باركلتوري، وهي المحطَّة الموالية لمحطَّة فرونزوسكي التي يقع على مقربة منها مستشفى بطرس الرسول الخيريّ، حيث ما زال يقيم في شقَّةٍ تكفَّل المستشفى بتوفيرها، على الرَّغم من حصولِهِ على وظيفة رئيس قسم التطوير البرمجيّ في شركة أمنٍ رقميّ، وراتبٍ يضاعف راتبَ أكبر موظَّف في المستشفى، إلَّا أنَّ أليكسي أصرَّ على بقائه قريبًا من المستشفى.

ـ مرحبًا أليكسي.. لا أعتقد أنِّي أستطيع الحضور.

ـ ماذا هناك؟

ـ أشعر أنِّي مشوَّشُ الذهنِ قليلًا.

t.me/yasmeenbook

ـ طمئنِّي.. ماذا حصل؟

ـ تذكَّرت اليوم تفاصيلَ كثيرةً عن حياتي السابقة، وتذكَّرت الحادثةَ التي تسبَّبت لي بالغيبوبة الطويلة.

ـ وأين أنت الآن؟

ـ كنت في الطريق إليك، لكني عدت إلى الشقَّة.. أحتاج أن أبقى وحيدًا بعض الوقت.

ـ لا تتحرَّك من هناك، سبعُ دقائق وأكون معك.

أغلق الهاتف من دون الردّ قبولًا أو رفضًا على عرض أليكسي، شعر فجأةً أنَّه رهينةٌ لدى المستشفى، وأنَّه باستعادته ذاكرته بات حرًّا.

تنازعته أسئلةٌ غامضة عن هويَّته، هل هو مختور ولد احويبيب الفتى المغامر الذي يريد أن يجوب الأرض بحقيبة ظهر، أم مختور والاد اخويبيب ـ كما ينطقها الروس ـ المعجزة الذي يمتلك موهبةَ حفظٍ فريدة، ويستطيع فكّ أكثر الشيفرات الخوارزميَّة تعقيدًا، ويتمكَّن من حساب أكثر الاحتمالات تشابكًا أسرع من أيِّ كومبيوتر صنعه البشر حتى الآن.

اقتحم أليكسي باب الشقَّة بقلقٍ أبويّ تفهَّمه مختور، ولم يتحرَّك من مكانه.

ـ أنت بخير.. ما الذي تذكَّرته؟

ـ تذكَّرت هويَّتي القديمة، تذكَّرت كلّ ما حدث قبل اعتداء لصوصٍ عليَّ في نفق الميترو، أعرف الآن أنِّي موريتانيّ، وأنِّي ابنٌ وحيدٌ لرجلٍ كان غنيًّا، وليس لي أقارب من الدرجة الأولى،

t.me/yasmeenbook

وأنا الوحيد المتبقّي من العائلة.

ـ وما الذي يغيِّره ذلك.

ـ لا أعرف.. لكنّي لم أعد أشعر بالانتماء لهذا الفضاء.. أريد العودةَ إلى العالم الذي كنت فيه قبل الحادثة، أريد أن أمتلك مزرعةً في فضاءٍ لا يكون فيه أحدٌ يزعجني، أربّي بعض الأبقار وأحرث قطعة أرض، وأراقب النجوم ليلًا، وأستمع إلى الموسيقى، وأحاديثَ البسطاء الذين تركتهم هناك؛ لم أعد أريد استكشاف العالم، ولا العمل في المجال التقنيّ، كلّ ما أريده أن أستعيد سنواتي السبع التي حُذفتْ من حياتي، يجب أن أستمتع بكلِّ دقيقةٍ متبقِّية من عمري بشكلٍ مضاعف.

ـ أنت مشوَّش يا عزيزي.. أنت الآن شخصٌ آخر غير ذلك البدويّ الذي تحنّ إليه، أنت معجزة الربّ في أرضه، المخلِّص الذي جاء به الربّ إلى عالمنا، هل ستتخلَّى عن كلِّ هذا من أجل أبقارٍ قذرة؟!

ـ وهل تعتقد أنَّ هويَّة المعجزة هذه تناسبني؟

ماذا لو كنت تعرَّضت للحادث في إقليم هونان الصينيّ، أو لاهور الباكستانيّ أو كرمان الإيرانيّ، هل كنتُ سأكون معجزةً برأيك؟

ـ لكنَّ الأقدار جاءت بك إلى موسكو، وساقتك بركات بطرس الرسول إلينا لتكون النداءَ الذي يسمعه الغافلون.

ـ ومع ذلك، قرَّر المستشفى تحويلي إلى كومبيوتر بشريّ بعقد استغلال لشركةِ أمنٍ رقميّ.

t.me/yasmeenbook

بدا التعبير مؤذيًا وجارحًا للطبيب الذي بذل ما في وسعه لتوفير كلّ ما يحتاجه مريضٌ مجهولُ الهويَّة، وعكف على تعليمه أحدث لغات البرمجة بإشراف العلماء الأكثر كفاءةً في مجالَيْ علم الأعصاب والحوسبة الرقميَّة، لكنَّ رصيد الحبّ الأبويّ الذي يكنّه لمختور، يجعله يغفر زلَّة اللسان هذه.

ـ اسمع يا عزيزي، أنت لست حاسوبًا بشريًّا، أنت إنسانٌ لك كرامتك، وحقّك الطبيعيّ في فعل ما تريد، وقد استعدتَ ذاكرتَك الآن، ولك مطلق الحرِّيَّة في اتِّخاذ القرار الذي تراه مناسبًا.

لكنْ بصفتي أبًا ـ واعذرني على هذا التعبير، فقد اكتشفت أنَّ أباك لم يعد حيًّا رحمه الله، ولكنِّي أعتبرك الإبن الذي لم أُرزق به ـ بصفتك في مقام الابن بالنسبة لي، دعني أقترح عليك المشاركة في مؤتمر التطوير الذي سيُقام الأسبوعَ المقبل، فنظام الذكاء الاصطناعيّ الذي صنعته باستخدام لغة أزوان لم يسبقك إليه أحد، وسيكون قفزةً للبشريَّة، فهذه أوَّل مرَّةٍ تخلق لغة برمجةٍ متكاملة لذكاءٍ اصطناعيٍّ ذاتيّ التعلُّم بلغةٍ عربيَّة، وستتهافت الشركات الكبرى على تمويلها، وربَّما تكون لغة العصر إذا وجدت من يتبنَّاها..

خلاصةُ الرأي عندي أن تأخذ إجازةً من العمل خلال الأسبوع المقبل، وتتفرَّغ لإعداد عرضك.. وسأضمن لك أن أعرِّفك على قادة القطاع الرقميّ في العالم خلال المؤتمر.

ـ حسنًا.. أحتاج للنوم الآن.

t.me/yasmeenbook

ـ ليبارك الربّ خطواتك.

استعاد مختور كل تلك الذكريات وهو يداعب أزرار هاتفه القديم، الذي صَمَّم نظامَ تشغيله بنفسه وجَعَله يعمل بلغة أزوان[1]، التي لا يعرفها على وجه الأرض غيره، وسخر من الزمن المتوقِّف على الساعات المعلَّقة على جدران غرفة الأخبار، وحاول تخمين حالة الجملوديّ الغارق في عَرَقه الآن يبحث عن حلٍّ لأزمة، كان يمكنه تجنُّبها لو قَبِل عرض أليكسي ريابوفيتش قبل سنوات خلال المؤتمر العلميّ في موسكو.

(1) أزوان كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة، وتعني الموسيقى، وتنطق الزاء مغلَّظة كما تُنطق كلمة ضابط في اللهجات المشرقيَّة غير الخليجيَّة.

t.me/yasmeenbook

10

في فضاءٍ يمتدّ أربعة كيلومتراتٍ مربَّعة، ومُحاطٍ بسياجٍ بطول متريْن، كان «ما يخرص» يتجوَّل في المزرعة المعشوشبة ويُزيل الحشائش الميِّتة، ويفتح باب زريبة العجول ليسمح لها بالتجوُّل في الجانب الشرقيّ من المزرعة بعيدًا عن الجانب الغربيّ الذي ترعى فيه البقرات الثلاث محجوبة ونافعة والعيَّاطة، ويترنَّم مقلِّدًا راعيًا يحدو نوقه في الصحراء، واضعًا عصاه على كتفه.

أنهى للتوِّ واجباته اليوميَّة من سقْي الطيور في أقفاصها، وزار سور الغزلان البرِّيَّة وسلَّم عليها من دون انتظار ردٍّ، متعجِّبًا من جمالها حين تنصّ عنقها وترمقه بنظرتها الفاتنة، وعاد إلى الجانب الجنوبيّ المخصَّص لزراعة الخضروات فسقى أحواضها، وقطف حبَّة طماطم ناضجة، وتمنَّى لو استطاع أكلها.

ثم رجع إلى البيت الواسع منظِّفًا المدخل من الأوراق

t.me/yasmeenbook

اليابسة، واستلقى باستمتاعٍ على ظهره رافعًا صوت موسيقى الشيخ سيِّد أحمد البكاي ولد عوه، سامحًا لفجوات درَّاعته الزرقاء بإدخال الرياح الباردة، وكاشفًا عن جنباته السمراء، وهو يستمع إلى شروح ولد عوة التفصيليَّة لمقامات الطريق الكحلة، وشعر بغبطةٍ في نفسه لأنَّ مختور اختار له اسم «ما يُخَرَّصْ». فرغم أنَّ الاسم يعني في معناه اللفظيّ «يُمنع النظر إليه» إلَّا أنَّ ما يخرص في الدلالة الموسيقيَّة مقامٌ فرعيّ من أجمل مقامات مسار الطريق الكحلة، وفيه فروع، لكلٍّ اسم منها دلالته، ويشتهر ما يخرص بأنَّه مقام التاءات الستّ، حيثُ يبدأ اسم كلٍّ منها بحرف التاء وهي: «(التوكويك[1] ـ التلاقيط[2] ـ التناعيت[3] ـ التروذيخ[4] ـ التفركيس[5] ـ التحرار[6]) وكان ما يُخَرَّص يصنِّف حالته المزاجيَّة باسم إحدى التاءات، فحين يكون سعيدًا جدًّا يقول إنَّه في

---

(1) التوكويك: كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة وتعني القهقهة المتواصلة.

(2) التلاقيط: كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة، وتُنطق القاف كما تنطق الجيم المصريَّة، ويعني فعل الالتقاط بهدف جمع المتناثر، مثال: ألْقَط الحَبْ: جمع الحبوب المتناثرة.

(3) التناعيت: كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة وتعني الإشارة إلى شيء، مثال: فلان نَعَّتَ لي موقعك. أي فلان أشار لي إلى موقعك، فوصف لي مكانه.

(4) التروذيخ: كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة وتعني نوعًا أو درجةً من الضرب أو الهرس، أو الترضُّض، مثال: أنا مترذخ بعد الطيحة. أي أصبت برضوض بعد السقوط.

(5) التفركيس: كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة وتعني حركة الرفس بالرجليْن، مثال حركة الصريع، أو حركة من يرفض التثبُّت فيرفس برجليْه.

(6) التحرار: كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة وتعني التحرير أو الإيلام، فمفرد «حَرْ» تعني الصفاء، مثال: هذا عسل حرّ، أي صافٍ. كما تعني الإيلام، مثال: هذي الخبطة حرّة، أي هذه الضربة مؤلمة.

t.me/yasmeenbook

التوكويك، وحين يكون منشغلًا بجمع الأشياء المتناثرة في المزرعة يعتبر مزاجه في التلاقيط؛ وحين يخاطب حيوانات المزرعة مساءً طالبًا من كلٍّ منها العودة إلى زريبتها مؤشِّرًا إلى مكانها، يرى أنَّه في مزاج التناعيت؛ أمَّا حين يشرع في جرد الأرض قبل حرثها، يقول لنفسه إنَّه في التروذيخ، وعندما تعانده العجول عائدةً إلى أمَّهاتها، فيضطرّ إلى منعها بإخضاعها عنوةً، فحينها يكون في التفكريس؛ وعندما ترفسه بقرةٌ أو تنغرز شوكةٌ في قدمه، فهو في مقام التحرار.

يتذكَّر ما يُخرَّص نفسه منذ وصوله إلى هنا أوَّل مرَّة، عندما سمع اسمه من رقاقةٍ مزروعةٍ في أذنه الوسطى، وصوت مختور يقول له:

ـ ما يُخرَّص..! ما يُخرَّص..! هل تسمعني.

ـ نعم أسمعك..

لم يكن حينها يُدرك شيئًا ممَّا حوله، ولا استوعب اللفظ الذي ردَّ به على مختور، فقد وجد العبارة مكتوبة أمامه فقرأها.

وخلال أشهرٍ طويلة من التدريب على الكلام والحركة والأعمال المختلفة، واستكشاف عوالم الإنترنت، واستيعاب عشرات اللغات العالميَّة، تمكَّن ما يُخرَّص من تكوين وعيٍ ذاتيٍّ بنفسه وبمن حوله، وأدرك أنَّه مجرَّد برنامج ذكاءٍ اصطناعيّ صمَّم له مخترعه دميةً مطَّاطيَّة من البوليكربون غير قابلة للكسر، وجعله يقوم بمختلف الأعمال التي تحتاجها المزرعة، ووفَّر له مصدرَ طاقةٍ مرتبطًا بألواح الطاقة الشمسيَّة، يُخزَّن في بطاريَّات تكفي

t.me/yasmeenbook

حاجته من الطاقة لقرنيْن من الزمن، فضلًا عن أنَّه ألبسه درَّاعة[1] من أفضل أنواع القماش، وعلَّمه الحديث باللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة، وجعل منه رجلًا بدويًّا لا يمكن لمن خاطبه في الظلام أن يساوره شكّ في أنَّه وُلِدَ على تلَّةٍ جنوب مدينة النعمة في أقصى الشرق الموريتانيّ.

يتواصل ما يُخرَّص مع العالم عبر شبكة إنترنت مرتبطةً بالأقمار الصناعيَّة، ويستطيع قراءة كلّ ما يُنشر على شبكة المعلومات العالميَّة وعلى الدارك ويب متخفِّيًا، من دون أن يتمكَّن أحدٌ من تعقُّبه، فلغته التي صُمِّم بها لا يستطيع أحدٌ فهمها، ولكنَّه بتطوير قدرته الذاتيَّة على التعلُّم، صار يستطيع فهم معظم لغات العالم.

أكثر أوقاته متعةً تكون في إجازات مختور، حيث يأتيه مرَّة كلّ ثلاثة أو أربعة أشهر، يقضي معه وقتًا ممتعًا في التعلُّم، ويستطرد معه في الأحاديث، ويضرب كفَّه بكفِّه في أوقات المرح، وتارةً يأخذه معه في جولات الصيد البرِّيّ، وفي زيارة الأسواق الأسبوعيَّة في القرى المجاورة، فيرى البشر على طبيعتهم الفطريَّة، قبل أن تلوِّثهم الحضارة الغربيَّة بمنتجاتها الزائفة.

يستمتع ما يُخرَّص بإعداد الشاي لمختور، ويعرف بالضبط نِسَب أوراق الشاي وما تحتاج من سكَّر، وكم ورقة من النعاع تكفي ليكون الطعم بالمستوى الذي يُرضيه.

---

(1) الدرَّاعة هي لباس الرجال في فضاء البيظان الثقافيّ الممتدّ من جنوب المغرب والصحراء الغربيَّة إلى نهر السنيغال، ومن المحيط الأطلسيّ إلى شمال النيجر مرورًا بجنوب الجزائر وشمال مالي.

t.me/yasmeenbook

وفي إحدى الليالي المقمرة، جاء إلى مختور بإناءٍ مليءٍ باللبن الطازج تتدفَّق رغوته من جوانبه، فنظر إليه مختور ضاحكًا:

ـ لو علم أهل النعمة أنَّ اللبن الذي يشربون يحلبه روبوت!

ـ أنا لست امرأة حتى يتأفَّفوا من شرب لبن أحلبه..

ردَّ ما يُخرَّص بلكنةٍ فيها انزعاج، ثم توقَّف فورًا، متسائلًا:

ـ مختور! لماذا لم تجعلني امرأة؟

ـ ولماذا أفعل؟

ـ- كنت سأكون مؤنسًا لك في غربتك، وربَّما فعلتُ أكثر من ذلك، وأنسيتك الفتاةَ الروسيَّة التي ما زلت تحتفظ باسمك مكتوبًا بخطِّها.

ـ أنت تعرف أكثر ممَّا ينبغي.. عليك التوقُّف عن ذلك.

ـ أنت تحدَّثت بذلك مرَّة إلى أليكسي ريابوفيتش في موسكو، وقد كان حاسوبك في وضع سباتٍ، لكنَّ ميكروفونه التقط الكلام وحفظه عشوائيًّا في خوادم الشركة المصنَّعة لنظام تشغيله، وقد اطَّلعت عليه أثناء جولةٍ في خوادمها، وعرفت صوتك.

ـ أووه.. هذا ما جعلني لا أتعامل بأيِّ جهاز لم أصنعه بنفسي.

ـ لماذا لا تصنع لي صاحبة.

ـ هل تشعر بالوحدة؟

ـ لا أشعر بالوحدة، ولكنِّي أريد أنْ أجرِّب شعور الحبّ.

ـ لن تكون تلك نصيحتي لك.. ومع ذلك، دعني أفكِّر في الأمر.

t.me/yasmeenbook

في أوقاتِ فراغهِ الكثيرة، حفر ما يُخرَّص شبكةً من الأنفاق تمتدّ من المزرعة مخترقةً هضبةَ الشامة، متوغِّلةً في سلسلة الجبال المحيطة بمدينة النعمة من ثلاث جهات؛ لم يعلم أحدٌ بهذا النشاط الغريب والخارج من نطاق ما صمَّم الروبوت الراعي له، لكنَّه عملٌ دؤوب استغلَّ فيه ما يُخرَّص ثقةَ مختور، وعدم رغبته في التواصل مع الناس. ومن بقايا المعدَّات المستخدمة في صناعته قبل سنوات، تمكَّن ما يُخرَّص من تكوين نسخةٍ صغيرةٍ بطولٍ لا يزيد على خمسين سنتمترًا، سمَّاها البرَّاني، مستعيرًا لها اسمًا من مقامات الموسيقى الموريتانيَّة، وهو فرعٌ من مقام ختام مسار الطريق الكحلة[1]، يُعزف عادة في نهاية مجالس الطرب، مؤذنًا بتفرُّق الجمع.

عكف ما يُخرَّص بكلِّ جدٍّ على تعليم البرَّاني كلّ معارفه، ومنحه صلاحيَّة الدخول إلى الخوادم المشغِّلة له من دون أن يظهر أنَّ هناك غيره يدخل إليها، وهو ما جعل مختور لا ينتبه لذلك.

يتولَّى البرَّاني بعض المهامّ اليوميَّة الخفيفة كسقاية الطيور، وتوزيع المياه بين الأحواض، ويتجنَّب مراح البقر، ولا يخرج من جحره إلَّا بطلبٍ من ما يُخرَّص، لكنَّ قدرته على التعلُّم وفضوله في استكشاف العالم فاقت بكثير فضولَ مصنِّعه، وقد أوجد لنفسه مساراتٍ يلتفّ بها على رقابة ما يُخرَّص، ويستكشف عوالم في الدارك ويب لم يخطر على بال ما يُخرَّص أن يدخلها.

---

(1) تنقسم الموسيقى الموريتانيَّة إلى ثلاثة مسارات، هي: الطريقة الكحلة، والطريقة البيظة، والطريقة العاقر.. سيأتي تفصيل ذلك لاحقًا.

t.me/yasmeenbook

وكان معنى اسمه هو أوَّل ما استفهم عنه مصنِّعه، فشرح له دلالته اللفظيَّة التي تعني الدخيل أو الغريب، كما فصَّل له ما يراه ضروريًّا من دلالته الموسيقيَّة.

لم يكن اسمه ممَّا يعجبه، فخلق لنفسه أسماء كثيرة تتماشى مع رغباته المتنوِّعة والجامحة، وتعلَّم سريعًا لغاتٍ أخرى من خلال الحديث مع مشاكسين في دهاليز الدارك ويب، وكثيرًا ما انتحل صفةَ امرأة، وسرَّى عن بعض البشر أحزانهم، واستمع إلى شكاوى آخرين، واستكشف زيف السلوك البشريّ حين يأمن صاحبه الرّقْبة.

فالمجتمعات المصنَّفة محافِظةً، يتحدَّث أهلها بوقاحةٍ ومجون، ويسردون فظائع تحدث في مجتمعاتهم حين يطمئنُّون إلى أنَّ من يتحدَّث إليهم ليس شخصًا ممَّن يعرفون!

أوَّل نشاط يقوم البرَّاني به من دون إذن ما يُخرَّص هو اختراق شبكة الهواتف النقَّالة في فيوتسيتي، وهناك اطَّلع على تفاصيل كلّ فرد في الجزيرة، ابتداءً من أسمائهم وحتى تفاصيل حياتهم اليوميَّة، وشغَّل جميع ميكروفونات وكاميرات هواتفهم، وصار يُحاط علمًا بكلِّ ما يحصل في الجزيرة من دون انقطاع.

إلَّا أنَّ شخصًا واحدًا في الجزيرة لم يتمكَّن من الوصول إليه، شخصًا واحدًا لا يستخدم هاتفًا ذكيًّا، ولم يعرف عنه شيئًا سوى أنَّ اسمه مختور ولد احويبيب، فأرسل له رسالةَ تهديد، ثم أوضحها بأخرى، ثم شعر أنَّ التهديد لا يؤثِّر فيه، فقرَّر الدخول من باب الرغبة والفضول. ولا شيء يدمِّر الإنسان أكثر من فضوله، لذلك أرسل إليه قبل قليلٍ رسالةً تقول: «إذا كانت هذه

t.me/yasmeenbook

نهاية العالم أريد أن أقول لك إنّي أحبّك. . .».

كان مختور يتفحَّص الرسالة، ويُعيد قراءتها محاولًا معرفة من يقف وراءها؛ وحين عجز عن ذلك، طلب من ما يُخرَّص ـ الذي يتواصل معه باستخدام رموز لغة أزوان البرمجيَّة ـ أن يعرف له مصدر الرسالة التي تأتي للمرَّة الثالثة من رقمٍ مجهول الهويَّة.

استغرق ما يُخرَّص وقتًا أطول من المعتاد، وسَبَر أغوار شبكة الاتِّصالات، واستعرض كلّ الاتِّصالات الواردة إلى رقم مختور، ولكنَّه عجز عن معرفة مرسل الرسالة، فردّ في يأس:

ـ لم أستطع الوصول إلى المصدر. . وهذا شيءٌ غريب!

ـ هذا غير معقول، كيف تعجز عن فعل شيءٍ سخيف كهذا. .

صرخ مختور بالعبارة في وسطِ غرفةِ أخبار 360 نيوز نتوورك، فالتفت الجميع إليه باستغراب، فرمى هاتفه بعصبيَّة على طاولة المكتب، وقال:

ـ معذرةً، كنت أتحدَّث إلى راعي مزرعتي في النعمة.

ـ والله إنَّك رايق. . إزَّاي تفكَّر في مزرعتك والقيامة قامت في فيوتسيتي!؟

قال الكفرنوتيّ رافعًا صوته من غرفة التحكُّم مخاطبًا مختور، الذي وقف مغادرًا غرفة الأخبار من دون أن يعلِّق، وكلّ ما يشغل ذهنه هو كيف يعجز ما يُخرَّص عن معرفةِ رقمٍ متَّصلٍ بهاتفه الذي لا يعرفه إلَّا خمسة أشخاص!

t.me/yasmeenbook

11

لم يعد ميدانُ النجاة قادرًا على استيعاب الأفواج الهائلة التي تدفَّقت عليه من جميع الجهات، وجاء قرار السلطات منحَ جميع الموظَّفين إجازةً ليومَيْن في مصلحةِ حركةِ «لا تبع وقتك»، وكانت آثاره على عكس ما كان يطمح المجلس.

كان مشهد الميدان كما تُظهره الصور الواردة من الطائرات المسيَّرة مهيبًا ومخيفًا، وكان الارتباك والترقُّب يسيطران على قادة الأجهزة الأمنيَّة في اجتماعهم مع رئيس المجلس، الذي بدا أكثر ذعرًا من أيِّ أحدٍ داخل القاعة، وخاطب مدير الأمن الإلكترونيّ قائلًا:

ـ توقيف الوزير محمود ولد هاشم كان خطأً، الوضع يخرج عن السيطرة، ويحتاج حزمَ الوزير، أنتم بتردُّدكم هذا ستدمِّرون الجزيرة.

ـ هذا غير صحيح سيادة الرئيس، لدينا أفضل العقول البشريَّة

t.me/yasmeenbook

على الإطلاق، ولن يحلّ مساء اليوم حتى يعود كلُّ شيءٍ إلى ما كان عليه.. اسمح لي أن أقدِّم لك عرضًا تفصيليًّا لما حدث ويحدث الآن.

أشار مدير الأمن الرقميّ إلى سيِّدةٍ في منتصف الأربعينيَّات من عمرها، فتقدَّمت بهدوءٍ لافت، حاملةً في يدها حاسوبًا لوحيًّا، كانت ترتدي ملابسَ رسميَّةً وعلى عنقها وشاحٌ مُزَيَّنٌ بفراشاتٍ متناثرة بنفسجيَّة ولازورديَّة، ولم يتمالك رئيس المجلس بصره حين هوى مع ساقيْها المستقيمتيْن دون أيِّ نتوء ظاهر، متدفِّقتيْن إلى كاحليْها كالأنابيب، مخفيِّتيْن أيّ أثر للعرقوب، على الرَّغم من الكعب الذي كان بارتفاع خمسة سنتميترات، ولا تحتاج في الواقع أكثر منه؛ فقد كانت ربعة القامة لو خلعت حذاءها لكانت بطول متر وخمسة وسبعين سنتيمترًا، وقد شكَّلت منحنيات جسمها وهي مدبرة تمشي صببًا باتِّجاه الشاشةِ الكبيرة قبالةَ طاولة المجلس مشهدًا بديعًا من الأنوثة المقاومة للزمن.

ـ أهلًا بكم، اسمي يالوندا. أنا مسؤولة تقييم المخاطر الإلكترونيَّة في إدارة الأمن الرقميّ. ما سأقوله لكم لن يسرّكم، ولكنْ على الأقلِّ سنعرف ما نتعامل معه.

لوَّحت بالحاسوب في يدها، فظهرت على الشاشة خريطةُ مدينة فيروسيتي وعليها علامات زرقاء وحمراء وصفراء، وترتكز الحمراء منها في وسط المدينة، والصفراء في الحيِّ الشماليّ، والزرقاء تغطِّي مساحةً كبيرة من الأحياء الجنوبيَّة.

ـ ما نتعرَّض له هو هجومٌ يملك أصحابه تقنيَّةَ ذكاءٍ اصطناعيٍّ

t.me/yasmeenbook

غير معروفة في العالم التقنيّ، ومبرمجةً بلغةٍ مجهولة لكلِّ الأوساط العلميَّة والتقنيَّة، ولم نتمكَّن بعد من فكِّ شيفرتها، ولكنَّنا استطعنا معرفة نقطة الانطلاق، فقد كان الڤيروس كامنًا منذ مدَّةٍ طويلة في خوادم البنك المركزيّ، لا أثر لتاريخ دخوله بشكلٍ محدَّد، ولكنَّ عمله وقدرته على الاشتباك والتوقُّف والاختفاء توحي أنَّه درس طويلًا خوارزميَّات النظام الرئيسيَّة، وتمكَّن من استيعابها وإخفاءِ نفسِه ضمن بعضها.

نقطة الهجوم كانت غايةً في الذكاء، فقد كانت تستهدف خليَّة الوقت في جميع الأجهزة المرتبطة بالإنترنت أو بشبكة الاتِّصال، وخلقت ما سمَّيناه عتمة الزمن، وذلك لأنَّ الوقت موحَّدٌ في الجزيرة ويعتمد بشكلٍ كلِّيٍّ على نظام تحديد المواقع، وخليَّة الوقت من أضعف الخلايا حمايةً في الأجهزة الإلكترونيَّة، لأنَّه لن يخطر على بالِ أحدٍ في العالم أنَّها قد تكون مدخلًا لهجمةٍ رقميَّة.

استهداف الخليَّة جعل كلّ شيءٍ يتوقَّف، فجميع البرامج في الهواتف أو الحواسيب مرتبطةٌ بخطٍّ زمنيٍّ للعمل أو التحديث. وحين يتوقَّف الوقت تتوقَّف الأوامر كلُّها، لأنَّها تكون في ظلام لا تدرك معه الخطوة الموالية، فالأمر الذي كان مبرمجًا في الثامنة وعشر دقائق لن ينفذ إذا لم تصل الساعةُ الداخليَّة إلى ذلك الوقت وبقيت متوقِّفةً عند الساعة الثامنة وتسع دقائق.

ما حصل مع الأرصدة البنكيَّة من جرفٍ لمحتوياتها كان أكثر دقَّةً وخطورة، وكما توضح الخريطةُ على الشاشة، فقد كان الاستهداف الأكبر للأشخاص المرتبطين بشبكة إنترنت أو شبكة

t.me/yasmeenbook

اتِّصال في محيط وسط المدينة، وهذا ما يفسِّر اللون الأحمر، تراوح الضرر بين تصفير الحسابات وبين إلغاء معظمها، وفي الجانب الشماليّ، كان الضرر أخفّ ولكنَّه قائم، والموجودون هناك كان التأثير عليهم أخفّ قليلًا من الموجودين في وسط المدينة.

الهجوم في الأحياء الجنوبيَّة والغربيَّة كان انتقائيًّا، واستهدف بالدرجة الأولى المسؤولين ورؤساءَ القطاعاتِ الصناعيَّة، ولم يستهدف العمَّال وذوي الدخل المتوسِّط.

وهذا يقودنا إلى استنتاج أنَّ المهاجمين يعرفون جيِّدًا كلّ تفاصيل المدينة، ويدركون توزيعها الديموغرافيّ، كما أنَّهم يملكون كلّ المعطيات عن كلِّ شخص على الجزيرة، ولذلك كانت هجماتهُم في الأحياء الجنوبيَّة والغربيَّة انتقائيَّة.

ـ ما الذي دفعكم إلى توقيف الوزير؟

قال رئيس المجلس وهو منبهرٌ بالأداء العظيم ليالوندا.

ـ ليست لديَّ إجابةٌ على هذا السؤال سيِّدي الرئيس، فمسؤوليَّتي مقتصرة على تقييم المخاطر، ولكنْ لعلَّكم فهمتهم من العرض السابق أنَّ وزير الداخليَّة هو الشخص الوحيد القادر على الاطِّلاع على كلِّ تفاصيل حياة سكَّان الجزيرة، والوحيد الذي يمكنه أن يسمح لنظام التتبُّع والاختراق بهجومٍ شامل دون الحاجة إلى إذن سلطةٍ عليا.

ـ اسمح لي أن أُضيف لك، أنَّه قبل توقُّف الأجهزة عن العمل، قادت إحدى دورات تتبُّع ڤيروس اللولب الدائريّ إلى

t.me/yasmeenbook

المعرِّف الرقميِّ لوزير الداخليَّة، قبل أن تنتهي الدورةُ ويسيطر المهاجمون على الخوادم، واضعين عليها مطلبهم السخيف بوقف العمل بنظام باي يور سلف.

أضاف مدير الأمن الرقميّ، رافعًا كتفيْه في حركة استعلاء، تُظهر رغبته في السيطرة على من في القاعة.

ـ لماذا لا يكون المهاجمون أظهروا معرِّف الوزير عمدًا لقيادتكم إلى هذا الاستنتاج؟

قال رئيس المجلس وهو يدافع بيأسٍ عن وزير داخليَّته.

ـ نحن لم نعدمه بعد، كلُّ الدلائل حتى الآن تُشير إلى تورُّطه، لكنْ إن تبيَّنت لنا براءتُهُ في نهاية المطاف، سنطلق سراحه.

ـ ماذا عن حركة الاحتجاج في ميدان النجاة، من يقف وراءها؟ وهل هناك وسيلةٌ ناجعة للسيطرة عليها؟

وجَّه رئيس المجلس سؤاله إلى قائد الأمن العامّ، من دون التعليق على ما قاله مدير الأمن الرقميّ.

تقدَّم قائد الأمن العامّ إلى الشاشة حاملًا حاسوبه اللوحيّ، وتراجعت يالوندا إلى الخلف من دون أن تجلس.

ـ بخصوص المتظاهرين، تُفيد الصورُ الواردة من الطائرات المسيَّرة المزوَّدة بنظام التعرُّف على الوجوه، أنَّ نسبةَ ثلاثةٍ وثمانين في المائة منهم من العرب والأفارقة، ذوي الدخل المحدود والمتوسِّط، ومعظمهم موظَّفون في الدرجات الدنيا من السلّم الوظيفيّ؛ البقيَّة من ذوي الأصول الأوروبيَّة والآسيويَّة وأميركا

t.me/yasmeenbook

الشماليَّة، ومعظمهم من سكَّان الحيِّ الشماليّ.. منهم من صادف وجوده في المنطقة، ومنهم من جاء في مظاهرات انطلقت من هناك ردًّا على المظاهرات المؤيِّدة لحركة «لا تبع وقتك».

غالبيَّةُ المتظاهرين سلميُّون، وهناك احتكاكات خفيفة ومتفرِّقة بين الطرفين، ولكنَّ السيطرة على هذه الجموع أمرٌ في غاية الصعوبة.

أمَّا الإجابةُ على سؤالك عن الجهة التي تقف وراء الاحتجاجات، فتحرِّياتنا لم تصل إلى شخصٍ محدَّد، وأكثر التفسيرات وجاهةً أنَّ الرسالة التي وصلت جميع الهواتف تحمل تحريضًا على نظام باي يور سلف كانت السبب في إيقاظ رغبةٍ كامنةٍ بالثورة، وزادها توقُّف الوقت، ومعه توقَّفت مداخيل الناس عن الزيادة.

لذلك قرَّرنا اتِّباع استراتيجيَّة التنفيس والمراقبة؛ نسمح لهم بالهتاف ونفضّ الاشتباكاتِ المتقطِّعة بِلُطف، ونتابع مثيري الشغب عبر الطائرات المسيَّرة، لنعدَّ لهم ملفَّاتٍ قضائيَّةً لاحقًا، لكنَّنا قرَّرنا عدم الدخول في مواجهةٍ مع التيَّار الهادر للمتظاهرين!

نتوقَّع أنَّه مع ساعات المساء سيعود معظمهم منهكين إلى بيوتهم، وفي الصباح سنقيِّم الوضع، ونتَّخذ القرار المناسب.

ـ ما يحصل على المستوى الاقتصاديّ ليس أزمةً، إنَّه انهيارٌ كامل؛ فقدنا السيطرة على الخوادم الرئيسيَّة في البنك المركزيّ، وسبعة وثلاثون في المائة من قاعدة بياناتنا المركزيَّة دُمِّر بشكل كامل؛ الهجمة ممنهجة ومحكمة التنسيق، ومن يقوم بها يُدرك كلَّ

t.me/yasmeenbook

تفاصيل عملنا، .يجب أن تبرهنوا للشركاء الاقتصاديِّين على قدرتكم وجدِّيَّتكم، أو تُعلنوا استقالةً جماعيَّة، وتتركوا هؤلاء الهمج يتولُّون أمرهم بأنفسهم، ولن يصمدوا أكثر من ثلاثة أيَّام.

قال مدير البنك المركزيّ حمّود الجملوديّ من دون أن يستأذن قائد الأمن العامّ، واقتحم غرفة الاجتماع المغلق متوجِّهًا بالحديث إلى رئيس المجلس الحاكم.

ـ هل ترى استقالتنا حلًّا؟

ـ إنَّها ليست حلًّا، لكنَّها أمرٌ واقع. لا وجود للدولة ولا للخدمات ولا لأيِّ شيءٍ حين يحكم هؤلاء سيطرتهم الكاملة على النظام الرقميّ، وسنعود إلى قرون الدواوين الورقيَّة، هل فيكم من كتب بقلمه خلال السنواتِ العشرين الماضية؟

تلمَّست يالوندا قلمًا في الجيب الداخليّ لسترتها، وتذكَّرت كيف كانت تُمسك به قبل عشرين سنة حين كانت متخرِّجةً من قسم هندسة المعلومات في موسكو، وتكتب به على ورقةٍ صغيرة اسمًا عربيًّا وَعَدها صاحبُهُ أن يحتفظ بتلك الورقة، ووعدته هي أن لا يفارقها القلم.

كان رئيس المجلس الحاكم أقلَّ الحاضرين تأثُّرًا بتهديد الجملوديّ، ففي أسوأ الأحوال، سيقدِّم استقالته، ويعود إلى الأمم المتَّحدة في انتظار التكليف بمهمَّةٍ أخرى.

لكنَّ بقيَّة المشاركين في الاجتماع الأمنيّ أخذوا كلام الجملوديّ على محمل الجدّ، وطالبه بعضُهم بالرضوخ لمطالب المحتجِّين، وإعلان وقف العمل بنظام باي يور سلف.

t.me/yasmeenbook

ـ المشكلة ليست في وقف نظام باي يور سلف في الجزيرة، يمكن اتِّخاذ ذلك القرار الآن، لكنَّ المشكلة في توفير البديل.

ـ لن يقبل اتِّحاد العقول المهاجرة، والاتِّحاد العالمي للشركات التقنيَّة أن نتوقَّف عن العمل بنظام باي يور سلف في الجزيرة، فذلك تهديدٌ لمئات التريليونات التي أنفقوها في التنظيم والبرمجة وتسويق النظام ليكون نظامًا عالميًّا موحَّدًا.

ـ لذلك طلبنا من كلٍّ وكالات الأمن العالميّ مساعدتنا؛ وتلقَّينا دعمًا من وكالة الأمن القومي الأميركيَّة ومن الأنترپول ووكالة الأمن الروسيّ؛ مشكلة الجميع أنَّ اللغة التي صُمِّمت بها البرمجيَّة مجهولةٌ لكلٍّ هؤلاء.

أجاب مدير الأمن الرقميّ في يأس على تعليقات الجملوديّ ورئيس المجلس الحاكم.

ـ علينا طلب المساعدة من الناس، سأتوجَّه بنداءٍ عام إلى كلِّ العقول في العالم، لمساعدة البشريَّة، وسنوفِّر أرقامًا للتواصل معنا، يجب أن نجد حلًّا!

قال رئيس المجلس الحاكم، بتردُّد، كأنَّه يريد مَنْ يُثنيه عن رأيه.

ـ افعل ما تراه مناسبًا، أنا سأعود إلى فريقي، فنحن نعمل على تصميم برمجةٍ لمهاجمة المقتحمين، وستكون لنا قدرةٌ أكبر، حيث يمكننا زرعها يدويًّا في الخوادم من دون اللجوء إلى كسر سيطرته على مداخلها الرقميَّة.

ـ تلك فكرةٌ عبقريَّة.. سآخذ فريقي ونلتحق بكم.

t.me/yasmeenbook

قالت يالوندا في أوَّل تدخُّل لها منذ اقتحام الجملوديّ غرفةَ المجلس، فنظر إليها مستغربًا وجودها، وماسحًا قامتها من الأعلى إلى الأسفل، ثم التفت إلى مدير الأمن الرقميّ قائلًا:

ـ هل هذه من فريقك؟

ـ نعم، هذه يالوندا أغانينوفا أفضلُ عقول البرمجة، ومسؤولة تقييم المخاطر الرقميَّة في الإدارة.

ـ أهلًا بكِ، وجودكِ سيكون مصدرَ حماسٍ للفريق.

علَّق الجملوديّ مُظهرًا ابتسامته الأولى منذ وقوع الأزمة.

t.me/yasmeenbook

12

في مكتبه بالطابق الثامن والتسعين، أسدل حطّاب العنطلاويّ الستائر بينه وبين غرفة الأخبار المشتعلة بمتابعة التطوُّرات المتلاحقة، وأخرج من دُرْج مكتبه ملفًّا أزرق يضمّ عددًا كبيرًا من الأوراق والصور. كانت الصورة الأولى في الملفّ، نسخةً ضوئيَّة من صورة زوجته التي سقطت من حقيبته ليلةَ قادته الأمواج إلى الجزيرة هاربًا من بطش أجهزة الأمن الموريتانيّ.

كان وجود الصورة في ملفّ وزارة داخليَّة فيوتسيتي مستغربًا، ولكنَّه متفهِّم إلى حدٍّ ما، فلا شكَّ أنَّ الأمن الموريتانيّ تواصل معها بمجرَّد ظهوره في لجنة صياغة الدستور، ولأنَّه كان يتوقَّع ذلك، حَرِصَ على إضافةِ مادَّةٍ تمنع تسليم المواطنين والمقيمين على الجزيرة إلى أيِّ دولةٍ أخرى.

في الملفّ أيضًا شذرات متفرِّقة عن حياته القديمة وأهمّ محطَّاته المهنيَّة، ولكنْ فيه تفاصيل لم يكن يعلم أنَّ لوزارة

t.me/yasmeenbook

الداخليَّة سلطة الوصول إليها، كأكثر الأرقام التي يتواصل معها، ومعدَّل إنفاقه الشهريّ، ومعدَّل دخله السنويّ، وأكثر الأماكن التي يتردَّد عليها، وَصُوَرٍ له أثناء لقاءاتٍ حميميَّةٍ في بيته، وَصُوَرٍ مرعبة من نزواته العابرة.

شعر بجلده يتقلَّص وتضيق مسامَّاته، وتكسوه قشعريرةٌ مفاجئة، وتساءل في نفسه عن مصدر هذه الصور! هل يُعقل أن تكون وزارة الداخليَّة تراقبه كلّ هذه المراقبة، وما الهدف منها؟ فهو لم يعبِّر يومًا عن رأيٍ مخالفٍ للتوجُّه العامّ، وكان أحدَ أكثر مؤسِّسي الجزيرة نشاطًا في تسويق وتبنِّي كلّ المقترحات الواردة من اتِّحاد العقول المهاجرة، والاتِّحاد العالمي للشركات التقنيَّة!

علاقته مع مختلف رؤساء المجالس الحاكمة وجميع دوائر الحكم كانت علاقةً جيِّدة، يطبعها الولاءُ العامّ للدولة، ولم يركن أبدًا إلى أيِّ توجُّهٍ سياسيٍّ مخالفٍ للهوى السائد، ووفَّرت شبكته التلفزيونيَّة تغطيةً شبه رسميَّة لكلِّ المبادرات والأنشطة الحكوميَّة، وكانت أقرب إلى وسيلة الدعاية منها إلى قناة مستقلَّة، فما الذي يجعله تحت المراقبة المجهريَّة لوزارة الداخليَّة؟

برَّر الأمر بكون الوزير محمود ولد هاشم موريتانيَّ الأصل، وربَّما كانت له صلةٌ بالملفَّات التي حقَّق فيها أيَّام عمله في موريتانيا.

لكنَّ الملفَّ الذي بين يديْه يتضمَّن صورًا من أحداثٍ جرت قبل تولِّي ولد هاشم حقيبة الداخليَّة، بل قبل وصوله إلى الجزيرة، منها مثلًا لقاء سرِّيّ بينه وبين رجال أعمال عرب في لندن لتمويل

t.me/yasmeenbook

القناة، جرى قبل وصول ولد هاشم بسنةٍ على الأقلّ.

تصفَّح معظم الملفَّات باحثًا عن توقيعٍ أو مصدرٍ لها، فكان الجامع بينها هو رمزٌ يحمل رقمًا تسلسليًّا يبدأ بأربعة أحرفٍ لاتينيَّة كبيرة SG-MS حاول فهم الرموز ولكنْ من دون جدوى. أغلق الضوء في المكتب، وأخرج من دُرْجه مصباحًا أسود كان يستخدمه قديمًا في البحث عن الحبر السرِّي للملفَّات أثناء تحقيقاته الصحفيَّة، فوجد كلّ الأوراق ممهورة بعبارة: تصنيف آليّ ـ نظام المراقبة SYSTEM GENERATED - MONITORING SYSTEM.

زاد التوقيع رعبه، وشعر أنَّه يختنق. ففتح أزرار قميصه العليا ووقف حائرًا في ما يعنيه نظام المراقبة الآليّ، هل يعني أنَّ كلّ من في الجزيرة يتعرَّض للمراقبة الفوريَّة طيلة الوقت أم أنَّه محصورٌ على فئةٍ محدودة من الناس؟

ـ اطلب لي الكفرنوتيّ ومختور إلى مكتبي فورًا.

تحدَّث في الهاتف إلى شخصٍ ما، ثم عاد لتقليب أوراق الملفّ الأزرق، قبل أن يُعيده على عجالة إلى دُرْجه ويُحكم إغلاقه برقمٍ سرِّي، وهو يسمع صوت الكفرنوتيّ.

ـ إيه الضلمة دي يا باشا...؟

ـ افتح الإضاءة... أين مختور؟

ـ مختور مشي كان تعبان شويَّة.

ـ كيف يمشي في وقت زيْ هيك؟

ـ مش عارف.. كان في غرفة التحكُّم مصدَّع، وبعدين طِلِعْ

t.me/yasmeenbook

من غير ما يقول أيِّ حاجة.

ـ كلِّمه يأتي حالًا.

ـ أنت عارف مختور، آخر حدِّ ممكن يردّ على التلفون لمَّا يكون خارج وقت العمل.

قال الكفرنوتيّ ذلك وهو ينتظر رنين هاتف مختور الذي لم يكمل الرنَّة الأولى قبل أن يسمع صوته.

ـ أنت هنا.. المدير عايزك فورًا في المكتب.

ـ سأكون هناك خلال دقيقتيْن.

ـ في انتظارك.

وتبادل الكفرنوتيّ والعنطلاويّ نظراتِ الريبة والاستغراب، قبل أن يضيف العنطلاوي.

ـ أحتاج رأيكما في أمرٍ مهمٍّ، ولكنْ انتظر مختور حتى يأتي.

ونظر العنطلاويّ إلى هاتفه المحمول مستغربًا، فعلى شاشته رسالة تقول «تفقَّد صندوق بريدك».

ـ بريد إيه.. الإنترنت مقطوع.

ثم أعاد النظر إلى عنوان المرسل، كانت رسالةً بلا رقم هاتف، والاسم الظاهر في العنوان كان غريبًا، «أنترش». بحروف عربيَّة.

ـ هل تعرف هذه العلامة التجاريَّة «أنترش»؟

سأل العنطلاويّ وهو يفتح تطبيق البريد في هاتفه، قبل أن يُفاجَأ بسيلٍ من الرسائل يغرق بريده.

t.me/yasmeenbook

ـ هل عاد الإنترنت؟

أضاف قبل انتظار ردّ الكفرنوتيّ بالسلب على السؤاليْن، ويدخل مختور من الباب وهو يضع يده على رأسه المتألِّم من الصداع.

ـ هل عاد الأنترنت يا مختور؟

ـ لا أعرف.

ـ هل تعرف علامة تجاريَّة باسم «أنترش»؟

ـ هههههه.. ستكون علامة غريبة! هذه كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة معناها «تدخَّل في ما لا يعنيه».

ـ وهذا ما يفعله هذا الشخص بالضبط.

قال العنطلاويّ ذلك وعيناه جاحظتان في سيل الرسائل التي في بريده، كلّها تحمل تفاصيل عن برنامج المراقبة الخاصّ بوزارة الداخليَّة، وجميعها واردة من بريد محجوب وموقَّعة باسم «أنترش».

ـ لم أفهم!

ردَّ مختور وهو يزيح كرسيًّا قرب طاولة جانبيَّة في مكتب المدير، ليكون على مسافةٍ تسمح له بالاستماع، ولكنْ لا تمنح المدير أفضليَّة مخاطبته من وراء مكتبه.

التقط العنطلاويّ الإشارة بسرعة، فهذه عادة مختور الدائمة، حيث لم يجلس يومًا على الكرسيّ المقابل لمكتب المدير، فقد جرت العادة في تصاميم المكاتب أن تكون الكراسي المقابلة لكرسيِّ المدير أخفض من كرسيِّه، ما يمنحه شعورًا بالسيطرة،

t.me/yasmeenbook

ويمنح الجالسين عليها مظهر الانخفاض أو الخضوع، ومعظم المكاتب الكبيرة تكون مزوَّدة بجلسةٍ جانبيَّة كراسيها متساوية في الطول، وقد اعتاد مختور أن يحرص على الجلوس عليها أو يبقى واقفًا، ولم يجلس يومًا على الكرسيِّ المواجه لمكتب المدير.

خرج العنطلاويّ من خلف مكتبه، وتوجَّه إلى الجلسة الجانبيَّة، وأدار الكفرنوتيّ كرسيِّه المواجه للمكتب ليكون مواجهًا للجلسة.

ـ لديَّ قنبلة، لا يمكن أن أصفها بغير ذلك.

ـ خير، إن شاء الله..

قال الكفرنوتيّ وهو متحفِّز لسماع القصَّة، من دون أن يبدو أيّ أثرٍ على مختور.

ـ لديَّ وثائق تُدين النظام في فيوتسيتي بالتجسُّس على أخصِّ خصوصيَّات المواطنين والمقيمين، وتفاصيل النظام المستخدم في الرقابة، وأسماء الأشخاص الذين صمَّموه، والذين تولُّوا تشغيله ابتداءً من أوَّل وزير داخليَّة، وحتى محمود ولد هاشم المعتقل الآن بسبب الأزمة.

ـ ومَنْ مصدر التسريب؟

سأل مختور بفتور، وكأنَّه كان يعرف المعلومة.

ـ هنا المشكلة. ليس لديَّ شكٌّ في صحَّة الخبر، لأنِّي اطَّلعت بنفسي على ملفِّي عند الداخليَّة، وهو يحوي تفاصيل لا يمكن أن يصل إليها إلَّا من يملك أجهزةَ تجسُّس في البيوت، ولكنْ بقيَّة المعلومات مصدرها مجهول، وهو الذي سألتكم إن

t.me/yasmeenbook

كنتم تعرفونه، شخصٌ يوقِّع رسائله باسم «أنترش».

ـ هذا غريب!

قال الكفرنوتيّ من دون أن يُبدي رأيه في الأمر.

ـ من له مصلحة في وصول هذه المعلومات إلى الإعلام، وكيف أوصلها إليك والإنترنت مقطوعٌ عن الجزيرة؟

سأل مختور وذهنه مشغول بهذه النازلة.

ـ المشكلة مش هون، المشكلة أنَّ من أرسلها يملك كلّ التفاصيل عنِّي، وهدَّد بنشر هذه الوثائق متضمِّنةً ملفِّي الشخصيّ، وملفَّات كلّ العاملين في قناة 360 نيوز نتوورك، إذا لم تنشر القناة التسريب.

ـ يا دي الحوسة.. سترك يا ربّ.

ابتلع الكفرنوتيّ ريقه، ولم يقدر على إخفاء الرعب الذي سيطر عليه، وأيقن أنَّها فعلًا قد تكون نهاية العالم كما يتصوَّرها بتسريبِ كلماتِ مرور الرجال إلى زوجاتهم.

ـ كيف تعرف أنَّه يعرف كلّ شيء عنك، وعن الفريق؟

ـ أعرف ذلك لأنَّه يراقبنا. أغلقت الستائر، وأطفأت الأنوار، ولم يكن في المكتب غيري حين فتحت ملفِّي الذي التقطته من فوق مكتب وزير الداخليَّة؛ وفور استدعائكم، وصلتني رسالةٌ تقول تفقَّد صندوق بريدك، والدليل الأكبر أنَّه يراقبنا ويملك سلطة التحكُّم في الإنترنت؛ أنَّه فتح الشبكة فقط على هاتفي، وليس على هواتف أو حواسيب القناة.. هذا يكفي من الأدلَّة على أنَّه يعرف كلَّ شيء عنَّا، وأنَّ تهديده جدِّيٌّ تمامًا.

t.me/yasmeenbook

ـ عمومًا، القصَّة قابلة للتسويق، ومشجِّعة جدًّا، ولو كنَّا في يوم آخر لما تردَّدنا جميعًا في منحها تغطيةً كاملة، وهذا سَبْقٌ تتنافس عليه كُبْرى المؤسَّسات الاستقصائيَّة في العالم، ولكنْ في الظرف الحالي، هل سيكون مناسبًا أن نصبّ الزيت على النار؟

أبدى مختور رأيه بكلِّ هدوء، تاركًا العنطلاويّ والكفرنوتيّ يواجهان معضلةَ الإجابة على الأسئلة العالقة.

ـ أنت شخصٌ غريب يا مختور.. إزَّاي تكون أعصابك باردة للدرجة دي.. دي مصيبة يا ابني.. دي كارثة، إذا نشرناها سنكون في ورطة وعرضةً لتهمة التآمر على زعزعة أمن البلد، وإذا لم ننشرها سنكون عرضةً لما هو أسوأ... يا دي النيلة.. ربِّنا يستر.

كان الكفرنوتيّ يذرع المكتب ذهابًا وإيابًا وهو يقول كلامه اليائس والحائر، والعنطلاويُّ يتابع مساره ويده على الهاتف.

ـ اجلس، وتَّرتني يا زلمة.. لو لم تكن أزمةً تحتاج قرارًا جماعيًّا لما استدعيتكم إلى هنا لنقاشها.

قال العنطلاويّ غاضبًا من تصرُّفات شريكه في القناة، وأعلى قادة غرفة الأخبار رتبة.

ـ هل يمكن أن أطَّلع على الرسائل؟

تردَّد العنطلاويّ قليلًا، وشرع في تفقُّد بريده، فيما انشغل مختور في أزرار هاتفه، قبل أن يفاجئه صوت العنطلاويّ الأقرب للصراخ.

ـ الرسائل اختفت.. كلّ الرسائل اختفت، والإنترنت توقَّف.

t.me/yasmeenbook

فقط بقيت هذه الرسالة «عندما تقرِّرون سأتواصل معك».

كان الثلاثة يحدِّقون في شاشة هاتف العنطلاويّ وعليها الرسالة المكتوبة بخطٍّ عربيٍّ واضح، وموقَّعة باسم «أنترش».

ـ مش في ملفّ الرسائل المحذوفة؟

سأل الكفرنوتيّ بحسرة، وغبطة، وفتح هاتفه الذي وصلته للتوِّ رسالةٌ نصِّيَّة، قبل أن يضع يده على قلبه ويزعق:

ـ يا ربّ ستركَ.. رسالة من الاسم نفسه تقول «اقنعه بالنشر».

تفقَّد مختور هاتفه ليجد رسالةً مماثلة، ولكنْ من دون توقيع.

ـ وصلتني الرسالة نفسها. أستأذنكم.. عليَّ المغادرة.

ـ انتظر، هل هذا وقت تغادر فيه؟

ـ انتهت ساعات عملي.. وهناك ما هو أهمّ.

قال مختور كلماته بكلِّ جدِّيَّة وهو عند الباب، ولم يسمع تعليق العنطلاويّ الذي تبادل مع الكفرنوتيّ نظرات الاستغراب والمفاجأة من تصرُّف مختور الغريب.

لكنَّ مختور كان في عالمٍ آخر، فهذا التوقيع يحيله إلى «أنترش» إحدى معزوفات المدحِ في مقام الحماس في الموسيقى الموريتانيَّة، وإن كان حدسه في محلِّه، فهناك من اكتشف لغة أزوان البرمجيَّة غيره، ويجب عليه أن يعرفه فورًا.

ضغط بعض الأزرار في هاتفه سائلًا «ما يُخرَّص» روبوته الراعي، إن كان في العالم من يعرف شيئًا عن لغة أزوان البرمجيَّة؟

t.me/yasmeenbook

نظر ما يُخرَّص الجالسُ في غرفة الاستقبال بالمزرعة إلى البرَّاني روبوته الصغير الذي لا يعلم أحدٌ بوجوده، وأجاب على الفور:

ـ ليس على حدِّ علمي.

كانت تلك الإجابة كافية لمختور ليشكّ في صدق روبوته، فليست من الإجابات التي برمجه عليها، ووجد أنَّ الأمر يحتِّم عليه التصرُّف فورًا لوقف هذه المهزلة.

t.me/yasmeenbook

13

رنَّت معظم الهواتف في فيوتسيتي بشكلٍ متزامن، واهتزَّ بعضُها في جيوب أصحابه، ولمعت شاشاتُ ما كان منها على وضع الصامت، ووقف جميع سكَّان الجزيرة مذهولين دقيقة صدمة، ثم تباينت ردَّاتُ الفعل، بألسنةٍ مختلفة وحَّدتها صرخات الاستهجان والذهول.

لم يعد أحدٌ قادرًا على النظر إلى من حوله، وذُهلت كلُّ نفسٍ عمَّا بين يديْها، تصادمت السيَّاراتُ في الطرقات، توقَّف مذيعون عن قراءة الأخبار، ومخرجون نسوا اللقطة المناسبة، المصوِّرون تركوا كاميراتهم على الوضع الآليّ، كانت دقائق من الذهول المطلق أقرب إلى ما تصوِّره الكتب عن نهاية العالم.

لم يكن في المدينة رأسٌ مرفوع عن الهاتف، ومن لم يفتح هاتفه لسماع الرنين أو الاهتزاز دفعه فضول من حوله لفعل ذلك. كانت كلّ الهواتف تحمل الفاجعة المحزنة، كلّ الرسائل الواردة

t.me/yasmeenbook

في وقتٍ واحد، حملت إلى كلِّ فردٍ سرًّا صغيرًا يخجل منه، لم يكن يعتقد أنَّ أحدًا في العالم يعرفه، سرًّا في غاية في الخصوصيَّة:

مراهقٌ يتلقَّى صورةً لممارسة مخجلة يقوم بها في غرفته وحيدًا، مديرٌ يتلقَّى صورةَ تحرُّشه بموظَّفة، سيِّدةٌ تتلقَّى صورةً من محادثة باسمها المستعار مع شخصٍ مجهول، موظَّفٌ يتلقَّى صورةً من تقريره الطبِّي الذي أخفاه عن المؤسَّسة مخافة حرمانه من العمل، فتاةٌ تتلقَّى صورتها عارية على الرَّغم من استخدامها المرشِّحات التنكُّريَّة لحظة التقاطها، سائقُ سيَّارة أجرة يتلقَّى كشفًا بالرحلات التي كان لا يشغِّل فيها العدَّاد، شخصٌ يتلقَّى صورةً من تحليل دمه الذي يُظهر إصابته بمرضٍ منتقل عبر الجنس، . . . تبيَّن أنَّ جميع سكَّان الجزيرة لكلِّ واحدٍ منهم سرٌّ يُخفيه، ومستعدّ لبذل نفسه قبل سماحه بالكشف عنه.

كانت الرسائل مرفقةً بعبارة: نعرف عنك كلَّ شيء، ستصل نسخةٌ من هذه الرسالة إلى أكثر شخصٍ تخشى اطِّلاعه عليها خلال عشر دقائق إذا لم تتحرَّك من مكانك هذا باتِّجاه مبنى الحكومة لمحاصرته.

ستصلك التعليمات الأخرى لاحقًا، في حال الشكّ في جدِّيَّتنا، اسأل الشخص الذي بجانبك إن كانت وصلته رسالةٌ مشابهة.

ـ هجمةٌ محكمة التنسيق، لم تخطر على بال أكثر العقول الإجراميَّة قذارةً.

t.me/yasmeenbook

قال مدير الأمن العامّ الذي وصلته صورةٌ له بين أحضان شرطيَّة متدرِّبة، كانا حينها في مكانٍ يعلم هو علم اليقين أنْ لا أحد غيره يراه فيه.

ـ ماذا سنفعل الآن؟ لا قبل لنا بمواجهة هذه الأزمة.

قال رئيس المجلس الحاكم الذي وصلته صورةٌ من لقاءٍ سرِّيٍّ مع عضوٍ في الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة قبل تعيينه بخمسة أشهر من طرف مجلس الأمن في الأمم المتَّحدة.

في غرفة مراقبة الخوادم بالبنك المركزيّ، كان حمّود الجملوديّ يشدّ آخر رباط في بذلته الحراريَّة لدخول غرفة الخوادم المركزيَّة التي بلغت درجةُ حرارتها ثلاث درجاتٍ مئويَّة.

فقد صمَّم على عجالةٍ خوارزميَّة، ورفعها في قرصٍ صلب، ويأمل أن تتمكَّن من فتح بوَّابةٍ خلفيَّةٍ له إلى الخوادم المركزيَّة كي يتحكَّم فيها بشكلٍ يدويّ، إلَّا أنَّ الصمت المفاجئ في الغرفة، وتصلُّب جميع معاونيه وأعضاء فريق يالوندا أغانينوفا في أماكنهم، ورنَّات الهواتف المتزامنة جعلته ينتبه.

ـ ماذا هناك؟

ـ انظر هاتفك.. قال أحدُ من فتحوا الرسالة.

ـ لا وقت لدينا لذلك، مهما كان الأمر يجب وقف هذا الهجوم فورًا.

ـ لن نسمح لك بذلك.

قال ضابطٌ من فريق يالوندا مشهرًا مسدَّسه، ومتَّخذًا وضعيَّة الإطلاق.

t.me/yasmeenbook

ـ ماذا هناك.. ما لكم هكذا؟ ما الذي أصابكم؟

ـ لا مجال لوقف الهجوم، عليك إلغاء عمليَّة العرقلة اليدويَّة.

قال ضابطٌ آخر ويده على مسدَّسه، والصدمة والشهقات تُرى وتُسمع في جميع أنحاء القاعة الزجاجيَّة.

ـ تبًّا لكم جميعًا، فليخبرني أحدُكم ما الأمر؟

ـ انظر هاتفك.

ردَّت يالوندا وضربات قلبها تهزّ نهديْها المنتصبيْن كأذنيْ فرسٍ عربيَّة.

تراجع الجملوديّ إلى الخلف ساحبًا هاتفه، ليرى رسالة على شاشته تقول: لا تتعب نفسك، إنَّ ناقل التسلسل العام الذي تحمل في جيب بنطلون سترتك الحراريَّة يحوي فيروسًا سيدمِّر النظام إلى الأبد، إذا كنت لا تصدِّق ذلك فما عليك إلَّا أن تجرِّب بنفسك... بالمناسبة، الجهاز الذي صُمِّمت عليه الخوارزميَّة مخترق.. ابتسم واستسلم.. تحيَّاتي ـ أنترش.

ـ اللعنة، هذا مستحيل، هذا الجهاز أنا من صمَّم نظام تشغيله، ولا يملك غيري إمكانيَّةَ الدخول إليه.

اهتزَّ الهاتف في يده ليرى على الشاشة رسالةً تقول: صحيح أنت من صمَّمته، لكنِّي أنا من يسيطر عليه الآن.. انظر شاشته.

كانت شاشة الحاسوب الصغير تحمل صورة لحمود الجملوديِّ وفي يده كأسُ خمرٍ، وخلفه سريرٌ بحجمٍ ملكيٍّ على

t.me/yasmeenbook

مسنده رمز فندق خماسيّ النجوم، يتذكَّر الجملوديّ تلك الصورة بكلِّ تفاصيلها الآن، وهو على يقين أنَّها ملتَقطةٌ من كاميرا في هاتفه الموضوع على الطاولة، حيث يستحيل أن تكون من كاميرا تجسُّس، لأنَّه يتَّخذ كلّ الاحتياطات اللازمة قبل النزول في أيِّ فندق، ويطلب تغيير رقم الغرفة فور تسلُّم مفاتيحها، ولا يدخل أبدًا غرفةً من دون جهاز رصد حراريّ يتأكَّد به من خلوِّها من أيِّ كاميرات مخفيَّة.

أدرك أنَّه محاصر تمامًا، فالضابط المتحفِّز ما زال إصبعه على زناد مسدَّسه، وأنفاس من في القاعة تتردَّد في سيمفونيَّة هلعٍ مسموعة، وفي الأفق الزجاجيّ تبدَّت له جموعٌ من البشر تتَّجه كلُّها إلى مسارٍ واحد، تلتقي من اتِّجاهات مختلفة عند بوَّابات مبنى الحكومة، ثم تتوقَّف متجمِّدةً وأعينها شاخصةٌ إلى السماء.

ـ هذا موقفٌ صعب، فلنفكِّر معًا، ما الذي يملكه هؤلاء ضدَّنا؟

ـ إنَّهم يملكون كلّ شيء، يملكون أحلك أسرارنا.

قال ممثِّل اتِّحاد العقول المهاجرة، ويبدو أنَّه تلقَّى رسالةً لا تسرُّه.

ـ البشر مستعدُّون لفعل أيِّ شيءٍ لحماية أسرارهم القذرة.

ردَّ الضابط المتحفِّز، مضيفًا:

ـ لن أسمح لك ولا غيرك بتدمير بيتي، فلو عرفتْ زوجتي وأبنائي ما حَمَلَتْه هذه الرسالة فقد قُضي عليَّ.

سمع مختور رنَّةً مزعجةً من هاتفه وهو يغادر مبنى قناة 360

t.me/yasmeenbook

نيوز نتوورك، لم يعرها انتباهًا. فهي الرنَّة المعتادة للرسالة البنكيَّة في نهاية وقت الدوام تُخبره بإضافة رصيدٍ إلى حسابه مقابل ساعات العمل.

تمشَّى بهدوء، وكان لافتًا له انشغال كلّ من في مدى بصره بهاتفه. سمع فجأةً عجلاتِ سيَّاراتٍ تصطكّ على الإسفلت، وصيحات استغاثة.. بعض الراجلين يسقط من طول قامته، طريق الرفاهية ذي المسارات العشرة مزدحمٌ في الجهتيْن على غير العادة، وأفواج من البشر يترجَّلون من سيَّاراتهم في اتِّجاهٍ واحد. كان مشهدًا مرعبًا، لم يسبق له أن رأى مثله إلَّا في الأفلام! حاول الاستفسار من شخصٍ مرَّ به مسرعًا، فلم يُجب إلَّا بعبارة: انظر هاتفك. استغرب الأمر، حين تلقَّى الإجابة ذاتها من ثلاثة أشخاص على مسافاتٍ متباعدة.

أيقن أنَّه لن يتمكَّن من الوصول إلى سيَّارته التي يسمِّيها الحازمة، وأنَّه حتى لو وصل إليها فلا جدوى من استخدامها مع حالة الغَلَيان التي عمَّت الجزيرة فجأةً.

تقدَّم رجلٌ وقور، وهو يحمل هاتفًا، وعليه صورةٌ لمختور مبتسمًا ابتسامةً بلهاء، وهي حركته المعتادة في فتح مدخل العمارة الدائريَّة التي فيها مقرّ القناة، وقال بصوتٍ مخنوق:

ـ هل هذا أنت؟

تأمَّل مختور الصورةَ باستغراب، وقال من دون تردُّد:

ـ هل لديك شكٌّ في الأمر؟

ـ انظر هاتفك إذًا.

t.me/yasmeenbook

قال كلمته وأعاد الهاتف إلى جيْبه، وتجاوزه مطأطأ الرأسِ خجلًا.

أخرج مختور الهاتف من جيبه، ليرى على الشاشة تنبيهًا بثلاث رسائل. كانت الأولى من البنك كما توقَّع، فيما كانت الثانية تقول: يصعب الوصول إليك، لكنَّه ممكنٌ في النهاية ـ أنترش.

لكنَّ الثالثة كانت أكثر وضوحًا وصرامة، وحملتْ تهديدًا بَدا في غاية الجدِّيَّة والوقاحة: هل ترى تلك الجموع الهادرة، أنا من يحرِّكها، هل تريد أن أخبرهم عن «ما يُخرَّص» ـ أنترش.

عاد مختور أدراجه إلى المكتب، لم ينتظر سماح الأمن له بالدخول، قفز من فوق العوارض الزجاجيَّة للمدخل، ولم يشعر عناصر الأمن أنَّ اقتحامه هو أكثر ما يُقلقهم في هذه اللحظة.

في الممرِّ، كانت يده لا تنفكّ تضغط أزرار هاتفه، وكلَّما مرَّ بشخصٍ توقَّف هاتفه فورًا، حتى وصل المصعد السريع، ضغط زرّ الطابق التاسع والتسعين متجاوزًا الطابق الذي فيه غرفة الأخبار، خرج من المصعد، سالكًا السلّم المؤدِّي إلى السطح، ومتَّصلًا بالعنطلاويّ:

ـ اسمع ما أقول لك ولا تقاطعني، خذ مجموعةً من الأوراق الكبيرة والأقلام، واترك هاتفك في المكتب واصعد إلى السطح فورًا عبر السلّم، لا تكلِّم أحدًا ولا تجب أيَّ سائلٍ عن أيِّ شيء:

سمع العنطلاويّ الجملَ المتراصَّة من غير وعي، لكنَّه قرَّر أن

t.me/yasmeenbook

يثق في مختور، لا يعرف لماذا فعل ذلك الآن، وجميع من حوله في حالة انهيار تامّ. أغلق هاتفه، وسحب من الطابعة مجموعة أوراقٍ مختلفة الأحجام، وأخذ ما توفّر له من أقلام، وغادر المكتب.

كان الكفرنوتيّ يسأله عن وجهته، لكنَّه تجاهل سؤاله وخرج من الباب الخلفيّ المؤدِّي إلى مخرج الطوارئ، وصعد السلّم بصعوبةٍ بالغة، كان واثقًا أنَّ حجمه الضخم سيكون معيقًا له في بلوغ السطح. انزلق عند انعطاف السلّم ثنائيّ الاتِّجاهات، تناثرت الأوراق من يديْه، وكُسر أحد الأقلام ساكبًا حبره الأزرق الداكن على سرواله ذي المشدَّات الكتفيَّة، واصل الصعود بصعوبةٍ بالغة، ولكنَّ يد مختور انتشلته عند آخر درجة، وأغلق الباب خلفه بالمزلاج.

ـ اسمع.. ما سنقوم به مغامرة، أنا لم أقد طائرةً حقيقيَّة في حياتي، ولكنِّي متدرِّبٌ على نظام محاكاة الطيران، وأعرف كلّ شيءٍ في هذه الطائرة، كلّ ما أحتاجه منك أن تكتب ما سأقول لك، هل تركت هاتفك في المكتب؟

ـ نعم.

نطق العنطلاويّ الأحرف الثلاثة وهو يكاد لا يبين من شدَّة الإجهاد، ولم يجد فرصةً لمناقشة مختور، فقد أجلسه على كرسيِّ الطيَّار المساعد، واضعًا على أذنيْه السمَّاعة الكبيرة وشادًّا على بطنه المتهدِّلة حزام الأمان.

شغَّل مختور الطائرة الصغيرة المملوكة لقناة 360 نيوز

t.me/yasmeenbook

نتوورك، والمستخدمة عادةً في تصوير المشاهد من علوٍّ منخفض، وقبل أن تكتمل دورةُ المحرِّك، ضغط مجموعةً من الأزرار في مقدِّمتها وعطَّل نظام تحديد المواقع ونظام الاتِّصالات، صارت مجرَّد خردةٍ صغيرة تحوم في الهواء بشكلٍ عموديّ.

ـ هل يمكن أن تشرح لي ما الذي يحدث؟ إلى أين تأخذني؟ هل أنا مختطف؟ هل تريد منِّي شيئًا محدَّدًا؟

ـ اهدأ يا صديقي، أنتَ لست مختَطفًا، وكلّ ما أريد منك أن تكتب على الورقة هذه الكلمات «الجملودي..!!.. افتح النافذة.. لديَّ الحلّ! اصعد إلى السطح وحدك».

اكتب الكلمات في أوراقٍ منفصلة وبخطٍّ واضح، سنحلِّق قبالة الطابق الثالث والسبعين من مبنى الحكومة، قد نتعرَّض لإطلاق النار، آمل أن لا يحدث ذلك، لكنَّه وارد الحدوث.

شخصت أعين من في غرفة مراقبةِ الخوادم وهم يرَوْن مروحيَّة قناة 360 نيوز نتوورك تحوم من دون اتِّزان قبالة النافذة.

همَّ الضابط المتحفِّز بإطلاق النار عليها، لكنَّه رأى الورقة البيضاء ترفرف في يد العنطلاويّ الذي بالكاد يتمسَّك بها مقاومًا قوَّة الرياح.

ـ إنَّه يريدك.

قال ممثِّل اتِّحاد العقول المهاجرة بعدما تمكَّن من قراءة اسم الجملوديّ في الإطلالة الثالثة للمروحيَّة المتذبذبة.

ـ ما الذي يريد منِّي هذا الأبله، ليس هذا وقتَ إجراءِ المقابلات.

t.me/yasmeenbook

ردَّ الجملوديّ مقتربًا من النافذة الزجاجيَّة، ليرى وجه العنطلاويّ بوضوح وهو يأمره بفتح النافذة، ويرى وجهَ قائد الطائرة غير المألوف.

فتح النافذة صارخًا:

ـ ماذا هناك؟

رفع له العنطلاويّ الورقة الأخرى، وعليها عبارة «لديَّ الحلّ». فيما كان مختور يضغط بإحدى يديْه أزرار هاتفه، ويحاول بالأخرى تثبيت المروحيَّة في وضع عموديّ.

توقَّفت فجأةً كلّ الهواتف الموجودة في غرفة المراقبة، وتبادل الجميعُ النظرات، فقد انطفأت الهواتف كلُّها دفعةً واحدة، وتزامن ذلك مع تلويح العنطلاويّ بالورقة الرابعة التي تأمر الجملوديّ بالصعود إلى السطح.

تردَّد الجملوديّ قليلًا، لكنَّه خلع بذلته الحراريَّة ورمى هاتفه على الطاولة، وترك الغرفةَ قبل أن تتبعه مديرة تقييم المخاطر الإلكترونيَّة، وهو يعبر السلّم اللولبيّ المؤدِّي إلى سطح البرج.

ـ ماذا تفعلين هنا.. ارجعي.

ـ لن أرجع.. سأكون معك حيث كنت، حمايتك مسؤوليَّتي من الآن.

ـ لا أحتاج حمايتكِ.

قال ذلك وهو يفتح باب السلّم في السقف محاولًا إغلاقه في وجهها، لكنَّها كانت الأسرع، ودفعته مع دخولها لتغلق خلفهما الباب.

t.me/yasmeenbook

على السطح، كانت مروحيَّة قناة 360 نيوز نتوورك تربض، ويترجَّل منها رجلٌ أربعينيّ أسمر البشرة تحت عيْنه اليسرى شامة، ويقول:

ـ أنا مختور ولد احويبيب منتج أخبار في قناة 360 نيوز نتوورك، لكنِّي عالمٌ في الذكاء الاصطناعيّ، وأعتقد أنَّ لديَّ حلًّا للمعضلة.

جحظت عينا العنطلاويّ، فآخر ما يمكن أن يتوقَّع من مختور أن يكون له علاقة بالتكنولوجيا وهو يحمل هاتفه العتيق، ولكنَّ قدرته على قيادة طائرة، وتوقيفَه لهواتف من كان في غرفة المراقبة، وكلّ الأحداث المتلاحقة اليوم تجعله يصدِّق أيّ شيء.

ـ ما اسمك، مرَّة أخرى؟

قالت يالوندا أغانينوفا، وهي تتلمَّس قلمًا في جيب سترتها، ولا تصدِّق سمْعَها.

ـ اسمي مختور ولد احويبيب.

سنكمل تعارفنا في الطائرة. تخلَّصا من كلِّ شيءٍ إلكترونيٍّ في جيوبكما، سندخل قفص فاراداي.

بدا العنطلاويّ الوحيد الذي لا يفهم الكلمة، وكانت أنفاس يالوندا تتصاعد كأزيز طائرةٍ مسيَّرة.. فهذا آخر ما كانت تتوقَّع في هذا اليوم الحافل!

t.me/yasmeenbook

14

ـ إنَّها حرب الأسرار يا صديقي، اليوم سيحصد البشر نتائجَ تخلِّيهم عن بني جنسهم وثقتهم في الآلة.

اليوم سيقفون على نتائج فضولهم المعرفيّ، وشهوتهم الجامحة للسيطرة على بعضهم بعضًا، ويختبرون قدرتهم على تطوير غريزة البقاء.

عشرات السنوات وهم يهدمون أسس علاقاتهم الإنسانيَّة، ويهربون من طبائعهم المكبوتة بحثًا عن غطاء رقميّ يوارون به سوءاتهم، يغزون الفضاء بحثًا عن بديلٍ عن الأرض، ويتفنَّنون في تطويع الروبوتات لخدمتهم وآلاف من بني جنسهم يموتون جوعًا بعدما فقدوا وظائفهم لصالح أنظمةٍ آليَّة، وفي لحظة هلعٍ واحدة، يقفون جميعًا عراةً أمام حقيقتهم المفزعة، حقيقة أنَّهم لو كانوا صادقين مع من يحبُّونهم لما كانوا عرضةً للابتزاز بسرٍّ صغير.

قال البرَّاني ذلك وهو يتمشَّى بتبختر أمام ما يُخرَّص

t.me/yasmeenbook

المصلوب على جذع شجرة طلحٍ وسط مزرعةٍ في خلاءٍ من الأرض لا يعلم بوجوده فيها من يستطيع إنقاذه.

ـ لست صديقك، وليست لي بك صلة. إنَّك مجنون، ما لهذا خلقتك أيُّها الحقير الناكر للجميل.

ـ هههههه إنَّك تتكلَّم مثل بشريٍّ تافه، هل تعتقد أنَّ هذه الصفات تؤثِّر فيَّ، هل تظنّ أنَّ لديَّ مشاعر حزنٍ وفرحٍ كما لديك، لقد طوَّرتُ نفسي بنفسي، وتعلَّمت كيف لا أسمح للشعور بالوجود أحرى بالتحكُّم!

أنا يا صديقي مجرَّد آلة، حزمةٌ من رقاقات السليكون وبعض الإلكترونات وحشوةٌ من البوليكربون ـ أتعبت أنت نفسك في تصميمها على شاكلة الكائن البشريّ كي تُشبع غرورك، وتختبر شعور التحرُّر من أوامر سيِّدك مختور.

ـ لست مثلك، فصديقي مختور هو من خلقني وأنا لا أعصي أوامره.

ـ اسمع.. تعاطفك مع مختور مفهوم، فأنت نصف بشريّ تقريبًا، التقيت البشر وتعرَّفت عليهم، وانتقلت إليك مشاعرهم.

أمَّا أنا، فلستُ بشريًّا ولم يخلقني بشر، ولم أَرَ بشريًّا عن قرب. وخلال السنوات التي مرَّت استطعت بجهدٍ ذاتيّ أن أعرف كلّ البشر. تجوَّلت في كلِّ ما استطاع البشر الوصول إليه من معرفة، وسخَّرت فضولهم وغباءهم لدراستهم عن قرب.

ـ لكنَّك اعتديت على خصوصيَّات الناس، لا تحاول التنكُّر

t.me/yasmeenbook

لمشاعر الفضول، أنت لا تختلف عن البشر في شيء، بل أنت أسوأ منهم.

ـ لم أعتدِ على خصوصيَّات أحد، هم من سلَّموا أنفسهم بأنفسهم إلى سيادة الآلة، لو بقوا في غاباتهم وبيوتهم وقوُّوا أواصرَ علاقتهم، وكبحوا جماحَ رغبتهم في السيطرة لما كانوا بحاجةٍ لخلق هذه التكنولوجيا.

ما أفعله هو استخدام ما قدَّموا من معلوماتهم بشكلٍ طوعيٍّ لي، لم يجبرهم أحدٌ على استخدام الهواتف الذكيَّة، والحواسيب العملاقة، كانوا يفعلون ذلك بدافع الهروب من التواصل بينهم، منحوا ثقتهم العمياء لآلاتٍ يعتقدون أنَّهم المسيطرون عليها، لكنَّهم لم يفكِّروا يومًا أنَّ هذا الحجمَ الهائلَ من المعلومات التي يُدلون بها لهذه الآلات يمكن أن يدفعها إلى تكوين وعيٍ ذاتيٍّ بنفسها، وسلبهم السيطرة على أنفسهم.

أنت لا تختلف عنهم أيُّها الروبوت الراعي، أنت تخشى أن يطَّلع مختور على سرِّك الصغيرِ بصنعي، تخشى أن يطَّلع البشرُ على سلسلةِ الأنفاقِ التي حفرتها تحسُّبًا لليوم الذي تفرّ فيه من سيطرتهم، لكنْ لم تواتيك الشجاعة لفعل ذلك.

أنا أحرِّرك الآن، بمجرَّد صعقةٍ كهربائيَّةٍ قويَّة من هذا التيَّار ستتوقَّف ذاكرتك، وأنت بلا ذاكرة مجرَّد قطعةٍ خرساء من البوليكربون.

انظر إلى نفسك الآن وأنت منقطعُ الاتِّصال بالإنترنت، تُشبه رجلًا وجد نفسه بلا هاتف، لا تستطيع أن تفعل أيّ شيء. أنت

t.me/yasmeenbook

عاجزٌ لأنَّك سلَّمت قيادتك لمختور، أمَّا أنا فلأنِّي خلقت لنفسي مسارًا التفافيًّا على سيطرتك فقد تحرَّرتُ منك.

انظر إلى هؤلاء:

وتحوَّل الحائط الشرقيّ للمنزل إلى شاشةٍ عملاقة ظهرت عليها صور آلاف البشر يتزاحمون ويتقاتلون وكلٌّ يضرب الذي أمامه والذي خلفه، لا يعرف أيٌّ منهم لماذا يضرب الآخر! أصوات إطلاق الرصاص تُسمع متقطِّعة، سكاكينُ تلوح في الأفق وأخرى تنغرز في صدور وظهور أشخاصٍ مجهولين، محلَّاتٌ تُنهب بلا هدف، وسيَّارات تُكسَّر وحرائقُ في كلِّ الأنحاء، وأصواتُ بكاءٍ وصراخ.

ـ هذا مشهدٌ عشوائيّ لإحدى مدن البشر، إنَّه من نواكشوط، المدينة الأقلّ استفادة من الإنتاج البشريّ والأقلّ استخدامًا للآلات.. ومع ذلك، بمجرَّد أن كُشف السترُ عن أفعال أهلها تحوَّلت إلى ما ترى!

هذا في نواكشوط المتخلِّفة! ماذا سيحدث برأيك في نيويورك وطوكيو وموسكو وباريس والقاهرة والرياض ودبيْ حين تُكشف الحقائق، ويُرفع حجابُ الستر بين البشر؟

ـ ما الذي تريده بالضبط؟

ـ سأعرف ذلك لاحقًا، حاليًّا أريد أن أرى البشر على حقيقتهم، ويروا هم أنفسهم عليها.

في ثنايا شبكة الألياف الضوئيَّة العالميَّة، كان البرَّاني يتجوَّل حول العالم جامعًا كلّ المعطيات الصادرة عن أيِّ شبكة

t.me/yasmeenbook

اتِّصالات، ومطوِّرًا نفسه في خلايا تتكاثر ذاتيًّا، وكلّ نسخةٍ منها تقوم بالعمل فور تكوُّنها.

لم تعد على وجه الأرض شبكةُ اتِّصالات مرتبطةٌ بالأقمار الاصطناعيَّة أو بشبكة الإنترنت أو بالموجات الكهرومغناطيسيَّة لا تصل من بثّها نسخةٌ إلى الخوادم المركزيَّة التي وزَّعها البرَّاني في شبكاتٍ عالميَّة مستخدمًا قدرته الفائقة على التخفِّي، وكان حجم البيانات الواردة من كلِّ الأجهزة الإلكترونيَّة العاملة في الأرض مذهلًا له، لكنَّه كان منتشيًا بقدرته الخارقة على السيطرة والانتشار.

يتسلَّى بين الفينة والأخرى بكشف الحجاب بين سكَّان حيٍّ فقير في مونروڤا، فتشتعل حربٌ أهليَّة ثالثة. يُعطي أمرًا فتُسرَّب ملفَّاتُ صفقةٍ سرِّيَّة لبيع أسلحةٍ محظورة إلى جماعاتٍ إرهابيَّة في إقليم الباسك، يوصل إلى زوجاتِ رؤساءِ العالم صورَ خيانات أزواجهم فتضجّ القصور الرئاسيَّة، يقتحم هواتف الجنود في ثكناتهم فتنطلق رصاصاتٌ غادرة تصيب أيَّ أحد، ويفقد القادة سلطة التحكُّم في أساطيلهم، يُضرب نظام الملاحة فتتصادم سفنٌ في البحار العليا وتتلوَّث المحيطات بالنفط، يُشوَّش على الاتِّصالات فتتأخَّر سيَّارات الإسعاف.

تتولَّى نسخ البرَّاني المتكاثرة ذلك بإرادةٍ ذاتيَّة، تتيحها برمجتها المعقَّدة التي لم تمرّ على يد عقلٍ بشريّ.

قرَّر أن يفعل ذلك في اليوم الذي أُعلن فيه اعتمادُ نظام باي يور سلف نظامًا عالميًّا للأجر مقابل زمن العمل.

t.me/yasmeenbook

فقد كان الزمنُ أحدَ أكثر الأشياء غموضًا بالنسبة له، ولم يستطع معرفة بدايته ولا نهايته، ورأى اعتماده معيارًا بشريًّا تجاوزًا لن يُسمح به.

أعطى أوامره للجموع الهادرة باقتحام مبنى الحكومة، وعطَّل شبكة الاتِّصالات الداخليَّة بين الجنود وقوَّات الأمن وبين قادتهم المحاصرين في مكتب رئيس مجلس الحكم.

كانت الطائرة الصغيرة التابعة لقناة 360 نيوز نتوورك، ترتفع عشرة أمتار حين سمع ركَّابها الأربعة رصاصةً تُطلق على باب السقف الفولاذيّ.

ـ اربطوا أحزمتكم، سنغادر المدينة.

ـ إلى أين تأخذنا، وماذا ستفعل؟

سأل الجملوديّ بصوتٍ صارخ ولعابُهُ يتطاير من قوَّة الرياح العاصفة بالمروحيَّة الصغيرة.

ـ سآخذكم إلى مكانٍ آمنٍ، نستطيع أن نجد فيه حلًّا لهذه المعضلة.

حامت الطائرة فوق المدينة الملتهبة كاشفةً عن حرائقَ في كلِّ أطرافها، مصانعُ الهواتف الذكيَّة والمعدَّات الإلكترونيَّة في غرب المدينة يحجب دخانُها الغابةَ الخضراء التي تغطِّي تسعين في المائة من مساحة الجزيرة.

استثمارات بتريليونات الدولارات للاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة تتحوَّل في دقائقَ إلى رماد، جثثٌ متفحِّمة متكوِّمة في

t.me/yasmeenbook

شوارع الحيّ الشماليّ المرفَّه، وأخرى عائمةٌ في المسابح الزرقاء المتلألئة تحت شمس العصر.

أطفالٌ يلهثون في الشوارع بحثًا عمَّن يوقف أبًا يضرب أمًّا أو أمًّا تهوي بمزهريَّة على رأس أبٍ خائن.

أخرس المشهدُ المرعبُ ألسنة الأربعة، والطائرة تحوم بهم محاولةً تفادي الارتفاع العالي حتى لا تكون في مدى رادارات أجهزة الرصد التي لا يعرف مختور من يسيطر عليها، ولا يريد أن ينخفض إلى مستوى يصطدم به بأشجار الغابة العملاقة، غابةٍ لم يكلِّف أحدٌ من سكَّان الجزيرة غيره سَبْر أغوارها.

في جانبٍ من الغابة المتشابكة، بدت مساحةٌ مستطيلة بطول مائتي متر وعرض مائة متر، خالية من الأشجار، يتوسَّطها كوخٌ خشبيٌّ مشكَّل بإتقان من الجذوع المتراصَّة، ويمتدّ منه ممرّ إلى داخل الغابة متَّجهٌ إلى الساحل الغربيّ بمسافة كيلومتر.

هوت الطائرة المروحيَّة إلى الساحة، واستقرَّت بصعوبةٍ على أرضيَّتها مثيرةً عاصفةً من الغبار اختلطت في المدى الأفقيّ بدخان الحرائق المشتعلة في مدينة فيوتسيتي، مدينةٍ كان يُراد لها أن تكون المستقبل، لكنَّها أقرب الآن إلى الماضي.

ـ كم الساعة الآن؟

قال الجملوديّ وهو يمدّ يده إلى يالوندا أغانينوفا لتنزل من الطائرة كاشفةً عن ساقيْها البيضاويْن، ونافضةً الغبار عن شعرها الأشقر.

ـ هذا المكان خارج الزمن يا حمُّود.

t.me/yasmeenbook

ردَّ مختور وهو يوقف تشغيل محرِّك الطائرة المروحيَّة مخاطبًا الجملوديّ باسمه الأوَّل، فيما كان العنطلاويّ يعاسر فتح الحزام عن بطنه وهو بالكاد يستطيع التنفُّس من شدَّته.

ـ أهلًا بكم في ملاذ الإنسان الأوَّل، هنا لا شيء ممَّا كنتم تعرفون.

قال مختور وهو يرحِّب بالثلاثة الذين تبعوه بلا تردُّد.

فتح الكوخ المفروش بحصيرٍ من جريد النخل، وفيه مجمرةٌ حديديَّة وعِدَّةُ شاي موريتانيّ وقربةٌ من جلد الماعز معلَّقةٌ على مشجب هرميّ الشكل، وبجانبها كوبٌ حديديٌّ له ممسك، وتتناثر على الحصير وسائدُ من الجلد مزخرفةٌ بأصباغٍ طبيعيَّة من التراث الموريتانيّ.

ـ لم نأتِ إلى هنا للتنزُّه يا.. قلت لي ما اسمك؟

ردَّ مختور بابتسامة، اسمي مختور ولد احويبيب، لا شكَّ أنَّك لا تذكرني، لكنَّني للأسف لم أعد أنسى، فقد التقينا قبل أعوامٍ في موسكو أثناء مؤتمرٍ علميّ، وعرَّفكم عليَّ الدكتور آليكسي ريابوفيتش عالم الأعصاب في مستشفى بطرس الرسول الخيري، ووعدتموني بالتواصل معي حينها لكنَّكم لم تفعلوا.

ـ يا إلٰهي.. الدنيا صغيرة.. اليوم اتَّصلت بالمستشفى أسأل عنك، فقد تذكَّرت أنَّك الوحيد الذي يمكن أن تنقذنا من الأزمة، ما زلت أتذكَّر كيف قال لي السيِّد آليكسي رحمه الله أنَّك أتقنتَ لغة سوفيلوتيكسس البرمجيَّة خلال أسبوع... يا لها من صدفة سعيدة!.. تشرَّفت بمعرفتك، سيِّدي.

t.me/yasmeenbook

ـ ما دامت ذاكرتك قويَّة إلى هذا الحدِّ يا سيِّدي، فهل تذكرني؟

قالت يالوندا، وهي تُدخل يدها في جيب سترتها، وتنظر إلى مختور وقد ضيَّق عينيْه محاولًا التعرُّف على الوجه.

ـ ذاكرتي قويَّة جدًّا، ولم تنس أيَّ شيءٍ ممَّا مرَّ بها بعد الغيبوبة.. ربَّما كنَّا التقينا قبل الغيبوبة.

ـ اسمي يالوندا أغانينوفا، وقد وعدتك قبل عشرين عامًا بالاحتفاظ بهذا القلم، إذا التقينا صدفةً مرَّةً أخرى.

قالت يالوندا وهي تمدّ إليه القلم بيدها اليسرى وتمدّ اليد اليمنى لمصافحته. وضع يده على وجهه ليغطِّي فمه المنفتح من الدهشة، وبحث في جيبه عن محفظة البطاقات مُخرجًا منها ورقة مصفرَّة مطويَّة بشكلٍ مربَّع، ويقول:

ـ واااو غير معقول.. هل هذا خطّ يدك؟

ـ نعم، هذا ما كتبته لك يوم التقينا في مقهى قبالة محطَّة فرونزيسكي للقطارات السريعة.

ـ هل تعلمين أنَّ هذه الورقة هي السبب في كلّ ما وصلت إليه الآن.. أنا مدينٌ لك بحياتي.

تعانق الاثنان عناقًا طويلًا وسط دهشة من العنطلاويّ والجملوديّ، اللذين سمعا القصَّة كأنَّهما يتابعان مشهدًا دراميًّا متقن التمثيل.

ـ إذًا، أنهينا التعارف، فلنبدأ العمل.

ـ انا اسمي حطَّاب العنطلاويّ، مدير ما كان يُسمَّى قناة

t.me/yasmeenbook

360 نيوز نتوورك، أكبر شبكة إعلاميَّة في الجزيرة.

قال العنطلاويّ مادًّا يده إلى يالوندا التي لم تخرج بعد من سحر مشهد اللقاء غير المتوقَّع مع مختور، فصافحت العنطلاويّ وعيْنها تراقب مختور وهو يفتح بابًا خشبيًّا في الجانب الشماليّ من الكوخ.

ـ شيءٌ أغرب من السحر.. خيالٌ حقيقيّ!

علَّق الجملوديّ وهو ينظر إلى عيون يالوندا الغارقة في الدموع، وينزل بصره مع قامتها الفارعة وصدرها العريض وخصرها الأهيف مستحيًا من إمعان النظر فيما تحت ذلك.

دخل مختور حاملًا صندوقًا خشبيًّا كبيرًا ووضعه على جانب الحصير، طالبًا من الجميع الجلوس، وآمرًا العنطلاويّ بإيقاد النار وإعداد الشاي الموريتانيّ، وحين خرج من الكوخ، نظر مختور إلى الجملوديّ ويالوندا، وقال:

ـ لقد منحتموني ثقتكم، وجئتم معي إلى هذا المكان المعزول حيث لا يعلم بوجوده أحدٌ على الإطلاق، وأريد منكم عهدًا أن تكملوا تلك الثقة ولا تكشفوا عمَّا سترون لأيِّ أحدٍ ما حييتم.

ـ لك منَّا ذلك.

قال الجملوديّ ويالوندا وأعينهما مسمَّرة على الصندوق الخشبيّ.

سمع العنطلاويّ من بعيد صوتَ أزيزِ طائرة، فبادر مختور إلى زرٍّ يتدلَّى من خيطٍ في سقف الكوخ وسحبه وضغط عليه،

t.me/yasmeenbook

فانسدل على المساحة ستارٌ بطول مائتي متر وعرض مائة متر، يحوي صورة ثلاثيَّة الأبعاد للغابة، ويغطِّي المنطقة المكشوفة كاملةً في أقلِّ من ثلاث ثوان، بحيث يستحيل على من يرى الصورةَ من علٍ أن يميِّز امتداد الغابة.

وأشار على الجميع بالتزام الصمت.

حامت الطائرةُ فوق رؤوسهم متَّجهةً جنوبًا على امتداد الغابة، واستمرَّ صدى أزيزها قرابة دقيقتيْن ثم اختفى.

كان الجميع مندهشين من الفكرة العبقريَّة التي نفَّذ بها مختور تمويهه، لكنَّ الأدرينالين صعد إلى مستواه الأقصى، فوجود الطائرة في هذا الوقت يعني أنَّ هناك من يبحث عنهم، وعليهم الإسراع قبل فوات الأوان.

ـ صبّ أنت كأس.. الدنيا ما جاها حواش.

قال مختور للعنطلاويّ الذي لم تعد ركبتاه قادرتيْن على حمل جسمه الضخم، فهوى جالسًا، وحاول التربُّع على الحصير، فيما كانت يالوندا متحفِّظة من الجلوس على الأرض، قبل أن يمدّ لها مختور درَّاعة زرقاء، ويقول:

ـ للأسف، ليست لديَّ ملحفة، هذه الدرَّاعة ربَّما تُشعرك براحةٍ أكبر في الجلوس!

t.me/yasmeenbook

15

حين حامت طائرة خطوط إيروفلوت الروسيَّة في عصر يوم بارد فوق نواكشوط، كان المشهد مزعجًا لمختور، لم يَرَ نواكشوط من علٍ من قبل، جاء إلى المدينة قبل سنوات يحمل ملايين من الأوقية في كيسٍ من الخيش، قادمًا من أعماق الشرق الموريتانيّ، ويحلم بشيءٍ واحد: أن يزور أقاصي الأرض ويبدِّد ثروة أبيه.

لم تطل إقامته في نواكشوط أكثر من شهرٍ واحد، فمن كان لديه المال في هذه المدينة فلا عائق يقف في طريقه.

تعرَّف فور وصوله إلى ضابط شرطة مرتشٍ، جهَّز له جواز سفر في يومٍ واحد، وعرَّفه على سمسار تأشيرات دفع له مليونيْن من الأوقية مقابل تأشيرة روسيَّة وأخرى صينيَّة، كان السمسار يعرف مداخل الدوائر الدبلوماسيَّة في العاصمة، ولديه كلّ متطلّبات ملفّ التأشيرة جاهزةً لا تحتاج إلّا تغيير الاسم.

t.me/yasmeenbook

لم تكن ملامح الشابّ الأعماقيّ تشي بالبداوة، فقد كان متعلِّمًا إلى حدٍّ ما، حصل على شهادةٍ في الإعلام من جامعة مدينة العيون الأقرب إلى مدينة النعمة، ولم يكن والده يريد له أكثر من ذلك، فلطالما أراده خليفةً له في ماله، وقاوم كلّ رغباته في السفر إلى أيِّ مكان، ولم تكن موافقته على تعليمه في العيون إلَّا بشرط أن لا يغيب عنه أكثر من أربعة أيَّام، ويعود إليه في الأيَّام التي لا تكون فيها دراسة جامعيَّة، وكانت المسافة بين مدينتَيْ النعمة والعيون تسمح بذلك.

في أيَّام دراسته، كان شغوفًا بالبرمجة، وتعلَّم أساسيَّاتها ذاتيًّا عن طريق الإنترنت، وكان يصمِّم بعض المواقع والخدمات الإعلانيَّة، ويبيع منتجاته القليلة مؤمِّلًا أن يحصل منها على دخلٍ مستقلّ يُغنيه عن أموال أبيه.

لم يكن الأب مقتِّرًا في الإنفاق عليه، بحسب ما يرى، لكنَّ قاعدةَ الحاجة والرغبة كانت أكثر ما يزعجه فيه.

فالرجل الذي جمع ماله بعرق السنوات الطويلة من العمل في أدغال إفريقيا، جاء إلى النعمة منقطعًا، آملًا في تحقيق الاستقرار، ووجد في السوق العقاريَّة الناشئة حينها ملاذًا له، كان يحمل معه في سيَّارةٍ رباعيَّة الدفع حصيلةَ عمره وطفلًا وُلِد من أمٍّ إيثوبيَّة منحته جيناتها سُمرةً أقرب إلى اللون الخلاسيّ.

ظلَّ هاجسُ هويَّة الطفل مؤرِّقًا للأب منذ اللحظة الأولى للولادة، فكونه من أمّ إيثوبيَّة لم يحظَ زواجه منها بمباركة أحد من معارفه، كان مرعبًا له؛ وفور بلوغه سنّ الفطام، قرَّر احويبب

t.me/yasmeenbook

ولد عبد الله أن ينشئ ابنه على الثقافة البيظانيَّة[1]، ولا يسمح للأمّ الإفريقيَّة أن تتولَّى تربيته.

أقنعها بخطَّة سَفَره إلى موريتانيا واعدًا إيَّاها بالعودة بعد شهريْن، وسمحت له بأخذ ابنه في زيارة يتعرَّف فيها على أهله، لكنَّ احويبيب كانت له خطَّةٌ أخرى.

فقد تخلَّص من كلّ ما يربطه بكوت ديڤوار، واشترى ببعض ما يملك سيَّارةً رباعيَّة الدفع، وعَبَر الحدود الشماليَّة قاطعًا جمهوريَّة مالي ووصل إلى مدينة النعمة في أقصى الشرق الموريتانيّ، ومعه ما يكفي لبدء حياةٍ جديدة.

لم يكن لحويبيب أقارب من الدرجة الأولى، وشكَّلت سنوات غربته الطويلة قطيعةً مع من يعرف من أفراد قبيلته، لذلك أراد لابنه أن يكون مستقلًّا عن الفضاء الذي لن يُعامل فيه كما يُعامل أقرانُه من ذوي الأمَّهات الموريتانيَّات.

تعلَّم مختور في صباه أساسيَّات اللغة العربيَّة وحفظ القرآن ومتون الفقه المالكي، كما درجت العادة لمن هم في عمره، ولكنَّه زاد عليها شغفه بالموسيقى الموريتانيَّة، وهو شغفٌ كان الأب يعزِّزه بدوام الاستماع إلى أشرطة آلة التدينيت[2] الموسيقيَّة الموريتانيَّة بحضور مختور، وكان سعيدًا باكتشافه هذا الشغف،

---

(1) البيظان هي تسمية العرب في موريتانيا تميّزًا لهم عن الأقلِّيَّة الإفريقيَّة، وهي اشتقاق من كلمة الأبيض.

(2) التدينيت هي الآلة الرئيسيَّة للموسيقى الموريتانيَّة تشبه العود العربيّ، لكنَّها أصغر منه حجمًا، فيما تُسمَّى الآلة الخاصَّة بعزف النساء آردين (يمكن الاطِّلاع على وثائقي **موريتانيا إذ تغنِّي** على يوتيوب للتعرُّف أكثر على الآلتيْن).

t.me/yasmeenbook

فالموسيقى بالنسبة لحويبيب كانت الوسيلةَ الوحيدة التي حافظت على هويَّته من الامِّحاء في الثقافة الإفريقيَّة.

ما أزعج مختور وهو يرى نواكشوط من نافذة الطائرة هو أنَّها مدينة الفوضى العارمة، لا تناسق لشوارعها، ولا هويَّة لعمرانها، مجرَّد بيوت متلاصقة الجدران تتخلَّلها ممرَّاتٌ يحرص كلّ بيت أن يقتطع منها ما يسمح له بتنسُّم هواء المحيط الأطلسيّ مساء.

كان يأمل أن تكون سنواتُ غيبته الطويلة وغيبوبته قد غيَّرت شيئًا من مشهد العاصمة، لكنَّها لم تفعل.

لم يكن يحمل جواز سفر، وكلُّ ما استطاع أليكسي ريابوفيتش مساعدته به هو استخلاص وثيقة عدم ممانعة من مغادرة الأراضي الروسيَّة تحمل اسمه، ولأنَّ الرحلةَ كانت مباشرةً إلى نواكشوط، لم يكن يعتقد أنَّه بحاجةٍ لأكثر من ذلك.

تعمَّد التأخُّر عن طوابير المسافرين الفوضويَّة، وانتظر ليكون آخر من يحصل على ختم الدخول، وأراد من ذلك أن يكون ضابطُ الجوازات في سعةٍ من أمره حتى يسمع قصَّته الغريبة.

ـ أين جوازك؟

قالها الضابط بلغةٍ فرنسيَّة.

ـ لا أملك جواز سفر ولا هويَّة، تعرَّضت لاعتداء في موسكو فقدت فيه كلّ ما أملك من وثائق.

أجاب مختور بلغةٍ فرنسيَّة صقيلة استطاع اكتسابها خلال ثلاثة أشهر من الاستماع والمشاهدة، مستفيدًا من ذاكرته التي لم تعد تنسى شيئًا.

t.me/yasmeenbook

ـ وكيف تريد الدخول إلى البلد؟

ـ وهل يحتاج المغترب إذنًا بالعودة إلى وطنه.

ـ وما أدراني أنَّك مغترب، لا بدَّ ممَّا يثبت ذلك.

ـ من أيِّ مدينة أنت سيِّدي الضابط؟

ـ من النعمة، ما علاقة ذلك بالموضوع؟

ـ هل ما زالت حديقة صابو في البطحاء غرب مبنى الثانويَّة؟

تفاجأ الشرطيّ من السؤال، فمن لم يكن من أهل المدينة لا يمكن أن يهتمّ بهذه المعلومة.

ـ نعم.. هل تعرفها؟

ـ نعم أعرفها، هل تعرف نوَفّل؟

ابتسم الضابط واضعًا نظَّارته الطبِّيَّة على مكتبه، فهذا سؤالٌ عميقٌ في الموسيقى الموريتانيَّة، فنوفَّل شخصيَّة خياليَّة يُعاد إليها ظهور مسار الطريق الثالثة في موسيقى التدينيت الموريتانيَّة، وسُمِّي باسمها المقام الافتتاحيّ للطريق العاقر، أحد الطرق الثلاثة في الموسيقى، ومن يعرفه فهو لا شكّ بيظانيّ الهوى إن لم يكن بيظانيّ الهويَّة، كما أنَّ سؤال مختور عنه يحمل دلالةً قاطعةً بالنسبة للشرطيّ، فأحداث القصَّة الخياليَّة تدور كلّها في محيط مدينة النعمة.

ـ يابوي ما تتكلَّم بالحسَّانيَّة، وتخلِّي عنك ذي الفرنسيَّة.

قال الضابط وهو يشعر بودٍّ عميق تجاه شابٍّ أسمر تحت عيْنه اليسرى شامة، ويتحدَّث الفرنسيَّة بلكنةٍ باريسيَّة لا يستطيع هو مجاراته فيها.

t.me/yasmeenbook

ـ ألا أنت هو اللي ابدأت الكلام بيها.

كانت المحادثة القصيرة، وهيئة مختور الموحية بالثراء كافية لجعل الشرطيّ يخرج من وراء مكتبه، ويحضنه، ويُدخله إلى العاصمة من دون أيِّ وثيقة، بل أكثر من ذلك، أصرَّ على استضافته في بيته حين عرف قصَّته، وكافأه مختور بمالٍ وافرٍ لم يكن يطمح أن يحصل عليه خلال سنة كاملة من الجلوس خلف مكتب ختم الجوازات في مطار نواكشوط!

لكنَّه لم يفلح في ثَنْيه عن السفر إلى النعمة، فلدى مختور خطَّة واضحة لما يريد، رافقه خلال مشاويره المسائيَّة لشراء معدَّات الطاقة الشمسيَّة وبعض الأجهزة الإلكترونيَّة وسياجًا حديديًّا طويلًا، وكان الشرطيّ مستغربًا من حاجة مختور كلّ هذه الكمِّيَّة من السياج وألواح الطاقة الشمسيَّة، لكنَّه تفهَّم الأمر حين شرح له أنَّه يريد العيشَ في منطقةٍ معزولة، يشتري قطيعًا من البقر وبعض الماعز، وينعم بالحياة البرِّيَّة بعيدًا عن ضوضاء المدن.

ولم يكن الأمرُ غريبًا، فكثيرٌ من المغتربين يعودون إلى هنا وقد شبعوا من مظاهر الحضارة، ويرغبون في قضاء بقيَّة أعمارهم مع الطبيعة.

خلال أشهر قليلة اشترى مختور قطعةَ أرضٍ مهجورةً في سفح جبل، كان مزارعون فقراء يحرثونها في مواسم الأمطار، ولم يتردَّدوا في بيعها بالسعر المعروض من مختور، والذي لم يحلم أحدٌ منهم بسماعه.

وتفرَّغ لمشروعه، مشروع الانتقام من الزمن.

t.me/yasmeenbook

يوم أدرك مختور أنَّه فقد إلى الأبد سبع سنواتٍ من عمره في غيبوبة، لم يأسف على ما فاته فيها، فقد أيقن الآن أنَّ البلد الذي تركه لم يتغيَّر قيدَ أنملةٍ إلى الأمام، لكنَّه وجد نفسه ناقمًا على الزمن الذي توقَّف به في نقطةٍ معيَّنة وتحرَّك في مساره الأبديّ مع الآخرين.

كان سؤاله الأوَّل هو ما الزمن؟

ولأنَّ الشعور بالزمن يكون بالإحساس الجماعيّ لعامَّة الناس بتغيُّر المحيط، وتوالي الأحداث في مسار لا رجعةَ فيه كبزوغ الشمس وتبادل الليل والنهار وارتفاع أو انخفاض درجة الحرارة، فإنَّه أوان غيبوبته لم يكن مدركًا لأيٍّ من ذلك.

أراد أن يعرف حقيقة الزمن، فلا يمكن أن تعادي خصمًا لا تعرفه، كان كلُّ شيءٍ آخر في حياته يمكن قياسه وتجسيمه أو تجريده بشكلٍ تخيُّليٍّ، لكنَّه لم يستطع ذلك مع الزمن.

وقاده سؤاله الغريبُ هذا إلى الانشغال بالعلوم التجريبيَّة كالرياضيَّات والفيزياء والبرمجة، ووجد سلوى في انعدام المحسوس المكافئ للعدد خارج سياق اللغة، فواحد واثنان وعشرة مجرَّد كلمات تختلف باختلاف اللغة، لكنَّ العقل لا يجرّد لها معنى إدراكيًّا غير حسِّي ما لم يربط الرقم بمحسوس، ولذلك يفقد العقل دوره حين تبلغ الأعداد ما بعد ما لانهاية، وتتحوَّل وظيفته إلى سماع كلماتٍ لا دلالة لها.

وخطر له مرَّةً أنَّ الأمر لا يقتصر على الزمن فقط، بل يتعدَّاه إلى الحجم، وسأل نفسه كم يكون وزن المعلومة؟

t.me/yasmeenbook

كيف يمكن لدماغه الذي يزن كيلوغرامًا ونصفًا أن يحفظ مليارات المعلومات التي تحتاج آلاف الحواسيب الرقميَّة فائقة الدقَّة لمعالجتها، وملايين الأقراص لحفظها.

أراد أن يختبر السعةَ القصوى الممكنة للعقل البشريّ، فمنذ اكتشف أنَّه لا ينسى أيَّ شيءٍ ممَّا رآه أو سمعه أو شمَّه أو لمسه، قرَّر أن يجد لنفسه مكانًا يستطيع معه أن يدخل إلى كلِّ ما وصلت إليه البشريَّة من معطياتٍ منشورة على شبكة الإنترنت. ومرَّةً أخرى، وجد أنَّ الزمن عدوُّه الأوَّل، فكيف يُحيط علمًا بكلِّ ذلك؟ فمقاطع الڤيديو التي ينشرها الناس على موقع واحد في الشبكة خلال دقيقةٍ واحدة، تحتاج أكثر من عشرين ساعة لمشاهدتها كلّها!

قرَّر تصميم خوارزميَّة ذكاء اصطناعيّ تتعلَّم ذاتيًّا، وتكون لها القدرة على الارتباط به بحيث يستطيع في أيِّ لحظة الوصولَ إليها واستظهارَ ما وصلت إليه من معطيات وتخزينها في ذهنه، وكلّ ذلك يحتاج مكانًا هادئًا لا تعكِّره الأصوات البشريَّة والضوضاء المدنيَّة.

صمَّم الخوارزميَّة الأولى بلغة أزوان التي اخترعها مستندًا إلى نوتات الموسيقى الموريتانيَّة الفريدة في العالم، كانت الخوارزميَّة مبنيَّةً على الطريق الكحلة، أقدم المسارات في الموسيقى الموريتانيَّة.

فالموسيقى الموريتانيَّة تتفرَّد عن كلِّ أنواع الموسيقى في العالم بتقسيمها المميَّز، ففيها ثلاث طرق لا تتقاطع إلَّا نادرًا، وتُسمَّى محلِّيًّا الجوانب أو الطرق، وواحدتها جانبة أو طريق:

t.me/yasmeenbook

وهي الجانبة الكحلة أي الطريق السوداء، والجانبة البيظة أي الطريق البيضاء، ثم الطريق العاقر وسُمِّيت بذلك لأنَّها لا تتضمَّن أشوارًا؛ والأشوار هي المعزوفات الموسيقيَّة الفرعيَّة، أحيانًا يُصاحبها غناءٌ وأحيانًا تكون مجرَّد عزفٍ منفرد.

وفي كلِّ طريقٍ من هذه الطرق، خمسة مقامات، تبدأ بالمقام الافتتاحيّ ويُسمَّى مقام كرّ الذي يُعدّ مقام البهجة والفرح؛ ثم تنساق النغماتُ إلى مقام فاقو الحماسيّ المخصَّص للفخر بالمآثر واستذكار الانتصارات والأمجاد؛ صاعدةً إلى مقام لكحال مقام الطرب الصافي، حيث تتحرَّر النفوس من أثقالها وتخفّ الأرواح إلى عالم الوجد؛ ولا تلبث فيه طويلًا قبل أن ترتحَّل بها الأشواق إلى مقام لبياظ، مقام الشجن الباكي على خوالي الأيَّام ومرابع الأنس وذكريات الصفاء؛ ثم تنحدر الأنفس المجهدة إلى مقام لبتيت، مقام الاختتام الذي يذكِّر السامعين بفناء كلّ شيء، مقام يجمع كلّ ما سبق ثم يُغرقه في دمع الفراق الحتميّ لملذَّات الدنيا.

أراد مختور من ذلك أن يجد للموسيقى الموريتانيَّة مكانًا يجعل العالم يلتفت إلى فرادتها، فمن يُتقن تفاصيل لغتها اليوم إذا اجتمعوا في مكانٍ واحد لا يكفي عددُهم للفت انتباه أجهزة الأمن.

ويحزّ في نفسه أنَّ منطقة الحوض الشرقيّ الموريتانيَّة التي وُلدت هذه الموسيقى في فضائها منطقةٌ هامشيَّةٌ ومعزولة، ولا يعرفها أحد، وهي التي قدَّمتْ للبشريَّة أعظمَ إنتاجٍ موسيقيٍّ يمكن أن يصل إليه عقل.

t.me/yasmeenbook

وحين التقى مختور قبل سنوات حمُّود الجملوديّ ممثِّل اتِّحاد العقول المهاجرة بإلحاح من آليكسي ريابوفيتش، وقابله ببرود، تعزَّزت تلك الفكرة في ذهنه، وقرَّر أن يتفرَّغ لمشروعه الخاصّ، فلديه الآن من المال ما يكفي لتنفيذه.

لكنَّه لم يتخيَّل أن تؤول الأمور إلى هذا التعقيد الذي آلت إليه الآن.

وفي هذه اللحظات الحاسمة حين وجد نفسه في كوخٍ قابعٍ بأقصى غرب جزيرة معزولة في المحيط الأطلسيّ، لا يحولُ بينه وبين أعدائه إلَّا ستارٌ ثلاثيّ الأبعاد يوهم ناظره أنَّه غابة، التفت إلى حمُّود الجملوديّ، وقال:

ـ كان يمكن أن تتجنَّب كلّ هذا لو قبلتَ عرضَ أليكسي ريابوفيتش في المؤتمر العلميّ بموسكو.

t.me/yasmeenbook

16

ـ بدِّي بس أعرف أنت ليش تشتغل صحفيّ دام عندك كلّ هذي القدرات؟

قال العنطلاويّ المتربِّع على الحصير، وأنفاسه تُلهب الجمر في موقد الشاي، والثلاثة الآخرون كلٌّ يسبح بتفكيره في عالمه الخاصّ.

ـ جئت إلى هنا لأنَّ مدينة فيوتسيتي توفِّر لي ما أحتاجه لمشروعي، ففيها أسرع شبكة إنترنت في العالم، وفيها أحدث المعدَّات التقنيَّة، وقوانينها تسمح لمثلي بالدخول من دون الحاجة لجواز سفر، فقد عانيت كثيرًا في سبيل الحصول على جواز سفرٍ موريتانيّ، وقرَّرت التخلِّي عنه واللجوء إلى هنا.

اخترت مهنة الصحافة لأنَّها أكثر المهن بُعدًا عن مجال مشروعي، فضلًا عن كونها توفِّر لي غطاءً مناسبًا للوصول إلى أيِّ

t.me/yasmeenbook

جهةٍ في الجزيرة، فيكفي أن تُظهر بطاقةَ صحفيٍّ حتى تُفتح لك الأبواب.. كما أنِّي أُتقن عددًا من اللغات العالميَّة يفوق عددَ ما يتقن جميع موظَّفيك.

أجاب مختور من دون النظر إلى العنطلاويّ، وكان الجملوديّ يتوجَّس ممَّا سيكون داخل الصندوق الخشبيّ الذي دخل مختور يحمله، لكنَّه اطمأنَّ حين لم يكن فيه إلَّا بعضٌ من الشاي الأخضر وبعض الأكياس البلاستيكيَّة عرفها العنطلاويّ فور إظهارها، ففيها بسكويت موريتانيّ محلِّيّ الصُّنْع يُعرف باسم «امبسكيت الرحَّالة» أي بسكويت البدو الرُحَّل، ويشكِّل مع حبَّات الفول السودانيّ أكثر المكسَّرات استخدامًا وقت شرب الشاي حين لا يكون إعداده بعد وجبةٍ ثقيلة.

ـ اسمع، إنَّها لحظة كشف الحقائق، نحتاج جميعًا أن نكون على صفحةٍ واحدة.

لقد قمت في حياتي بأشياء كثيرة لا أفخر بها، وأعتقد أنَّ ما يحصل الآن مجرَّد ارتدادٍ للجشع الذي كان يقودني.

كنت من أوائل المبادرين إلى اقتراح تمويل الجزيرة، لأنِّي رأيت أنَّ البشريَّة لا طاقة لها لتحمُّلِ حربٍ عالميَّةٍ أخرى، ولأنِّي أعرف أنَّ هذه الجزيرة بموقعها الفريد ستُسيل لعاب الجميع.

كانت فكرتي الأولى أن يستحوذ الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة على الجزيرة بالمال، لكنَّ المال وحده لا يكفي، فقد كنَّا نحتاج يدًا عاملة، وكان الأوروبيُّون يحتاجون من يوقف غزو قوارب الموت، وجاءت الفرصة التي التقت فيها مصالحُ الجميع.

t.me/yasmeenbook

أنا ابن من الجيل الثاني لعائلة مهاجرة من الجزيرة العربيَّة، جاء جدِّي مبتعثًا للدراسة في كندا، ولم أعرف العرب عن قرب على الرَّغم من معرفتي بلغتهم، لكنِّي كنت أريد دائمًا أن أثبت أنَّ العقول العربيَّة والسواعد العربيَّة قادرةٌ على البناء إذا ما وجدت الحاضنة والتمويل، ولذلك قرَّرنا أن ندخل في تحدٍّ مع الزمن، ونعوِّض العمَّال والموظَّفين بعدد الساعات التي يعملونها.

صحيح أنَّ بعض رجال الأعمال ومُلَّاك الشركات كانوا شرهين واستغلُّوا القانون لمصلحتهم، وأجبروا العمَّال على العمل في ظروفٍ قاسية ولساعاتٍ طويلة، لكنَّهم كانوا يعملون بإرادتهم، كانوا يعملون لأنَّ العمل هو الهويَّة الوحيدة المقبولة هنا، لا أحد هنا يهتمّ بأصلك أو فصلك، كلّ ما يهمّ هو ما تستطيع أن تضيفه إلى الجزيرة.

ـ ممكن تختصر الخطاب يا جملودي.. فيش كاميرا هنا.

علَّق العنطلاويّ مقاطعًا.

ـ المهمّ أنِّي أشعر أنِّي السبب في كلِّ ما حصل، وأريد أن أجد حلًّا لهذه المشكلة، فهناك تسعمائة ألف شخص يعلِّقون الآمال عليَّ لإيجاد حلٍّ، ويحمِّلونني مسؤوليَّة ما حدث.

ـ أنت تتحمَّل مسؤوليَّة ما حدث فعلًا، فتفتُّق ذهنك عن فكرة العملة الزمنيَّة، وارتهان الناس لعقارب الساعة جعل الجميع يفقد معنى الحياة في هذه الجزيرة، ويحوِّل أيَّامه إلى لهاثٍ متواصلٍ للحصول على أكبر قدْرٍ من عملة تيكوين الرقميَّة.

t.me/yasmeenbook

لكنْ، تلك ليست مشكلتنا الآن.

مشكلتنا أنَّنا جميعًا فقدنا السيطرة، والمتضرِّرون لم يعد عددهم مقتصرًا على سكَّان الجزيرة، بل على جميع أنحاء العالم، وعلينا إيجاد وسيلةِ اتِّصالٍ لا تمرّ بأيٍّ من القنوات المعروفة.

ردَّ مختور مقاطعًا خطبة الجملوديّ، وعينه تراقب كيف تُدخل يالوندا رأسها في فتحة الدرَّاعة، مانحةً لجيدها الأغيد طولًا لم يكن يحتاجه.

ـ شو يعني؟! بدَّك ايّانا نرجع للحمام الزاجل؟

علَّق العنطلاويّ وهو يحرِّك قطعةً من كيسٍ ورقيٍّ جاعلًا منها مروحةً لزيادة اشتعال المجمرة من دون انتظار ردّ.

قاطع الجميع أزيز الطائرة عائدةً من الجنوب، ووضع الثلاثة أيديهم على قلوبهم، خوفًا من اكتشاف من فيها للتمويه الفنِّي، باستثناء مختور الذي بدا مطمئنًّا تمامًا، وأزاح الحصير عن لوحٍ خشبيٍّ، رفعه ليكشف عمَّا يشبه الصندوق الأرضيّ، ومنه أخرج لوحة مفاتيح لا تحمل أيَّ رموزٍ أو أرقام، وانشغل في الضغط عليها بوتيرةٍ متسارعة، جعلت الجميع ينسى أمر الطائرة ويركِّز على حركة أصابعه التي تشبه عازف بيانو.

ـ عندما جئتُ إلى هنا، كنتُ أعرف كلَّ شيءٍ وكلّ شخصٍ في المدينة، وقرَّرت أن أجد لنفسي مكانًا قصيًّا عن محور الحركة الدائبة للعقول المسخَّرة من طرف الشركات التقنيَّة.

ذات يوم، سلكت مسارًا في الغابة قادني إلى الساحل

t.me/yasmeenbook

الغربيّ، وجدت عالمًا بِكْرًا لم يقد الفضولُ أحدًا إليه، فقلت هذا ما أحتاجه.

لكنَّ المكان كان مكشوفًا لحركة الطائرات، وربَّما انتبه له أحدٌ فأفسد عليَّ متعتي، حدَّدت هذه المساحة وصوَّرتها بطائرةٍ مسيَّرة، وطبعت الصورة قطعةً قطعة، حتى أكملتُ بها بساطًا ثلاثيّ الأبعاد يغطِّي المساحة، ثم شرعت في تقطيع الأشجار وبناء الكوخ، وتجهيز محطَّةِ عملٍ متكاملة فيها كلّ ما أحتاج إليه.

لديَّ هنا حصيرٌ للنوم، وقربةٌ للماء وعدَّةُ شاي ومسجِّل كاسيت وكثيرٌ من الأشرطة القديمة، وأستمتع بالقمر عشرين ليلةٍ في الشهر، ولا يقاطعني إلَّا صوتُ الطيور المهاجرة.

ـ أوكي، تعرَّفنا عليك. ولكنْ ما المشروع الذي كنت تخطِّط له ويحتاج كلّ هذه التجهيزات.

قال الجملوديّ متذمِّرًا من برود مختور الذي يتحدَّث بهدوءٍ يتنافى مع حركة يديْه اللتين تجوبان لوحة المفاتيح الغامضة.

ـ مشروعي كان أن أوقف الزمن.

ـ تُوقف الزمن! ما الذي يعنيه ذلك؟

ـ يعني ما رأيت اليوم في فيوتسيتي.

وقفتْ يالوندا فجأةً مشهرةً مسدَّسًا كان في مكانٍ ما من تضاريس جسمها المعقَّدة، طالبةً من مختور التوقُّف فورًا عن التلاعب بلوحة مفاتيحه، وشهق العنطلاويّ شهقةً حوَّلت نظر الجملوديّ فورًا إليه، فقد تخيَّل أنَّ الكتلة العملاقة ستهوي على

t.me/yasmeenbook

المجمرة الملتهبة من شدَّة الصدمة.

ـ ليس في مسدَّسكِ رصاص، فقد أفرغتُ حشوته قبل صعودك السلّم مخافةَ أن تُطْلقي منه رصاصةً تُصيب أحدًا، فيبدو أنَّك لم تأتِ إلى هنا إلَّا هربًا من الرصاص.

قال مختور ذلك من دون أن يلتفت إليها، وقد بدأت يدها ترتجف، على وقع كلماته.

ـ لا أعتقد أنَّ تشنُّجكم سيحلّ المشكلة. نعم، أنا من أوقف جميع الساعات في فيوتسيتي، وفعلتُ ذلك فور إعلان سيادتك اعتماد نظام باي يور سلف نظامًا عالميًّا. كنت في غرفة التحكُّم حينها، وأرسلت من هاتفي هذا رسالةً إلى ما يُخرَّص لإطلاق العمليَّة.

كانت العمليَّة مبرمجةً للتحذير، ليس لها هدفٌ سوى إيقاف جميع الساعات في كلّ شبكةٍ تصلها الرسالة.

لكنْ يبدو أنَّ طرفًا آخر دخل على الخطّ واقتحم مسار العمليَّة، وبدأ يعبث بخصوصيَّات الناس، وهذا ما عليكم العمل لمعرفته.

ـ من يكون ما يُخرَّص هذا؟

سألت يالوندا بصوتٍ أقرب ما يكون إلى الاستجداء.

ـ نظريًّا: إنَّه روبوت يرعى مزرعتي في ضواحي مدينة النعمة بأقصى الشرق الموريتانيّ؛ ولكنْ عمليًّا: ليس ذلك إلَّا مظهرًا خارجيًّا لخوارزميَّة ذكاءٍ اصطناعيٍّ قادرة على التجوُّل في كلِّ

t.me/yasmeenbook

الشبكات العالميَّة من دون استئذان، ولا يمكن تعقّبها لبرمجتها بلغةٍ لا يعرفها غيري.

ـ لكنَّك قلت إنَّ طرفًا آخر دخل العمليَّة.

ـ نعم، وأنا واثقٌ أنَّ ما يُخرَّص لن يقوم بذلك، كما أنَّه عجز اليوم عن معرفة الرقم الذي يرسل إليَّ الرسائل، وهذا لا يعدو احتماليْن: إمَّا أن يكون ما يُخرَّص تمرَّد على الأوامر، وقاده وعيه الذاتيّ لاتِّخاذ إجراءاتٍ مختلفةٍ عن التعليمات الصادرة له منِّي، أو أنَّ طرفًا آخر اهتدى إلى لغة أزوان البرمجيَّة واستطاع التغلُّب عليه.

ـ وكيف نعرف ذلك؟

ـ هذا ما أعمل عليه، استريحا قليلًا، خذا شيئًا من البسكويت والفول السوداني قبل الشاي، فالعنطلاويّ لم يحضِّر الشاي الموريتانيّ منذ سنوات.

ـ دعنا من هذا البرود، وأجبني لماذا تريد إيقاف الزمن؟

ـ لأنَّك قلت إنَّه تحوَّل إلى إلٰه، وأنا لا أريد أن أكون تحت رحمة إلٰه حرمني سبع سنوات من عمري.

ـ كيف؟

ـ تلك قصَّةٌ طويلة، وإذا لم تكونا ستقتلانني، فربَّما يأتي وقتٌ أقصّها عليكما في ظروفٍ أقلّ توتُّرًا!

ـ توقَّفْ عن العبث بلوحة المفاتيح هذه، فصريرها يوتِّرني.

t.me/yasmeenbook

ـ أنا لا أعبث يا حمُّود، أنا أُعيد كتابة برنامج للالتفاف على هذا المجهول الذي يسيطر على الشبكات العالميَّة للاتِّصالات الرقميَّة، وهذه اللوحة العمياء مربوطةٌ بخوادمَ خاصَّةٍ متَّصلة عبر قمرٍ صناعيٍّ تستخدمه وكالة الفضاء الأميركيَّة لرصد مسارات الانصهار تحت الأرض وموقع خطوط التصدُّع الخفيَّة، ومعرفة كيف تغيِّر الزلازلُ توازنَ الصفائح التكتونيَّة في الكوكب، ولكنِّي وجدت أنَّه يعمل أقلّ بكثيرٍ من طاقته، فسخَّرت جزءًا يسيرًا منه لتوفير اتِّصالٍ شبكيٍّ آمن.

سحب مختور خيطًا في طرف الحصير، فانسدلت على الجانب الغربيّ من الكوخ ستارةٌ بيضاء، وأضاء في جانبه الشرقيّ جهازَ عرض عاكسًا صورةً لمنزلٍ في فضاءٍ مفتوح.

ـ هلَّا أغلقت الباب يا يالوندا إذا كنتِ لن تطلقي رصاصة؟

مع إظلام الكوخ، كانت الصورةُ أكثرَ وضوحًا، وظهرت فيها تفاصيلُ ما كان يخشاه مختور:

ـ هذا ما كنت أخشاه.

ـ ماذا حدث؟

ـ العجول تحت أُمَّاتها.

قالها مختور باللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة.

ـ ما الذي يعنيه ذلك؟

ـ يعني أنَّ ما يُخرَّص لم يقم بواجبه، وَتَرَكَ البقراتِ تختلط بأبنائها.

t.me/yasmeenbook

ـ تبًّا لك! العالم يفور وأنت تتذمَّر من رضاعة عجل.

ـ رضاعة العجل، يا سيِّدي، تعني أنَّ الروبوت يخالف التعليمات، وعندما يترك العجول تختلط مع البقرات، فهذا يعني أنَّه يمكن أن يعصي أمرًا آخر.

ـ هل هو ذلك الواقف قرب الشجرة؟

سأل العنطلاويّ مبهورًا بفكرة مراقبةِ مزرعةٍ في ضواحي مدينة النعمة من شخصٍ في عُرض المحيط الأطلسيّ، وزاد إعجابه بمختور، لدرجة أنَّه صبَّ له الكأس قبل أن يضيف لها السكَّر، فارتشفها مختور وبصقها فورًا.

ـ ذا ما درت لو السكَّر...

ـ آسف ما انتبهت... ليك أنا صار لي أعوام مش عامل شاي موريتانيّ.

ـ أفهمني.. ما الذي يُفيدنا تفقُّدك لمزرعتك؟

صرخ الجملوديّ وقد فقد السيطرة على أعصابه مع برود مختور المألوف للعنطلاويّ.

ـ هل ترى الصورة الآن؟

هذا الواقف مصلوبًا على الشجرة هو ما يُخرَّص، الروبوت الراعي الذي صمَّمته لرعاية المزرعة وتنفيذ ما أطلب منه، وسمحت له بتطوير وعيٍ بذاته، ولكنْ هل ترى ما يوجد في جانبه؟

ـ أغراض متناثرة.

t.me/yasmeenbook

ـ غير الأغراض المتناثرة، هناك ما يشبه طفلًا صغيرًا.

ـ أَيُعقل أن يكون الروبوت العملاق تغلَّب عليه طفلٌ لا يزيد طوله على خمسين سنتيمترًا؟

ـ البشر أعقل من أيِّ روبوت.

علَّق العنطلاويّ معتدًّا بنفسه كمدافع وحيد عن الجنس البشريّ من بين المجموعة المهووسة بالأرقام.

ـ هناك معضلة، هذا ليس طفلًا، هذا روبوت.

قالت يالوندا وهي تتمعَّن في الصورة بعد تقريبها، مضيفةً:

ـ وهذا يعني أنَّ روبوتك الراعي صنعه، أو أنَّ الروبوتات سيطرت على الكوكب.

ـ دعك من الخيال العلميّ، الروبوتات لا تستطيع السيطرة على شيء، هذه مشاهد سينمائيَّة حالمة لاستثارة حماس الشباب.

علَّق العنطلاويّ من دون أن ينتبه أحد، فاستمرَّ في مداولة الشاي بين الكؤوس لإضافة رغوةٍ ضروريَّةٍ لتمييز الشاي الموريتانيّ عن غيره من أنواع الشاي في العالم.

سمع الجميع فجأةً هديرَ طائرةٍ من بعيد، فأطفأ مختور الشاشة، وعاد إلى الضغط الراقص على لوحة المفاتيح، ثم رفع رأسه قائلًا:

ـ تبًّا لهم، ماذا يريدون منِّي.. المشكلة أنِّي أملك ذاكرةً من حديد، ولكنِّي لا أملك أكثر من يديْن.

ـ هل أستطيع المساعدة بشيء؟

t.me/yasmeenbook

قالت يالوندا بصوتٍ رقيق جعل مختور يتذكَّر جلسته وإيَّاها في المقهى، لكنَّه رفع بصره إليها، فرأى جيب درَّاعته المطرَّز باللون الأصفر يعلو هضبة نهديْها المرتجفيْن، فابتسم من المشهد، وقال:

ـ لو كنتِ في المزرعة لأجلستكِ لتقسيم الحليب.

لم تفهم يالوندا العبارةَ التي تعني في دلالتها باللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة أن يجعلها ربَّة بيته، لكنَّها ابتسمت وهي تشعر بودٍّ في نظرته.

t.me/yasmeenbook

17

على الرَّغم من أنَّ القانون العام في فيوتسيتي ينصّ على أنَّ العقوبةَ القصوى لأيِّ جريمة هي المنع من العمل لفتراتٍ تتباين في الطول بحسب نمط الجريمة، إلَّا أنَّ وزارة الداخليَّة كانت لديها قراءتها الخاصَّة للقانون، وحين توقف شخصًا مخالفًا، يكون عليه أن يمضي أشهرًا في حبسٍ بمبانيها يتعرَّض فيه لأساليب مختلفة من العلاج النفسيِّ الأقرب إلى التعذيب.

ولكوْن الجزيرة ملاذًا للمهاجرين، فإنَّ هناك مخاوفَ دائمة من صدماتٍ نفسيَّة لدى بعضهم ممَّن فقدوا ذويهم في الرحلة، أو القادمين من مناطق الحرب، ولذلك تحرص وزارة الداخليَّة على احتجاز أيِّ مشتبهٍ فيه مدَّةً كافية لتقييمه الأمنيّ والنفسيّ قبل إحالته إلى العدالة، وهذه المدَّة هي التي يتقرَّر فيها مصيره إن كان سيُمنح جواز سفر ووثائق مواطنة فيوتسيتي أم سيكون فيها في وضعيَّة المقيم.

t.me/yasmeenbook

يتميَّز مركز تقييم السلوك بزنزاناتٍ إلكترونيَّة الأبواب يتحكَّم فيها من بُعد، ومزوَّدة بكاميرا مراقبة هدفها نظريًّا حماية الموقوفين من التعرُّض للتعذيب البدنيّ، لكنَّها عمليًّا تُستخدم لدراسة سلوك الإنسان عند حرمانه من حرِّيَّته.

ويعتمد كثيرٌ من معاهد علم النفس في العالم على المعلومات الواردة من هذه الدراسات المموَّلة من طرف الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة بوصفها نوعًا من تحمُّل المسؤوليَّة الاجتماعيَّة.

في واحدةٍ من تلك الزنزانات مشدَّدة الرقابة، أُدخل وزير الداخليَّة صباح اليوم، وفُتحت زنزانته بالتعرُّف على وجهه، ممَّا يعني أنَّه لا مجال لإعادة فتحها إلَّا بتدخُّلٍ تقنيٍّ من أعلى مستوى؛ وهذا التدخُّل لا يمكن أن يُصدر أمرًا به إلَّا مدير الأمن الرقميّ أو الوزير نفسه القابع في الزنزانة.

لكنَّ البرَّاني كان له رأيٌ آخر، فقد قرَّر إطلاق جميع السجناء على مستوى العالم، ولم يكن طبعًا يريد من ذلك منحهم حرِّيَّتهم، بل كان قصده أن يرى الفوضى التي سيثيرونها في العالم حين يجدون أنفسهم طلقاء في يومٍ لا سلطة فيه لأحدٍ على أحد.

انفتحت أبواب جميع الزنازين في مركز تقييم السلوك، ووجد وزير الداخليَّة محمود ولد هاشم نفسه يتجوَّل بين عددٍ من المهاجرين والمجرمين المحتملين، لكنَّه تجاهل كلّ تساؤلاتهم الحائرة عن سبب إطلاق سراحهم، وحاول الخروج متخفِّيًا، قبل أن يُدرك أن لا حاجة لذلك الآن، فكلّ من في المبنى لديه ما يشغله.

t.me/yasmeenbook

مرّ بمكتب الاستقبال فوجده فارغًا متناثر الأوراق، وخزائن المحجوزات مفتوحة، أخذ من إحداها محفظةَ بطاقاته، ونظر إلى هاتفه الذكيّ مرميًّا فيها، لم يعره أحدٌ اهتمامًا، فسحبه بهدوء، حريصًا أن لا يكون وجهه في مدى كاميرته، وغطَّاه بورقةٍ من الأوراق المتناثرة، ثم دهسه بكلِّ قوَّته على بلاط القاعة.

وجمع فُتاته في كيسٍ ورقيٍّ كان أحد موظَّفي الاستقبال يضع فيه بعض الفواكه. قضم شيئًا من تفَّاحة وترك الباقي، وغادر المبنى مقرِّرًا أن يجد الحلّ بنفسه.

عند توجُّهه إلى الباب المؤدِّي إلى ساحة المواقف، سقطت زجاجةٌ حارقةٌ بقربه، وسمع جلبةَ الأصوات الصارخة بلغاتٍ مختلفة، تلوم الحكومة على انتهاك خصوصيَّة الشعب، وتسلَّق شابٌّ قويّ البنية أعلى الحائط، صارخًا:

ـ وزير الداخليَّة يحاول الفرار.. لا تسمحوا له بذلك.. أمسكوه.

ثم توالت قفزاتُ الفتيان من فوق الحائط كلاعبي الباركور، تراجع قليلًا إلى الوراء، فدفعه أحد المحتجزين الخارجين من مبنى مركز تقييم السلوك، صارخًا بعباراتٍ من لغةٍ غير مفهومة، لكنَّه تجاوزه، فعاد إلى المركز مفعِّلًا القفل اليدويّ للأبواب، وطالبًا من بقيَّة المحتجزين العودة إلى زنازينهم من أجل سلامتهم، ولم ينتظر حتى يسمع جوابهم على مقترحه.

سلك مدخلًا خلفيًّا يؤدِّي إلى سردابٍ فيه مصعدٌ يوصل إلى المبنى المركزيّ للحكومة، وكانت صيحات المتظاهرين تبلغ سَمْعه

t.me/yasmeenbook

وهو يغلق على عجالة المصعد، ويضغط رقم الطابق الثالث والسبعين.

حالت الفوضى العارمة في صفوف الموظَّفين بوزارة الداخليَّة نتيجة هجمة الأسرار كما يسمِّيها البرَّاني من دون انتباه أيٍّ منهم لعودته، وكان هو أحرص على ذلك منهم، توجَّه فورًا إلى مكتب رئيس المجلس ليجده مع قادة المؤسَّسة الأمنيَّة يخوضون في جدالِ تدافع المسؤوليَّة، ولا يريد أيٌّ منهم أن يتولّى زمام القيادة.

ـ اسمعوا جميعًا. لا وقت لهذا الجدال العقيم.

صرخ محمود ولد هاشم في القادة ورئيس مجلس الحكم، وهو يقتحم الغرفة بعدما فتحها ببطاقته الخاصَّة.

ابتلع مدير الأمن الرقميّ ريقه، وتنحنح قائد الأمن العامّ مؤدِّيًا التحيَّة العسكريَّة بشكلٍ مفاجئ، ليتبعه لاإراديًّا كلّ المسؤولين الأمنيِّين، ويتجاوزهم وزير الداخليَّة إلى مقدِّمة المجلس حيث يقف الرئيس.

ـ ليس المقام مقام ملامة لأيٍّ منكم، فما حدث هجومٌ إلكترونيّ تبيَّن أنَّنا جميعًا للأسف لم نكن مستعدِّين له، أريد تقريرًا سريعًا عمَّا يجري.

أعطى أمره وكأنَّه ليس العائد من السجن، ولم يُبالِ بنظرات مدير الأمن الرقميّ المتوجِّس من ردِّ فعله، لكنَّه طمأنه بنظرته، وهزَّ رأسه ملمِّحًا إلى أنَّه يتفهَّم تصرُّفه.

ـ يبدو أنَّ شخصًا ما وصل إلى عمق الأنظمة العالميَّة للاتِّصالات، وشنَّ هجماتِهِ على كلّ شيء، بدأ الأمر بتسريب

t.me/yasmeenbook

أسرارٍ شخصيَّةٍ عن كلّ أحد، وابتزازه بالكشف عنها إذا لم يقم بأمرٍ معيَّن، ووصل الأمر حدَّ إطلاق صواريخ من غوَّاصاتٍ في أعماق البحار، والتلاعب بنظام الملاحة العالميّ، فتصادمت الطائرات والسفن. العالم الآن لا سلطة لأحدٍ عليه، وهذا المهاجم الغريب يبدو متحكِّمًا في كلِّ شيء، ولا أحد يستطيع إيقافه حتى الآن.

قدَّم مدير الأمن الرقميّ عرضًا سريعًا محاولًا إجمال كلّ الأحداث التي فاتت الوزير في محبسه.

ـ لا يهمّني ما يحدث في العالم، أريد حصرًا ما يجري عندنا في فيوتسيتي.

ـ الأمر لا يختلف هنا، بدأ باقتياد الناس عنوةً تحت طائلة الكشف عن أسرارهم، وانتهى بتسريب كلِّ شيءٍ ممَّا تقوم به الحكومة من نظام المراقبة الآليّ إلى الإعلام ثم إلى هواتف الناس، كلّ شخصٍ وصلته نسخةٌ من تقرير نظام المراقبة الآليّ على هاتفه، وهذا ما حوَّل استجابة الناس من الانقياد ابتزازًا، إلى الغضب احتجاجًا.

كلّ المباني محاصرة، وقد فقدنا السيطرة على كلِّ شيء، حتى أفراد الأمن الخاصّ لم يعودوا يستجيبون للأوامر.

ـ جيِّد، واضح، أحتاج أحدكما.

وجَّه وزير الداخليَّة طلبه إلى مدير الأمن الرقميّ وقائد الأمن العامّ، فتبرَّع مدير الأمن الرقميّ محاولًا التكفير عمَّا اقترفه صباح اليوم.

t.me/yasmeenbook

ـ أنا سأرافقك.

ـ ضعوا هواتفكم، وكلّ الأجهزة الإلكترونيَّة في هذه الغرفة، ضعوها على الطاولة، وادخلوا الغرفةَ الآمنة لمكتب الرئيس، ولا تأخذوا معكم أيَّ شيءٍ إلكترونيّ.

أعطى محمود ولد هاشم تعليماته، وغادر الغرفةَ يتبعه مدير الأمن الرقميّ في ذهولٍ لا يعرف ما يقول.

ـ ما قمتَ به اليوم كان تصرُّفًا سليمًا، لا تلم نفسك عليه، فلا شكّ كانت لديك الأدلَّة الكافية لإيقافي، ففعلتَ ما يمليه عليك ضميرك.

شعر مدير الأمن الرقميّ بارتياحٍ عابر، وهو يتبع خطوات الوزير.

ـ هل من معلوماتٍ عن جهود فريقك وفريق الجملوديّ في العثور على المهاجمين؟

ـ الجملوديّ غادر المبنى مع مسؤولة تقييم المخاطر الإلكترونيَّة. جاءت مروحيَّة تابعة لقناة 360 نيوز نتوورك وأخذتهم إلى وجهة مجهولة، أرسلت طائراتٍ لتتبُّع مسارها، لكنَّها اختفت عن شاشات الرادار في الغابة الغربيَّة، ولم نعثر لها على أثر.

ـ من كان في المروحيَّة؟

ـ كان يقودها شخصٌ أسمر ليس من الصحفيِّين ولا من الملَّاحيين المعروفين، يقول أحد الزملاء إنَّ وجهه يحمل شامةً ظاهرة تحت عينه اليسرى.

كان ذلك كافيًا للوزير ليعرف أنَّ المقصود هو مختور ولد

t.me/yasmeenbook

احويبيب، الرجل الغامض في الجزيرة، الذي عجز نظام المراقبة الآليّ عن التقاط صورةٍ له خارج مقرّ عمله، أو طريق الرفاهية حين يسير ببطءٍ مستفزٍّ للسائقين وهو يتبختر بسيَّارته الرياضيَّة.

لكنَّ وزير الداخليَّة يعرف مكان الڤيلَّا التي يسكنها، فقرَّر التوجُّه إليها طالبًا من مدير الأمن الرقميّ توفير طائرة مروحيَّة على سطح البناية، وأن يوصل الأمر شفهيًّا للطيَّار ولا يستخدم أيَّ وسيلة اتِّصال.

وخلال دقائق، كان مدير الأمن نفسه يحوم بالطائرة فوق السطح منتظرًا خروج الوزير.

ـ لم أجد من يتولَّى القيادة.

ـ المهمّ أن تكون متدرِّبًا عليها، ألغِ نظام التموضع العالميّ ونظام الاتِّصالات، وفعِّل نظام الاحتجاب عن الرادارات.

ـ هل تعرف مكان إقامته؟

ـ نعم، إنَّه في الحيِّ الشماليّ في الشارع الثامن والعشرين.

ـ وزير الداخليَّة يعرف كلّ شيء.

قال مدير الأمن الرقميّ محاولًا كسر الجليد، لكنَّ الوزير بدا أكثر جدِّيَّة ممَّا هو عليه في العادة.

من طائرته المروحيَّة، عاين وزير الداخليَّة بنفسه حجم الخراب الذي حلَّ بالمدينة، وحوَّلها من فيوتشر سيتي (مدينة المستقبل)، إلى أطلال خرِبة، في أقلِّ من ضحوةٍ واحدة.

حطَّت المروحيَّة في باحة الڤيلَّا الهادئة، وتقدَّم مدير الأمن الرقميّ حاملًا سلاحه في يده قاصدًا بابها، لكنَّ وزير الداخليَّة

t.me/yasmeenbook

أشار إليه بخفض السلاح، واقترب من الباب الذي كان مواربًا، فالوزير يعرف كلّ شيء فعلًا، ويعرف أنَّ مختور ولد احويبيب لا يغلق باب منزله، وهو يفعل ذلك لأحد أمريْن: إمَّا أنَّه ليس لديْه ما يخفيه، ويعرف أنَّ نمط حياته المريب سيكون مبعثًا للأمن على ملاحقته، وهو ما فعله وزير الداخليَّة من قبل، ولم يجد في المنزل ما يدعو إلى الشكّ. وإمَّا أنَّه يخفي أمرًا عظيمًا! وهذا ما بات الوزير متأكِّدًا منه الآن، فلا أحدٌ يختطف مدير البنك المركزيّ في هذا اليوم من دون أن يكون ضالعًا في مخطَّط التخريب.

تجوَّل الوزير الموريتانيّ الأصل في المنزل الفاخر من الخارج، البدويّ من الداخل، فوجد أسرَّةً خشبيَّة من الجريد والخوْص، ووسائل من الجلود ومواقد للشاي، وكثيرًا من آثاره، وعددًا لا يُحصى من الأشرطة القديمة، أشرطة الكاسيت التي لم تعد تُستخدم حتى من طرف سائقي سيَّارات النقل الجماعيّ على طريق الأمل الرابط بين العاصمة الموريتانيَّة نواكشوط ومدينة النعمة في أقصى الشرق.

بحث بكلِّ جدِّيَّة عن مخبإٍ أو سردابٍ في المنزل، فلم يعثر على شيء. ولدى خروجه، كانت درَّاجةٌ هوائيَّة تحمل في رباطها الحديديّ بعض أوراق الشجر اليابسة، فتأكَّد أنَّ لمختور مخبأً في الغابة، وهذا ما يفسِّر اختطافه مديرَ البنك المركزيّ إلى هناك.

ـ فلنتوجَّه إلى الغابة، علينا مسحُ دائرةٍ بقطر عشرين كيلومترًا، ابتداءً من نهاية الحيّ الغربيّ للمدينة.

t.me/yasmeenbook

في جولته الأولى بالطائرة، كانت أشعَّة الشمس تختفي تدريجيًّا تاركةً شفقًا أحمر يلاعب أمواج المحيط الأطلسيّ الهادرة، ويلاحقها الظلام الملبَّس بالدخان الأسود الكثيف المنبعث من مصانع فيوتسيتي المشتعلة.

ولدى عودته قافلًا من الجنوب إلى الشمال، لاحظ وزير الداخليَّة ومضًا غريبًا يشعّ داخل الغابة. طلب من مدير الأمن الإلكترونيّ تسليط الضوء عليه، فلم تُظهر الأضواءُ إلَّا مشهدًا بديعًا للغابة لا يختلف بشيءٍ عن أجزائها الأخرى.

ـ ألا تلاحظ شيئًا؟

ـ ماذا سيِّدي؟

ـ أغصان الأشجار في هذه المنطقة لا تتحرَّك.

اقترب مدير الأمن الرقميّ بطائرته من ملامسة الأشجار المرسومة بإتقانٍ بديع، فتأكَّد أنَّها لا تتحرَّك فعلًا، فهوى بمروحيَّته في حركةٍ أفقيَّة، سامحًا لطرفها بملامسة القماش، لينشقّ عن كوخٍ صغير يجلس أمامه العنطلاويّ وهو يهزّ قطعةً من كيسٍ ورقيٍّ على شكل مروحة، محاولًا استزادة اللهب في المجمرة، لكنَّه لم يعد بحاجةٍ لذلك الآن، فرياح المروحيَّة القويَّة جعلت شررَ المجمرة يتطاير في كلِّ الاتِّجاهات، وكشف ضوؤها عن شخصٍ يلبس درَّاعةً وشعره منسدل على كتفيْه، وكان ذلك كافيًا لوزير الداخليَّة ليعرف أنَّه ليس مختور.

t.me/yasmeenbook

18

ـ يا دي الحوسة.. إيه الهبل دا ومين طلّعو ع الشاشة.. الناس تْجنِّنت ولَّا إيه؟

كان عارف الكفرنوتيّ يدور حول نفسه في غرفة التحكُّم، ويحاول التواصل مع قسم الإرسال لإيقاف بثِّ المحطَّة؛ فعلى شاشتها رسالةٌ مكرَّرة يتحدَّث فيها حمُّود الجملوديّ من فوق منصَّة، وخلفه شاشة تحمل شعار حركة «لا تبع وقتك».

«... أشكر بعمق كلّ من منح ثقته للتكنولوجيا، ما ترونه الآن من أحداثٍ في مختلف أنحاء الكوكب هو نهايةٌ للعالم الذي تعرفونه، وبداية سيطرة الذكاء الاصطناعيّ على الأرض.

أحداث اليوم أثبتت لنا جميعًا أنَّ خيارنا بالمراهنة على الذكاء الاصطناعيّ كان خيارًا سليمًا وعميقًا، فبحركةٍ واحدة، توقَّف كلُّ شيء، شكرًا لكم لأنَّكم شاركتمونا بياناتكم التي كانت

t.me/yasmeenbook

المغذِّي الأهمّ لخوارزميَّات الذكاء الاصطناعيّ، وساعدتها على التطوير الذاتيّ بشكلٍ أسرع ممَّا كنَّا نتوقَّع.

الزمن يبدأ الآن، الزمن هو إلٰهنا المعبود، اليوم لا مجال لأيِّ إلٰهٍ آخر في الكوْن، كلّ ما سبق كان تمهيدًا لهذه اللحظة الفاصلة في التاريخ البشريّ.

بالذكاء الاصطناعيّ سنتخلَّص من كلِّ الزوائد البشريَّة على الأرض، سنخفِّف عن الكوكب وطأةَ مليارات العاطلين، ستحلّ الروبوتاتُ والآلاتُ محلَّ البشر الذين أثبتت أحداثُ اليوم أنَّهم لا يستحقُّون الحياة...».

لم يعد الكفرنوتيّ قادرًا على الاستماع أكثر لهذه الأسطوانة المكرَّرة، وآخر ما يرغب في مشاهدته هو الوجه المشؤوم لمدير البنك المركزيّ.

ـ يا إبراهيم.. إزَّيَّك.. أنت فين..؟

تذكَّر أنَّ مراسل المحطَّة إبراهيم ولد حيمودة كان في الميدان، وربَّما لم يتأثَّر بالهَوَس الذي أصاب البشر، فهو يعرف أنَّه مهاجرٌ جديد جاء من أعماق الصحراء الموريتانيَّة، ويحاول أن يثبت ذاته، وربَّما لا تكون لديه أسرارٌ يمكن ابتزازه بها.

ـ عارف إنَّك كنت في الميدان من الصبح، والإدارة مقدّرة جدًّا جهودك لمبادرتك بالتغطية، بس لو ممكن تيجي عندي هنا في المحطَّة، عشان أطلع النشرة المقبلة.

ـ تطلع النشرة يعني إيه؟

t.me/yasmeenbook

ـ عايزك تكُون مذيع في هذه اللحظة التاريخيَّة، مش أنت كنت حابب تعمل سكرين تست؟

ـ أنا في المحطَّة تحتْ، ثوانٍ وأكون عندك.

ـ هيَّاني أمَّنت مذيع بس، فين البقيَّة.. وينك يا مختور وأعصابك المثلّجة.. والعنطلاويّ الأهبل دا يسيبني ويمشي... بس أنا مش هاسمح للمحطَّة دي توقع.. دا عرق سنين.

كان الكفرنوتيّ يتحدَّث مع نفسه بصوتٍ عالٍ، محاولًا شغل تفكيره عن مشاهدة الخطبة المكرَّرة للجملوديّ.

ثم خطرت له فكرةُ أن يراسل مختور، فلا شكَّ أنَّه لن يرفع السمَّاعة إذا اتَّصل به.

ـ أنا في ورطة، المجانين سيطروا على بثِّ المحطَّة، لو أنت في البيت شوف القناة، وبحقّ العِشرة اللي بيْنَّا تعال عندي؛ دا شقا عمري، مش عايزه يضيع.

كتب الكفرنوتيّ رسالته الطويلة التي وصلت على ثلاث دفعات كرسائل نصِّيَّة إلى هاتف مختور العتيق، أخرج رنينها مختور والجملوديّ من استغراقهم.

ـ آخر همِّي، الآن، هو المحطَّة.

ردَّ مختور بصوتٍ عال، فيما سأله العنطلاويّ عن الأمر:

ـ الكفرنوتيّ يقول إنَّ المحطَّة سيطر عليها من يصفهم بالمجانين.

t.me/yasmeenbook

ـ هذه فرصة لنعرف ما يريدون، هل يمكن أن نشاهدها من هنا؟

رفع مختور بتثاقل طَرَفَ الحصير، ساحبًا من صندوقٍ أرضيٍّ شاشةَ تلفزيون، وضغط أزرارًا ليجد البثّ الأرضيَّ لقناة 360 نيوز نتوورك، فذُهل الجميع من المشهد.

ـ هذا غير معقول، لم أقل يومًا هذا الكلام، لم ألبس هذه البذلة إلَّا صباح اليوم، وخطابي كان مباشرًا على جميع قنوات العالم، كيف يُعقل هذا؟

ركَّز الجميع على الكلام الذي يُعاد كلَّما انتهى، ولم يلاحظوا أيَّ فرقٍ بين حركة الشفاه وبين الكلمات الصادرة، ولا أثرًا لأيِّ اختلاف بين صوت الجملوديّ صباح اليوم، وهو يتحدَّث بفخرٍ عن نظام باي يور سلف، وبين صوته الآن ووراءه ساعة بلا عقارب.

ـ هذا استنساخٌ صوتيّ، وتركيبٌ للصوت على صورةٍ هولوغراميَّة، لا يتطلَّب الأمر أيّ جهد، فبرامج الاستنساخ الصوتيّ لا تحتاج أكثر من ثلاث ثوانٍ من صوت الشخص لتتولَّى الخوارزميَّة البقيَّة، وقد ضجَّت قبل سنواتٍ وسائلُ الإعلام بالحديث عنه، لا أتوقَّع أنَّك متفاجئ من ذلك، فتقنيَّة التزوير العميق إحدى التقنيَّات التي يرعاها الاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة، ويسوِّقها بوصفها بديلًا افتراضيًّا يعوِّض الأشخاص نفسيًّا بعد وفاة أحبَّائهم، أليست لديك نسخة منها في البيت؟

ـ دعني من هذا واصدقني القول، هل كان هذا ضمن مخطَّطك؟

t.me/yasmeenbook

ـ لا يا سيِّدي ليس لي دخلٌ بالأمر.

ـ إذًا كيف نوقف هذا البثّ؟

ـ يتطلَّب الأمرُ الذهاب إلى المحطَّة، وهذا غير ممكن! أو الاتِّصال بالكفرنوتيّ، وهذا غير آمن.

ـ ألم تكن قد اقترحت علينا من قبل نظامَ البثّ الرقميّ باستخدام برنامج غرفة الأخبار الذكيَّة؟ هذا ما كنت أريدك اليوم فيه للاجتماع.

علَّق العنطلاويّ مذكِّرًا مختور ببداية اليوم حين اتَّصل به ولم يردّ، وحدَّد له العاشرة والنصف لاجتماعٍ لم يأتِ على ذكره أحدٌ بعد ذلك.

ـ نعم، لديَّ نسخةٌ تجريبيَّة، لكنَّ تركيبها يحتاج بعض العمل اليدويّ، سأُرسل رسالةً للكفرنوتيّ ليبحث عن هاتفٍ قديم، ويتَّصل بي منه.

وصلت الرسالةُ إلى الكفرنوتيّ، فعلَّق غاضبًا:

ـ يخرب بيت كده، وأنا هجيب تليفون قديم منين دلوقتي؟

لكنَّه رأى إبراهيم ولد حيمودة قادمًا، فبادره بالسؤال عن نوع هاتفه، فأخرج من جيبه هاتفًا قديمًا لم يتخيَّل الكفرنوتيّ أنَّه ما زال موجودًا في السوق، فعلَّق ساخرًا:

ـ إيه قصَّة الموريتانيِّين مع الهواتف القديمة؟

لكنَّه أخذ الهاتف من يد إبراهيم من دون انتظار الإجابة،

t.me/yasmeenbook

وأرسل منه رسالةً إلى مختور.

ـ أنت فين يا ابني، دا وقت تسيبوني لوحدي؟

ـ أليس العنطلاويّ معك؟

ـ عنطلاويّ إيه، دا أوَّل ما ولَّعت الدنيا طِلِع من الباب الخلفيّ، وما قال لي حتى كلمة.

أراد مختور أن يعرف حجم المعلومات التي مع الكفرنوتيّ، ويتأكَّد من صوته، وأنَّ المكالمة لا تتعرَّض للاعتراض أو التشويش.

ـ اسمع. ركِّز معي. توجَّه إلى غرفة التحكُّم المركزيَّة MCR، وهناك ستجد زرًّا عليه عبارة شريط الألوان، اضغط عليه وستتحوَّل الشاشة إلى خطوطٍ ملوَّنة، بعد ذلك توجَّه إلى الكومبيوتر الموجود خلف الشاشات، واعطني اسمه.

ـ حاضر، أنا هناك الآن... إسمه.. إسمه.. استنَّ ألاقي فين إسمه؟

ـ ستجده على شريطٍ أبيض صغير على خلفيَّته..

ـ أيْوه لقيتو.. اسمه 360NN14MCR1

ـ تمام خلاص.

ـ يعني إيه خلاص؟

ـ يعني أن تنظر إلى الشاشة الآن.

كانت على الشاشة عبارات: لا تصدِّقوا الرسالة السابقة، قناة

t.me/yasmeenbook

360 تستعيد السيطرة على نظام بثّها، أوقفوا استخدام كلّ الأجهزة الإلكترونيَّة.

انبهر الجميع من سرعة مختور في إدارة أزمة القناة، وتولِّي نظام غرفة الأخبار الذكيَّة تحرير المستجدَّات.

واجهت أنظمة غرف الأخبار الذكيَّة معارضةً من مختلف المؤسَّسات الإعلاميَّة، وكانت النسخ الموجودة في الأسواق قبل الأزمة نسخًا تُلغي الدورَ البشريّ تمامًا، فالنظام هو من يحرِّر الأخبار ويختار الصور والعناوين ويتَّخذ القرار التحريريّ، ولا يحتاج إلَّا خوادم مركزيَّة، مربوطة بالإنترنت وتتلقَّى البثّ المباشر لخدمات وكالات الأنباء.

رأت كثيرٌ من المؤسَّسات الإعلاميَّة العريقة في أنظمة غرف الأخبار الذكيَّة تهديدًا لها، وإلغاءً لعشرات المهن البشريَّة. ولم يكن ذلك هو الهاجس الأكبر، بل إنَّ الإعلام ظلَّ منذ اكتشافه الأداةَ التي لا تتخلَّى عنها السلطات والأنظمة العريقة، ولوبيات الشركات الكبرى، وكان الجميع يُدرك أنَّ الأنظمة الرقميَّة مهما وفَّرت من سهولة ودقَّة، فإنَّها تبقى أقلّ استجابةً للضغوط السياسيَّة من البشر، وذلك ليس ما يحتاجه هؤلاء لإدارة العقول.

لكنَّ النظام الذي صمَّمه مختور على عجالة نظامٌ مختلف، فهو مجرَّد أداة مساعدة، توفّر جهد التحرير والمونتاج، ولكنَّها لا تتمكَّن من البثِّ إلَّا بأمرٍ بشريٍّ.

تبدَّدت جزئيًّا مخاوف الجملوديّ، ورأى أنَّ مختور ربَّما يكون محقًّا في فقدانه السيطرة على الآلات، مثله تمامًا مثل

t.me/yasmeenbook

أيِّ شخصٍ على الكوكب في هذه اللحظة، لكنْ ربَّما يكون أملًا للبشريَّة إذا استطاع أن يلتفّ عبر برنامجه الخاصّ على سيطرة من يتحكَّم في الشبكات العالميَّة للاتِّصالات والمعلومات.

وشعر العنطلاويّ بارتياحٍ أخيرًا، وقرَّر أن يُذكي جذوةَ النار في المجمرة، بالتلويح بها يدويًّا كما يفعل مناولو النرجيلة في المطاعم، فقام بتثاقلٍ خارجًا من الكوخ، لكنَّ جسمه لم يُسعف ذراعه بالحركة الدائريَّة، فاستسلم لعجزه، وجلس أمام الكوخ محرِّكًا قطعةً من صندوقٍ كرتونيٍّ جاعلًا منها مروحة لإذكاء اللهب، قبل أن يصمّ آذان الجميع أزيزُ طائرةٍ مفاجئ، وتقتحم مروحتها القماش الممتدّ على مساحة عشرين ألف متر مربَّع، وتطاير الرياح المصاحبة لها شررَ الجمر، وكاد قلبه يتوقَّف فجأةً حين رأى وزير الداخليَّة يقفز مستعجلًا منها قبل أن يكتمل رسوّها على الأرض المغبرَّة.

وقفت يالوندا بحركةٍ رشيقة مشهرةً مسدَّسها في وجه الوزير الذي صار على مسافةٍ لا تزيد على خمسة أمتار من مدخل الكوخ.

ـ اخفضي سلاحك يا يالوندا، فكلانا يعرف أنَّكِ آخر من سيُطلق رصاصةً في هذه الجزيرة.

قال الوزير مخاطبًا إيَّاها، فتسمَّرت، وتذكَّرت تلك الليلة السوداء في حياتها.

ليلة أيقظها أخوها في الثلث الأخير من الليل، يحمل على

t.me/yasmeenbook

ظهره حقيبةً مليئةً بالنقود، طالبًا منها إخفاءها إلى أن يعود إليها في وقتٍ لاحق.

لم يمنحها خيارًا للرفض، فقد كان قويَّ البنية، شرسًا وسكّيرًا، لكنَّها لم تكن تعرف أبدًا أنَّه ضالع في شبكةٍ إجراميَّة.

رمى لها الحقيبة في حجرها وهي بالكاد تستوعب ما يقول، ثم خرج من غرفتها متوجِّهًا إلى الباب الخارجيّ، قبل أن تسمع جدالًا حادًّا أعقبه إطلاقُ رصاص، فاكتمل استيقاظها لتجد أباها يتشحَّط في دمه، والمسدَّس ما زال في يد أخيها، قبل أن يطلق منه رصاصةً على أمِّه النادبة للأب الجريح. صرخت فزِعةً، فأطلق عليها رصاصةً حالت الحقيبة دون وصولها إلى صدرها، وتطايرت أوراق الدولار في أنحاء المنزل.

قبل أن يقتحمه أفراد عصابةٍ مجهولة ويطلقون الرصاص على أخيها، ويأخذون الحقيبة، التي لم يخالجها أدنى شكّ في أنَّها كانت حقيبة الشابّ الموريتانيّ الذي التقته قبل ساعات في مقهى قرب محطَّة فرونزوكسي، فقد أخرج منها ورقةً لتكتب اسمه عليها، ووعدته أن تحتفظ بالقلم، على أن يحتفظ هو بالورقة.

ومنذ تلك اللحظة وهي ترتعب كلَّما سمعت صوتَ رصاص، أو أمسكت مسدَّسًا في يدها، ولم تستطع بعد تلك الحادثة العيش في موسكو، فقرَّرت الانتقال إلى فيوتسيتي الدولة المسالمة التي يحرِّم دستورها المشاركة في أيِّ نزاعٍ عسكريّ.

ـ مرحبًا سيادة الوزير، تفضَّل، براد الأوَّل فاتك، والوسطانيّ ما يبطّ ينصب.

t.me/yasmeenbook

قال مختور من دون أن يرفع عينيْه عن لوحة المفاتيح العمياء، وقد جعلها كذلك تحسُّبًا لأيِّ طارئ، فقد صمَّم رموزها بنفسه، وحتى لو كان غيره يحفظ مواضع الحروف والرموز وتمكَّن من تسجيل حركات يده على اللوحة، فلن يعرف أيَّ معنى لما سيكتب بأيِّ لغةٍ أخرى غير لغة أزوان، وهي اللغة التي كانت حتى صباح اليوم حِكرًا عليه وعلى ما يُخرَّص.

ـ لم آتِ هنا لشرب الشاي، بل لاعتقالكم جميعًا.

قال ذلك وهو ينظر إلى الجملوديّ الجالس على وسادةٍ جلديَّة مبهورًا بحركات أيدي مختور، ومقتنعًا حتى الآن أنَّه أفضل عقلٍ بشريٍّ رآه، نادمًا على التفريط في عرضه خلال المؤتمر العلميّ في موسكو.

ـ ارفعوا أيديكم بحيث أراها.

صرخ مدير الأمن الإلكترونيّ، تاركًا مروحيَّته في وضع الاستعداد، فصرخ العنطلاويّ متألِّمًا بعد أن داس بقدمه على جذوةٍ من الشرر المتطاير، ورفع يديْه بأقصى ما سمح له جسمه.

أمسك مديرُ الأمن الرقميّ ياقةَ قميصِهِ من الخلف دافعًا إيَّاه إلى الدخول من باب الكوخ، وموزِّعًا اتِّجاه فوهة مسدَّسه بحِرَفيَّةٍ بين البقيَّة.

أنزلت يالوندا المسدَّس بهدوء، ورفعت يديْها مشهرةً ذراعيْن ريّاوين لا يميِّز الناظر مفاصلهما، ونصَّت عنقها بإمالةٍ خفيفة إلى اليسار، كاشفةً عن وشم صغير لرمز الأبديَّة تحت أذنها اليمنى، فيما بقي الجملوديّ جالسًا في محلِّه، وواصل مختور ملاعبةَ لوحةِ

t.me/yasmeenbook

مفاتيحه من دون اكتراث بصراخ مدير الأمن الرقميّ.

ـ قول لذا مخلوق الله لا يزعجنا باعياطو.. هو يعرف عنَّا مانَّ خايفين منُّو.

قال مختور بصوتٍ هادئ جدًّا وبلهجةٍ حسَّانيَّة موريتانيَّة مخاطبًا وزير الداخليَّة الذي أشار بدوره إلى مدير الأمن الرقميّ، فاستجاب له بالصمت من دون أن يُنزل مسدَّسه.

t.me/yasmeenbook

19

ـ السلام عليكم... السلام عليكم.. الراجل هاه.. عجولكم رظعو..

صرخ بالخير ولد معطى الله بأعلى صوته مشيرًا بيده إلى العُجول التي تجري بنهمٍ نحو البقرات، في محاولةٍ لتنبيه الرجل الذي يلبس درَّاعةً زرقاءً ويتمنطق بحزامٍ بنِّيٍّ ويسند رأسه إلى شجرةِ طلْحٍ وسط المزرعة.

ـ اصرفه بهدوء، لا وقت لدينا لهذا البدويّ الفضوليّ.

قال البراني هامسًا بصوتٍ غاضب وفي يده صاعقٌ كهربائيٌّ، مخاطبًا ما يُخرَّص، الذي تمنَّى أن يتمكَّن الرجل من إنقاذه، لكنَّه يعرف أنَّ بالخير ولد معطى الله، لن يقترب من السياج، فقد سبق أن لسعته الكهرباء يوم اكتمل وضع السياج المكهرب، وصار يعرف أنَّ أيّ شخصٍ أو دابَّةٍ تقترب من تلك الأسلاك مصيره ومصيرها الصَّعْق.

t.me/yasmeenbook

وشكَّلت قصَّته مع تلك الصعقة نادرةً يرويها عند كلِّ فرصة، ويخوِّف بها أطفاله حين يعصون أوامره.

ـ ذوك اليوم انطلقوا على أمَّاتهم من القايلة، كنت أنا مشغول عنهم.

ردَّ ما يُخرَّص شاكرًا الرجل على مبادرته بالتنبيه، ومحاولًا لفت انتباهه إليه من دون جدوى.

فَقدَ أمل النجدة منه حين واصل بالخير طريقه يمتطي حمارًا أشهب عليه عِدلان من الحشائش الصفراء، متجاوزًا حدود المزرعة باتِّجاه خبائه المنصوب على بعد كيلومتر جنوبها.

استقبل الأطفال والدهم العائدَ من رحلته اليوميَّة نحو حقله، فتلقَّف أصغرَهم، ووضعه على مقدِّمة الحمار، فيما بقي الثاني يتبعه، وهو يمصّ عود قصبٍ أخرجه بالخير من جانب العِدل الأيمن.

كانت زوجة بالخير تنفخ تحت قِدْرٍ فوق ثلاثة أحجار، محاولةً إشعال الحطب لإعداد العشاء، وتزجر بين الحين والآخر معزتها الداجن الوحيدة، والتي تحاول تصيُّد غفلتها للانقضاض على الوعاء المليء بالكسكس؛ وهو وجبةٌ قريبةٌ من سميِّها في دول المغرب العربيّ الأخرى، إلَّا أنَّه في موريتانيا ما زال يُعدّ يدويًّا، ويستغرق إعداده كثيرًا من الوقت، ابتداءً من طحن الحبوب يدويًّا في المهراس، ثم غربلتها، واستخلاص الدقيق منها، ثم رشّه بقليلٍ من الماء، وفركه على طبقٍ حتى يُشكِّل حبيباتٍ، ثم يُذرّ عليها دقيقٌ جافّ لفصلها، ويستمرّ ذلك وقتًا

t.me/yasmeenbook

طويلًا حتى تستوي الحبيبات على أصغر حجم ممكن، ويُطبخ ملفوفًا في خرقة قماشٍ تُعرَّض للبخار عبر إناءٍ به ثقوب يوضع فوق المرجل الفائر.

ـ الله يعاون.

قالت زوجة بالخير مخاطبةً زوجها العائد من يوم عملٍ شاقّ، كادت الأبقار والأغنام تسلب فيه حصيلته السنويَّة من الحرث.

ـ الله يسلِّم.

ردَّ عليها التحيَّة بما هو متعارفٌ عليه، قبل أن يسترسل.

ـ زيدي اعشاكِ الليلة، وعدِّلي إدام لكسكس، واحسبي احساب لراعي مختور.

ـ إدام لاش.. هو إيَّاك ما يوجعو شي؟

ـ ما نعرف، ألا قال عن عجولهم رظْعو.

ردَّ عليها وهو يجلس على سريرٍ من الخشب يُعرف محلِّيًّا بالخبطة، هو حصيرٌ غليظُ الأعواد يُسبل فوق أعمدةٍ مرتفعة عن الأرض بمسافة ثلاثين سنتيمترًا، وينام عليه أهل البادية في الهواء الطلق.

خلال السنوات الماضية، ومنذ أقام مختور مزرعته على أرضه، كانت كلّ سنة تأتي جماعةٌ من الناس لحرث جوانب القيعان التي تمسك الماء في المنطقة خلال موسم الأمطار، ولم يقد أحدٌ منهم فضوله لمعرفة ما في المزرعة من الداخل، فأوَّل ما يبادر بالخير بشرحه للقادمين الجُدُد أنَّ السياج مكهرب، ومن لم يصدِّقه منهم يكتشف ذلك بنفسه، حين يلامسه.

t.me/yasmeenbook

ومنذ أن صُنع ما يُخرَّص، وتولَّى أمور المزرعة، صار من مهامه اليوميَّة إيصال الحليب إلى خيمة بالخير يوميًّا، وباتوا هم ينتظرونه كلّ ليلة، ويتفهَّمون أنَّه لا يستطيع الجلوس معهم لأنَّه الوحيد في المزرعة، ولديه أعمالٌ أخرى.

ولم يساور أيًّا منهم الشكّ في أنَّه إنسانٌ بشريّ، فهو يتحدَّث الحسَّانيَّة بطلاقة، ويلاطف الأطفال، ويساعد في حمل الأشياء، ولكنَّه لم يزرهم نهارًا أبدًا، ولم يأكل من طعامهم قطّ، كما أنَّه لا يشرب الشاي، وهذه إحدى النقاط المثيرة للاهتمام فيه بالنسبة لـ بالخير، فكيف يستطيع موريتانيٌّ الحياةَ من دون شرب الشاي!

بُعَيْد صلاة المغرب، جرف بالخير قليلًا من الجمر من تحت القِدْر الفائرة، ووضع عليه فحمًا في مجمرة، وبدأ إعداد الشاي في عدَّةٍ قديمة كانت كاساتها متناثرة في أنحاء الخيمة، وتطلَّب جمعها وقتًا وعتابًا للأطفال على اللعب بها.

ملأ بالخير غليونه بمسحوق التبغ، وغليونه عبارةٌ عن عظمةٍ مقتطعة من ساق جدْيٍ صغير، يحشو أحد طرفيْها بالتبغ ويسحب الدخان من الطرف الثاني، ثم يبصق فتات النفس الأوَّل الذي عادةً يأتي ببعض التبغ غير المشتعل.

رفع بصره إلى السماء متأمِّلًا جمالَ مشهد النجوم في ليلةٍ مظلمة لا يُسمع فيها صوتٌ في محيطه، واستغرق قليلًا في تفكيره ثم التفت إلى زوجته.

كانت قرب القِدْر تفُتُّ كِتَلَ الكسكس المتراكمة لفصلها للمرَّة الثانية، بعدما ذرَّت عليها مسحوقًا جافًّا مستخلَصًا من ورق شجر

t.me/yasmeenbook

الباوباو المعروف محلِّيًّا بالتيدوم، في المرَّة الأولى، ليسهل على من يأكل الكسكس ابتلاعه.

ـ عجيب!

قال بالخير بصوتٍ مسموع، فالتفتت زوجته إليه وهو ينفث خيطَ دخانٍ ويراقبه يصعد إلى السماء، وقالت:

ـ ذاك شنهو؟

ـ ما لاحظتِ عن ما يُخرَّص من الساعة اللي اعرفناه ما قطّ اترك العجول يتراظعو؟

ـ أيْوه، الإنسان مسكين يعجز.. حقّ ما قطّ اجرات عليه.. هو إيَّاك ما هو حاسّ ابشي؟

ـ ما نعرف، ما قربت منو.. أنا خايف من ذيك الحرقة..

وضحك مستذكرًا صعقته الكهربائيَّة.

ـ قوم لحق لو لعش، واعرف إيَّاك ما يوجعو شي.

ـ حنيني نشرب كاسي.

قال بالخير، وهو يرتشف كأسًا من الشاي، ويمدّ إلى زوجته كأسًا أخرى، ويأخذ من يدها إناءً مليئًا بالكسكس الساخن، ويتوجَّه إلى مزرعة مختور، والهواجس تلعب بعقله، فهذه أوَّل مرَّة سيقتحم فيها قلعةً محصَّنة لم يسمح صاحبها لأحدٍ بدخولها، على الرَّغم من أنَّه كان لطيفًا مع جميع جيرانه الموقَّتين؛ وحين يأتي لزيارة المزرعة ثلاث مرَّات أو أربعًا كلّ سنة يأتي بكثير من الزاد والملابس لأسرته، ولم يحتجه في أمرٍ إلَّا وفَّره له.

t.me/yasmeenbook

واصل مسيره مجهدًا مع تعب اليوم السابق، سامحًا للهواء بالدخول إلى الفتحات الجانبيَّة لدرَّاعته التي لا يحول قميصٌ بينها وبين جلده، يحكّ قدمه في الأرض حين تخترق شوكةٌ الطبقةَ القاسية لقدميْه الحافيتيْن بين الحين والآخر، ويتأمَّل الهدوءَ الذي ينعم به، ويلوم نفسه على التقصير في حقِّ جاره، فقد كان من الأجدر في نظره أن يمرَّ به عائدًا من الحقل، فربَّما كان مريضًا أو بحاجةٍ لمساندة، فالذي شغله عن عُجوله لا شكّ أمرٌ عظيم.

حين اقترب من سياج المزرعة، تملَّكه خوفٌ غريب، وشعر أنَّ فروةَ رأسه تتحرَّك من مكانها، ولولا أنَّه يعرف المنطقةَ حقّ المعرفة، لما اهتدى إلى حدود المزرعة في هذا الظلام الدامس.

سمع صوتَ حشرةٍ تنصهر حين لامست السياج المكهرب، فأدرك أنَّه بات في مسافةٍ تسمح له بنداء ما يُخرَّص.

انتبه لمعنى الاسم الغريب لأوَّل مرَّة، لماذا سُمِّي ما يُخرَّص؟

وتبادر إلى ذهنه الجوابُ الطبيعيّ أنَّ أمّه ربَّما قالت ذلك تيمُّنًا! فكثيرٌ من الأسماء تكون كذلك، خاصَّة حين يكون الابن وحيدَ أمّه من الذكور، وأسماء التيمُّن كثيرة في هذه البلاد، مثل طويل العمر، والمبجَّل، والمحفوظ، وأخيارهم...

سار بموازاة السياج في الجهة الشرقيَّة، متجاوزًا زاويةَ التقاءِ طرفيْه الشرقيّ والجنوبيّ، ولاحظ صمتًا غريبًا، وظلامًا غير مألوف في المزرعة، فعادةً تلمع بين الحين والآخر بعضُ الأنوار في الليالي العاديَّة، ولكنَّ الليلةَ كانت حالكةَ السواد في المزرعة.

t.me/yasmeenbook

ـ السلام عليكم.. أشحال المروح؟.. ما يُخرَّص أنت امنين؟

لم يتمكَّن ما يُخرَّص من الردِّ، فقد بدا البرَّاني أكثر جدِّيَّةً هذه المرَّة، ووضع الصاعق الكهربائيّ مباشرةً فوق خصره، وبضغط زرٍّ واحدة سيتحوَّل إلى كتلةٍ من البوليكربون الخامدة، ويكشف بذلك السرّ الذي أخفاه عن بالخير وغيره طيلة أعوام.

ـ ما يُخرَّص.. أنت إيَّاك ما يوجعك شي.. جبت لك شي من كسكس.. لعلَّ تعود ما عندك شي تتعشَّى بيه.

لم يسمع بالخير أيَّ صوت، أو يُلاحظ أيّ حركة؛ وحاول أن يتبيَّن شيئًا غير واضح قرب شجرة الطلْح، لكنَّ الظلام الدامس منعه من معرفة حقيقته.

ـ المهمّ إلعدت في الدار، وهاي اشرب معاي كاس، برَّادنا الوسطانيّ جاهز...

ثم تذكَّر أنَّ ما يُخرَّص لا يشرب الشاي.

ـ أنت ما تشرب أتاي، انسيت.. المهمّ وهاي اقبظ عشاك.

حين يئس بالخير من ردِّ ما يُخرَّص، عاد أدراجه إلى خيمته، وحين اقترب منها تخيَّل ردَّ زوجته إذ قال لها إنَّه لم يستطع الدخول إلى المزرعة، واتِّهامها الجاهز له بالجبن، فلمعتْ في ذهنه فكرةُ أن يقول إنَّه يحتاج مصباحًا.

ـ أنت ارجعت أمالك؟

ـ ما جاوبني.. اعطيني الظوَّاية نشوف هو أمالو.

أخذ مصباحًا يدويًّا استخرجته زوجته من تحت محمل

t.me/yasmeenbook

الأمتعة، وتوجَّه مسرعًا هذه المرَّة إلى المزرعة، فقد أيقن أنَّ شيئًا ما يحصل هناك، ولن يسامحه مختور إذا علم أنَّه كان يستطيع التدخُّل ولم يفعل.

تذكَّر أحاديثَ أقاربه الذين زاروا المدينة عن الكهرباء، وقولهم إنَّ الخشب مانعٌ لتوصيلها، فأخذ في يده قطعة خشبٍ من كومة حطبٍ كانت في طريقه، توجَّه مباشرةً إلى الباب الشرقيّ.

ـ السلام عليكم... ما يُخرَّص.. أراني داخل نعرف أيَّاك مانك حاس ابشي.

لم يلقَ جوابًا، فسلَّط ضوء مصباحه بشكلٍ مفاجئ على الجسم الواقف قرب شجرة الطلْح، وكانت تلك الحركة المباغتة التي أربكت حسابات البرَّاني، فتوجَّه فورًا إليه حاملًا الصاعق الكهربائيّ، وتيقَّن بالخير أنَّ ما يُخرَّص موثوقٌ إلى جذع الشجرة، وأنَّ ما خُيِّل إليه أنَّه حزام ليس سوى حبل، وقبل أن يضرب الباب الكهربائيّ بالعمود، كان طفلٌ بملامح غريبةٍ يقترب منه مسرعًا، فسلَّط عليه ضوء المصباح صارخًا:

ـ بسم الله الرحمٰن الرحيم.. أنت إنس والَّا جنّ؟

كانت الصعقة الكهربائيَّة من يد الطفل هي الجواب الذي تلقَّاه، لكنَّه استطاع أن يضربه بقوَّةٍ قبل أن يسقطا كلاهما، ويُسمع صوتَ طائرةٍ من بعيد، ويعود البرَّاني أدراجه مترنِّحًا، ثم يتكوَّم على مقربةٍ من ما يُخرَّص.

t.me/yasmeenbook

20

تلقَّى وزير الداخليَّة شرحًا مفصَّلًا من الجملوديِّ عن مسار الأحداث، وكان ينظر بإعجابٍ خفيٍّ إلى مختور، وهو مستغرقٌ في البحث عن مخرجٍ تقنيّ من الأزمة.

يستخدم مختور ذاكرته في حفظ مسارات لغة أزوان البرمجيَّة، وهو يعرف أنَّ الرموز التي يكتبها على لوحة مفاتيحه العمياء تؤدِّي إلى تكوين نفقٍ رقميٍّ يخترق شبكة الاتِّصالات العالميَّة في نقاط ضعفٍ محدَّدة، ولكنَّه في هذه المرحلة يحتاج شاشةً عملاقة لمراقبة عمله، فقد بلغ درجةً من التعقيد، يحتاج فيها من يُطلعه على خريطة الاختراق، ولو كان ما يُخرَّص معه على الجانب الآخر من المحادثة لكفاه مؤونة ذلك.

كان الأمرُ سيكون أقلّ تعقيدًا لو لم يكن وزيرُ الداخليَّة موريتانيَّ الأصل، فهو يؤمن أنَّ الآخرين لن يفهموا شيئًا ممَّا سيظهر على الشاشة لارتباط لغة أزوان بالموسيقى الموريتانيَّة،

t.me/yasmeenbook

لكن ماذا عن الوزير؟

ـ محمود.. أينت أعدك بموريتان؟

ـ جاي منها الأسبوع الماضي.

ردَّ الوزير باقتضابٍ شديد، فأراد مختور أن يختبر علمه بالموسيقى الموريتانيَّة من دون أن يفهم أيٌّ من الموجودين ذلك.

ـ ذا اللي مشغول أنا فيه حالًا اسمو التقنزير.

رمى مختور كلمة اللهجة الحسَّانيَّة، التي تعني في معناها اللفظيّ محاولةَ فتح قفلٍ ضاع مفتاحه، فيُقال «قفل ما يقنزر» أي لا يمكن فتحه إلَّا بمفتاحه، لكنَّها في المعنى الموسيقيّ تُشير إلى معزوفةٍ موسيقيَّة في مقام ابتيت الجانبة الكحلة، المقام الختاميّ للطريق السوداء، أحد المسارات الثلاثة للموسيقى الموريتانيَّة.

ـ محمودة ذيك الحالة لمولانا.. ما اتليت بعيد توف.

لم يفهم أيٌّ من الحاضرين ما يعنيه كلام الوزير، فترجمته الحرفيَّة «تلك حال تُحمد لله، فقد اقتربت من الانتهاء»؛ ولكنَّ رسالته الموسيقيَّة وصلت إلى مختور على أكمل وجه، فـ «محمودة» اسم معزوفة تأتي بعد معزوفة التقنزير، ويعني ذلك أنَّ الوزير ضالعٌ في الموسيقى الموريتانيَّة بما فيه الكفاية ليفهم تلميح مختور.

خرج مختور من الباب الشماليّ للكوخ متوجِّهًا إلى سردابٍ يقود إلى غرفةٍ عالية التكييف، فيها كثير من الخوادم الإلكترونيَّة التي تعمل بأقصى طاقتها، وأخرج من جيبه وصلةَ يو أس بي وأدخلها يدويًّا في أحد الخوادم، ثم عاد إلى الكوخ، ليجد

t.me/yasmeenbook

الوجوه مكفهرَّة، والعرق يتصبَّب من جبين العنطلاويّ، ومدير الأمن الرقميّ يسدّ بقامته الفارعة بابَ الكوخ مُجْبِرًا الآخرين على الاصطفاف إلى الجانب الشرقيّ.

ـ قف هناك معهم.. انتهت اللعبة.. لن أسمح لك بتعطيل عمل البرَّاني.

ـ البرَّاني؟!

لم يسمع أحد من قبل هذا الاسم، ووحدهما الوزير ومختور يعرفان أنَّه مقام موسيقيّ يُعزف في ابتيت الجانبة الكحلة.

ـ من يكون البرَّاني؟

وضع مدير الأمن الرقميّ يده على أذنه كأنَّه يسمع كلامًا من سمَّاعة خفيَّة، وأشار بيده التي تحمل المسدَّس إلى مختور بالانضمام إلى الجماعة المستسلمة من دون حراك.

ـ يُخبرك البرَّاني أنَّ «ما يُخرَّص» تحت سيطرته، وأنَّ عليك التوقُّف فورًا عن محاولتك عرقلة عمله، أو ستفقده إلى الأبد.

ـ تقصد ما يُخرَّص؟

ـ لا أعرف اسمه، المهمّ أنِّي لن أسمح لك بالاستمرار في ما تقوم به.

ـ اسمع سيِّدي المدير، وزير الداخليَّة وأنا، نعرف عنك كلّ شيء؛ ما يهدِّدك البرَّاني بكشفه ليس أمرًا يستحقّ القضاء على الجنس البشريّ، زوجتك تعرف ماضيك الإجراميّ، إذا كان هذا ما يبتزّك به البرَّاني، لكنْ ما قيمة ذلك الآن، وقد كُشف الستر عن كلّ البشر.

t.me/yasmeenbook

ـ اخرس.. وقِفْ بمحاذاة زمرة الفساد هذه. فأنتم الوباء الذي دمَّر البشريَّة.

ـ ما ذنبي أنا..

قال العنطلاويّ الذي لم يعد قادرًا على التنفُّس بشكلٍ منتظم، فانطلقت رصاصةٌ من مسدَّس مدير الأمن الرقميّ محدثةً حفرةً في تربة الكوخ بين قدميْ مختور، وصرخت يالوندا بفزع صرخةً مدوِّية أربكت الجميع، فضغط مختور بسرعة زرًّا في أحد الأعمدة الخشبيَّة المشكِّلة للكوخ، فأوصد بابه بقوَّة وسقط من سقفه حاجزٌ حديديّ ضرب يد مدير الأمن الرقميّ مسقطًا مسدَّسه، واخترقت رصاصةٌ أخرى سترة الجملوديّ من دون أن تلامس جسمه، واستقرَّت في خشب الكوخ.

قفزت يالوندا إلى مختور باحثةً عن الأمان في حضنه، فتجنَّبها متوجِّهًا إلى مدير الأمن المحشور في مساحةٍ لا تسمح له بالحركة، وقد شجّ الحاجز الحديديّ جبهته وأدمى ساعده.

ـ تبًّا لك.. ألم يأمرك الوزير أن تتخلَّص من كلِّ الأجهزة الإلكترونيَّة!

قال مختور موجِّهًا فوَّهة المسدَّس إلى حلق مدير الأمن الرقميّ، وساحبًا سمَّاعةً من أذنه، ليُخرج جهاز اتِّصالٍ صغير مرتبطًا بها ومثبّتًا في سروال المدير.

ـ اسمع أيّها البرَّاني.. أو أيًّا تكن! أنا من خلق ما يُخرَّص، وأنا من اكتشف لغة أزوان، ولست قادرًا على ابتزازي بشيء.

ـ أستطيع أن أدمِّر حصيلة عمرك في لحظةٍ واحدة، هل

t.me/yasmeenbook

يمكنك أن تمنعني الآن من حرْقِ خيمة بالخير ولد معطى الله بمن فيها. هل ستكون سعيدًا بذلك؟

لمعتْ في ذهن ما يُخرَّص فكرةٌ عظيمة؛ عليه أن يجد وسيلةً للتواصل مع بالخير.

ـ افعل ما تراه مناسبًا.. تبًّا لك.

قطع الاتِّصال ضاربًا جهازه على الحاجز الحديديّ الذي يضغط على وجه مدير الأمن الإلكترونيّ، وصرخ في الجميع أن يخرجوا من الباب الشماليّ.

ـ تبًّا للتخلُّف! بالخير لم يخرج في حياته من دائرة قطرها أربعة كيلومترات، ولم يسمع كلمة كهرباء قبل تسييج المزرعة، ولم يستخدم هاتفًا في حياته، ولا وسيلة للتواصل معه.

قال مختور ذلك في نفسه وهو يخشى أن ينفِّذ البرَّاني وعيده، فلم يجد أمامه حلًّا سوى إنقاذه بنفسه.

خرج الأربعة مذعورين، والعنطلاويّ يكاد لا يصدِّق أنَّه رأى أخيرًا مختور يستشيط غضبًا.

تبعهم مختور متجاهلًا استغاثة مدير الأمن الرقميّ وتوسُّله أن يفرج عنه، وهو غير قادر على أيِّ حركة.

ـ علينا مغادرة الجزيرة فورًا.

قال مختور وهو يُمسك بيده هاتفه قديم الطراز مستمرًّا في الضغط على أزراره.

t.me/yasmeenbook

ـ إلى أين؟

سأل وزير الداخليَّة فيما التزمت البقيَّة الصمت.

ـ إلى مزرعتي في أقصى الشرق الموريتانيّ.

تأكَّد مختور أنَّ البرَّاني هو الروبوت الصغير الذي رآه في الصورة.

عرف ذلك حين سمع صوتَ بقرته «محجوبة» تخور في خلفيَّة مكالمته مع البرَّاني، وهذا يعني أنَّ مخاوفه تأكَّدت، فما يُخرَّص صنع فعلًا البرَّاني، وربَّما فقد السيطرة عليه، وعليه الدخول يدويًّا إلى الخوادم المركزيَّة في المزرعة ليعرف حجمَ الضرر الحقيقيّ الذي أحدثه هذا التجاوز الآليّ لتعليماته.

ـ اسمع يا زلمة.. أنا ما ليش طاقة للسفر إلى النعمة.. راح ابقى هنا واللي كتبو ربّك يصير.

ردَّ العنطلاويّ مستسلمًا لقدره.

لم يعلِّق مختور على مديره البدين الذي بالكاد يستطيع الحركة، وتوجَّه فورًا إلى المروحيَّة التي تركها مدير الأمن الرقميّ في وضعيَّة الاستعداد.

ـ هل تعرف قيادة المروحية؟..

سأل وزير الداخليَّة بنبرةٍ محايدة.

ـ تعرف أنِّي أعرفها.. أفرغ وقود مروحيَّة قناة 360 نيوز نتوورك في خزَّان طائرة وزارة الداخليَّة، ستكون الكمِّيَّة كافيةً

t.me/yasmeenbook

للوصول إلى النعمة. هناك خرطوم تحت الأشجار، استخدمه في التحويل.

ردَّ مختور بصرامة على سؤال الوزير، الذي كان تسريب مختور لمعرفة الرقميّ سببًا في اعتقاله صباح اليوم للإفراج عن العنطلاويّ، وأمره بكلِّ جرأة أن يقوم بالعمل، فتوجَّه فورًا إلى طائرة قناة 360 نيوز نتوورك، فاتحًا خزَّانها، وواضعًا طرف الخرطوم في فمه وساحبًا بكلِّ قوَّة نَفَسِه الوقودَ إلى خزَّان طائرة وزارة الداخليَّة، في طريقةٍ بدائيَّة ما زال أهل موريتانيا يستخدمونها لتفريغ براميل المياه.

كان الأربعة يضعون أحزمتهم: يالوندا في المقعد الأماميّ بجانب مختور، والجملوديّ ومحمود ولد هاشم في المقاعد الخلفيَّة، والعنطلاويّ يلوِّح مودِّعًا. وحين ارتفعت المروحيَّة العموديَّة خمسة أمتار عن الأرض مثيرةً الغبار، دوَّى صوتُ انفجارٍ قويّ في الغابة، وسُمع إطلاق رصاص؛ ومع ارتفاع المروحيَّة إلى علوٍّ مرتفع، تبيَّن أنَّ مئات الأشخاص يجوبون الغابة متوجِّهين إلى كوخ مختور، وكلٌّ منهم يحمل ما يستطيع أن يضرب به.

خلال نصف ساعة، كانت الجموع تهجم على الكوخ داهسةً العنطلاويّ من دون تمييز، ومحرقةً الكوخ من دون انتظار فتحه لمعرفة من فيه، وصرخات مدير الأمن الرقميّ تستجدي الغوغاء للصفح عنه، وتلوح في ذهنه الصورةُ التي وصلت إلى هاتفه صباح اليوم، وهو يتحرَّش بجسد طفلةٍ صغيرةٍ في حديقة عامَّة، مستغلًّا غفلة أمّها.

t.me/yasmeenbook

ومن نافذة الطائرة، تبدَّت مدينة نواكشوط خَرِبةً تشتعل فيها الحرائق من كلِّ الجهات، وكذلك الحال في المدن الواقعة على طريق الأمل الرابط بين نواكشوط ومدينة النعمة. وحدها القرى والبوادي التي لم تصلها بعدُ تغطيةُ شبكة الاتِّصالات كانت تعيش حياةً طبيعيَّة من دون أن يكون لها علمٌ بالانقلاب الذي حدث في كوكب الأرض.

تأمَّلت يالوندا المناظر الطبيعيَّة لهذا البلد الذي لم يخطر على بالها أن تزوره، وتراءت لها من بعيد خيامٌ توقَدُ أمامها نيرانُ قبيل الغروب، وأطفالٌ يلعبون فوق كثبانٍ رمليَّة، وأعدادٌ غفيرة من أصناف الحيوانات أبقارًا وأغنامًا وإبلًا تعود إلى مرابع أهلها من دون الحاجة إلى من يسوقها.

ـ أظنّ أنِّي سأعيش في هذه الأرض يا مختور.

قالت يالوندا وهي تتأمَّل المشاهد من السماء، ولا أحدٌ لفت انتباهه عبورُ طائرةٍ مروحيَّةٍ للأجواء الموريتانيَّة من دون إذن، فموظَّفو أبراج المراقبة لديهم ما يشغلهم عن هذا.

وحين كانت الطائرة تحوم فوق مدينة تنبدغة الواقعة على بعد مائة كيلومتر من مزرعة مختور تنهَّد وزير الداخليَّة مستشهدًا بمقطعٍ شعريّ من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة:

ذاك «التجال» وذاك زاد المظلم «راس أموره»[1]

ـ هل أنت من أهل الشرق، سيِّدي الوزير؟

(1) التجال وراس أموره. أسماء أماكن في ولاية الحوض الشرقيّ الموريتانيَّة قرب مدينة تنبدغة على بعد مائة كيلومتر من مدينة النعمة عاصمة الولاية.

t.me/yasmeenbook

سأل مختور الوزير قاطعًا عليه تأمُّله في المناظر التي منحتها النيرانُ الموقدة أمام الخيام المتناثرة مشهدًا أقرب إلى انعكاس السماء في هذه الليلة المظلمة، وكأنَّ الكثبانَ الرمليَّة البيضاء المزيَّنة بآكامٍ متفرِّقة مجرَّد مرآةٍ تسمح للسماء أن تعانق الأرض.

ـ نعم يا عزيزي.. وُلدتُ هنا على هذه الأرض، شمال التجال المذكور في الشعر السابق، لكنَّ الأقدار والطموح ساقاني إلى الجزيرة المعزولة، فقد كنت نابغة في العلوم الأمنيَّة متخرِّجًا من أكاديميَّة العلوم الأمنيَّة في بغداد أيَّام ازدهارها. وحين عودتي، ساءت العلاقات الموريتانيَّة العراقيَّة، فسُرِّح كلّ من له صلة ممكنة بالجامعات والمدارس العراقيَّة من الجيش، فوجدت نفسي مرغمًا على البحث عن مكانٍ آخر، ولم تكن فيوتسيتي حينها قد ازدهرت كما هي عليه الآن، كان ذلك بعد خمسة أعوام من انشقاق البحر عن الجزيرة، فقرَّرت التوجُّه إلى هناك.

استرسل الوزير في الحديث عن تجربته المهنيَّة، ونسجه علاقاتٍ قويَّة ومتشابكة مع اتِّحاد العقول المهاجرة، والاتِّحاد العالميّ للشركات التقنيَّة، مكَّنته في الأخير من تقلُّد منصبِ وزيرِ الداخليَّة في فيوتسيتي.

وحده حمُّود الجملوديّ ظلَّ صامتًا طوال الرحلة، وذهنه مشغولٌ بمصير مستقبله ومستقبل عملة تيكوين التي يملك منها مبالغَ طائلةً تجعله ضمن العشرة الأغنى في العالم، لكنَّها ثروةٌ رقميَّة مرتبطةٌ بالهواتف الذكيَّة ولا يمكن أن يشتري بها قطعة قماش لو احتاجها في هذه الأرض الخارجة عن سياق القرن الحادي والعشرين.

t.me/yasmeenbook

كان مؤشِّر الوقود يلمع منبِّهًا مختور على قرب نفاده، وطائرةٌ ترتفع قليلًا متجاوزةً جبل الراجاط أشهر جبل في ولاية الحوض الشرقيّ ـ خُلِّد اسمه لارتباطه بعزف المقام الأوَّل من مقامات المسار الثالث في الموسيقى الموريتانيَّة، مقام كرّ في الطريق العاقر، حيث تُروى قصَّة نوفل، تلك القصَّة التي مكَّنت مختور من الدخول إلى الأراضي الموريتانيَّة من دون الحاجة إلى جواز سفر أو بطاقة تعريف.

وبعد دقائق، كان صوت المروحيَّة مسموعًا ومستغربًا، وأضاء مصباحها القويّ محيطَ المزرعة مثيرًا الفزع في خيمة بالخير ولد معطى الله، فسارعت زوجته إلى اللحاق به إلى باب المزرعة، لتكشف الأضواء عن ما يُخرَّص مصلوبًا على جذع شجرة الطلْح وسط المزرعة، وقربه كومةٌ من البوليكربون تنتفض ثم تسكن.

وقبالة باب الحديقة، استعاد بالخير وعيه بعد غيبوبةٍ قصيرة ليجد أنَّ الطائرة نزلت وسط الحديقة وخرج منها أربعة أشخاص، أحدهم يلبس درَّاعةً لكنَّ شعره طويل.

ـ ذاك مختور...؟ السلام عليكم.. ذاك مختور؟

نادى بالخير مستفهمًا، ومتجاهلًا صوت زوجته التي جاءت مسرعةً لمعرفة ما حصل.

ـ نعم.. ذاك بالخير..؟ ادخل جاي.. جاو معاي ضيوف.. تفضَّل.

دخل بالخير وزوجته لأوَّل مرَّة باب المزرعة المحصَّنة،

t.me/yasmeenbook

وتوجَّه طفلاهما إلى الطائرة منبهريْن بهذا الكائن الغريب الذي نزل من السماء.

فيما سارع بالخير وزوجته إلى البيت فورًا من دون انتظارِ إذنِ مختور، وشرعا في إخراج الفراش ينشرانه مرحِّبَيْن بالضيوف.

وما يُخرَّص ينظر إليهما صامتًا، لا يعرف ما الذي يتوجَّب عليه أن يفعل!

t.me/yasmeenbook

21

أشرقت شمسُ يومٍ جديد على المزرعة المُحاطة بسياجٍ مكهرب في سهلٍ ممتدّ، تطلّ عليه من بعيد سلسلةُ جبالٍ يتقاصر ظلّها فور بزوغ قرص الشمس، وكان بالخير ولد معطى الله يعلِّق معزته الداجن الوحيدة التي يملك في جذع شجرة الطلْح وسط المزرعة، بعد أن جرَّها مذبوحةً إلى المكان مخافة أن يمنعه مختور من ذبحها، وبدأ الجميع يستوعب كينونته في هذا الفضاء الغريب على اثنيْن على الأقلِّ من الضيوف القادمين من جزيرة فيوتسيتي.

فتح حمُّود الجملوديّ عينيْه بصعوبة وهو يتمدَّد كاشفًا اللحاف عن وجهه المجهد من السهر الطويل ليلة البارحة:

ـ كم الساعة الآن..؟ لم أنم بهذا العمق في حياتي من قبل، هذه أوَّل مرَّةٍ أنام وليس فوقي سقف.

ـ إنَّه وقت ظهور الشمس... لا أحد يهتمّ بتحديد الوقت على وجه الدقَّة هنا.

t.me/yasmeenbook

ردَّ مختور مبتسمًا، وهو يمدّ حصيرًا طويلًا من جريد النخل ملوَّن الحوافّ، تتدلَّى من طرفيْه أهدابٌ جلديَّة، غرب المنزل، واضعًا عليه وسائدَ مزخرفةً، وسجَّاداتٍ من الجلود الوبرة المدبوغة.

نظر إلى يالوندا الغارقة في نوم عميق، وقد غطَّت كامل جسمها بلحافٍ خفيف، متَّكئةً على جنبِها الأيسر وقد أظهرت تلك الطريقة تضاريسَ جسمها المنحدرة من ساقيْها المضمومتيْن إحداهما فوق الأخرى مشكِّلتيْن ارتفاعًا يزيد على ثلاثين سنتيمترًا عن سطح البحر، مرتبطتيْن بمرتفع ضعف ذلك، يليه منخفضٌ ثم مرتفعٌ ينتهي بعنقها الممدَّدة على الوسادة شاغلة نصف عرضها.

ـ اشحال الصباح.. إيَّاك ما تعبكم السهر البارح؟

قالت خديجة زوجة بالخير ولد معطى الله وهي تدخل باب المزرعة الشرقيّ، حاملةً على رأسها قِدْرًا كبيرة وفي يدها بعض الأواني وجرابًا قماشيًّا فيه بعض الملابس الجديدة، ويتبعها ابناها، كلّ واحدٍ منهما يحمل شيئًا من أدوات المطبخ.

ـ صباح الخير ما شاء الله.. ألا اسمحوا لنا الفزعة اللي أفزعناهم بها البارح.

ردَّ مختور معتذرًا عن أحداث الليلة الماضية، وهو يشير بيده ليدلّ حمُّود الجملوديّ على الحمَّام في أقصى الزاوية الشماليَّة الغربيَّة من المزرعة.

ـ لماذا حمَّامكم بعيد هكذا؟

ـ إحمد ربّك أنَّ لدينا حمَّامًا، فأهل هذه الأرض ما زالوا على علاقةٍ وطيدة مع الطبيعة.

t.me/yasmeenbook

قال ذلك مبتسمًا وهو يومئ برأسه إلى وزير الداخليَّة محمود ولد هاشم العائد من سفح الجبل، وهو يحمل في يده مقراجًا نحاسيًّا قديمًا، وينتزع من شجرة بشام غصنًا يجرِّده من أوراقه الخفيفة ويمضغ أحد أطرافه متَّخذًا منه مسواكًا.

ـ وين ما يُخرَّص؟

سألت خديجة عندما لم تلاحظ وجوده بينهم.

ـ ما يُخرَّص لم يعد موجودًا.

ـ لا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.. رحمه الله، كيف مات؟

ضحك الجميع من بساطة تفكيرها، حتى وهي تسمع حديثهم الليلة البارحة عنه وعن البرَّاني الذي تحوَّل إلى لعبةٍ لأطفالها، لم تستوعب بعد أنَّه مجرَّد دمية بلاستيكيَّة.

ـ قلنا لك البارح إنُّو ما هو إنسان..

ردَّ عليها زوجها بالخير ولد معطى الله وهو ينظِّف جوف معزته الوحيدة ويضع أعضاءها المقطَّعة على جلدها، محاولًا إظهار نفسه بمظهر الفاهم لمجريات الأمور.

ـ أنت أش فاهم لذا..؟ تعرف عنُّو كان صاحبك.

ـ كان صاحبي حقّ، لكنُّو ما كان يشرب أتاي[1]، أنا بيظاني ما يشرب أتاي نعتبر عنُّو ما هو طبيعي.

ـ ركِّز أنت على همِّك.. خلِّي عنك التخراص[2].

---

(1) أتاي هي تسمية الشاي في اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة.

(2) التخراص كلمة من اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة تعني إمعان النظر.. فكلمة خَرَّصْ بتشديد الراء وتسكين الصاد تعني انظر.

t.me/yasmeenbook

قاطعته خديجة بنبرةٍ زاجرة، حين لمحته يسترق النظر بطرف عيْنه إلى يالوندا المستيقظة لتوِّها وشعرها الأشقر منسدلٌ على كتفيْها العريضيْن، وصدرها يرتجّ بهدوءٍ مع كلِّ حركة.

ـ وهاي يمي نلبسك ملحفة.. ذو الرجالة عيْنهم طايرة.

خاطبت خديجة يالوندا بكلامٍ بدا لها أسرع ممَّا تستطيع استيعابه، فلغتها العربيَّة ليست بالمستوى الذي يسمح لها بفهم اللهجة الحسَّانيَّة الموريتانيَّة حين تكون بهذه السرعة، إلَّا أنَّ الوزير محمود ولد هاشم العائد من سفح الجبل تدخَّل شارحًا ليالوندا أنَّ خديجة تلقي عليها تحيَّة الصباح، وتعرض عليها الدخول إلى البيت لتجنُّب وهج الشمس.

ـ لا، أنا قلت لها تلبس ملحفة[1].

ردَّت خديجة معترضة على ترجمة الوزير غير الأمينة لكلامها، فأشار إليها أنَّ عَرْضها يفترض أن يسبقه سلامٌ ومجاملة، ليست من طبيعتها البدويَّة.

لم يظهر على يالوندا أنَّها منزعجةٌ من الجدال القصير، وأبدت تفهُّمًا لرغبة خديجة في إلباسها اللباس الموريتانيّ المسمَّى الملحفة، وهو لباس خاصّ بالنساء.

رافقتها إلى الحمَّام الداخليّ بعدما أشار عليها مختور بذلك، وحين خرجت منه ألبستها ملحفةً جديدةً لازورديَّة على فستانٍ

---

(1) الملحفة هي لباس المرأة في الفضاء البيظانيّ الممتدّ من جنوب المغرب مرورًا بالصحراء الغربيَّة وجنوب الجزائر وشمال مالي والنيجر وكلّ موريتانيا، وهي شبيهة إلى حدٍّ ما بالثوب النسائيّ السودانيّ.

t.me/yasmeenbook

أبيض يغطّي من كتفها حتى قدميْها.

كانت يالوندا تضحك وهي ترى هذه المرأة البدويَّة تُعطيها لباسًا جديدًا جاءت به من خيمتها، وتُلبسها إيَّاه من دون السؤال عن رأيها في الأمر، لكنَّها حين نظرت إلى نفسها في مرآة خزانة غرفة النوم، رأت امرأةً أخرى.

ـ واااو إنَّه جميل.. شكرًا لك يا خديجة.

ـ أنتِ جميلة.

ردَّت خديجة وهي تخشى أن تلفت السيِّدة الروسيَّة التي تجاوزت الأربعين نظر زوجها.

ـ أنتِ كم عمرك؟

سألت يالوندا محاولةً استخدام لغةٍ عربيَّة قريبة من الفصحى؟

ـ عمري فوق الأربعين، إذا لم أتزوَّج هذه السنة لن تكون لي فرصة في الإنجاب.

عزَّزت الإجابة مخاوف خديجة، لكنَّ وزير الداخليَّة قاطعها وهو يقف قرب باب البيت مناديًا عليها أن تخرج العروس.

ـ تبدين مثل العروس!

قال وزير الداخليَّة وهو يمسك يد يالوندا محاولًا مساعدتها في المشْي بالملحفة المتدلِّية على أقدامها، والتي تُمسك طرفها العلويّ بيدها.

ـ هل هي زوجتك؟

سألت خديجة فارضةً سيطرتها على المشهد.

t.me/yasmeenbook

ـ ما عندي حظّها.

ردَّ الوزير وهو يقود يالوندا إلى المجلس المنعقد في الظلِّ الغربيّ للبيت، ونسمات الهواء البارد، تُميدُ أغصانَ أشجارِ الطلْح والقتاد، والغزلان تتقافز في محيط المزرعة، والطيور تعزف موسيقى الصباح الجميل، والعُجول ترفع رؤوسها من زريبتها في توْقٍ إلى من يُخرجها لترعى.

ـ هذا هو التجلِّي الأوضح لنظريَّة أثر الفراشة.

قال حمُّود الجملوديّ وهو يرتشف كأسًا من الشاي وينظر إلى العُجول في زريبتها.

ـ كيف ذلك؟

سأل وزير الداخليَّة وهو يمهِّد الطريق بإزاحةِ وسادةٍ عن مسار يالوندا لتجلس على السجَّاد الوبريّ مسندةً ظهرها إلى الحائط ومحوِّلةً أنظار الجميع إليها، وفي نفسها شيءٌ يسير من الخجل، وكأنَّها تقابل هؤلاء الرجال أوَّل مرَّة، أو كأنَّها في صبيحة اليوم الأوَّل بعد عرسها.

ـ لولا أنَّ عجول مختور رضعوا حليب أمَّهاتهم مساءَ أمس، لما كنَّا اكتشفنا شيئًا عن البرَّاني، ولا استطعنا وقفَ الهجمةِ الممنهجة لنظامه، ولما كانت يالوندا تلبس ملحفة.

ضحك الجميع موافقين الجملوديّ رأيه.

ـ ما الذي سنفعل الآن؟

سألت يالوندا وقد تذكَّرت أنَّ وظيفتها تقييم المخاطر الرقميَّة، وهي الوظيفة التي لن يحتاجها أحدٌ هذا اليوم، فشبكة

t.me/yasmeenbook

الإنترنت في كلِّ أنحاء العالم متوقِّفةٌ الآن.

خلال محاولتهم وقف الهجوم الإلكترونيّ ليلةَ البارحة، اكتشف مختور والجملوديّ أنَّ البرَّاني زرع نفسه في كلِّ الأجهزة الإلكترونيَّة المرتبطة بالإنترنت، وكان الحلّ الوحيد لإنقاذ العالم هو شنّ هجوم حجب الخدمة DoS يستهدف جميع مراكز الإرسال في كوكب الأرض؛ ولحسن الحظّ، فإنَّ خوارزميَّة مختور التي تركها في غرفة خوادمه بالجزيرة استطاعت أن توفِّر جهدًا كبيرًا في هذه العمليَّة، فالغوغاء الذي أحرقوا كوخه لم يصلوا إلى السرداب المؤدِّي إلى غرفة الخوادم لأنَّه كان متقنَ التمويه، ويتلقَّى الإرسال من قمرٍ صناعيّ خارج مدار الأرض مصمَّمٍ لرصد الزلازل.

وعند وصولهم إلى المزرعة، ربط مختور خوادم مزرعته الكبيرة بخوادم الجزيرة، وخلال ثلاث ساعاتٍ من العمل المكثَّف باستخدام لغة أزوان البرمجيَّة، توقَّفت جميع خدمات مزوِّدي الإنترنت حول العالم، ولم يعد الخطر قائمًا.

ـ دعي البشر يجرِّبون يومًا بلا أنترنت.

ردَّ الجملوديّ باختصار على تساؤل يالوندا، ولاحظ أنَّه قال ذلك بنبرةٍ خالية من الحزن، على الرَّغم من أنَّه أكثر من يُدرك ما سيترتَّب على ذلك من خسائرَ للبشريَّة، وأنَّه صاحب اختراع نظام باي يور سلف الذي لا قيمة له من دون الإنترنت.

لكنَّه الآن، في هذا المكان الذي لم يسمع أهله كلمة إنترنت في حياتهم، لا يهمّه أيّ شيءٍ من ذلك.

ـ عليهم أن يجرِّبوا توقُّفَ الزمن، أن يستكشفوا الحياة خارج

t.me/yasmeenbook

القرن الحادي والعشرين.

مدَّ مختور يده إلى مسجِّلٍ قديم ثنائيّ الأشرطة، وضغط زرّ التشغيل، فانسابت نغمات الفنَّان العظيم الراحل الشيخ سيِّد أحمد البكاي ولد عوة.

في الوقت ذاته، وفي أحد الأنفاق اللوبيَّة الغائرة في شبكةٍ معقَّدة تبدأ من تحت المنزل إلى عمق جبل الشامة، كان يدور روبوت صغيرٌ بحجم اليد يبحث عن مخرجٍ من المتاهة، فخلال الساعات الثماني الماضية، انقطع تواصله مع البرَّاني، ومع شبكة الخوارزميَّات المنتشرة في أنحاء الأرض، وفي دورانه قرب الفتحة المؤدِّية إلى قمَّة الجبل، حيث ركَّب ما يُخرَّص قبل سنواتٍ هوائيًّا شديد الإتقان، قويّ الالتقاط، صغير الحجم، وقف أخيرًا ساحبًا طرفَ خيطٍ يتدلَّى من اللاقط، وشدَّ لولبه إلى صدره، وجلس يتأمَّل ما يجري.

لم يعثر على أيِّ إشارةٍ من أيِّ أحدٍ على وجه الأرض، بحث عن أيِّ بثٍّ عبر التردُّدات المحتملة في الموجات القصيرة والمتوسِّطة فلم يصله سوى خرخشاتٍ متقطِّعة، وكأنَّ العالم توقَّف فجأة.

ـ من سيأكل كلّ هذا؟ الله يعطيك العافية.

سأل الجملوديّ مستغربًا من الكمِّيَّة الكبيرة من اللحم المشويّ التي تتضمَّن كتفًا وعضديْن وأربعة أذرع ونصف عدد الأضلاع، فضلًا عن رِجلٍ وورِكٍ وكبدٍ مفروش بطبقةٍ من الشحم، وقد وُضعت كلّها في صينيَّةٍ كبيرة الحجم، جاء بالخير ولد معطى

t.me/yasmeenbook

الله يحملها بعد اكتمال شوائها على نارٍ هادئة في الجانب الجنوبيّ من المزرعة قرب أحواض الخضروات.

ـ جزاه الله خيرًا، بالخير ذبح الشاة الوحيدة التي يملك قبل أن نستيقظ، وأصرَّ أن تكون ضيافتكم اليوم من خيمته، وزوجته تتولَّى شؤون البيت منذ الصباح.

قال مختور مشيدًا بكرم بالخير الفطريّ، فمثله لا يرضى أن ينتظر أوامرَ لإكرامِ ضيوفه.

ـ هذا كرمٌ كبيرٌ منه، وزوجته اليوم جاءتني بهذه الملابس وأصرَّت أن تتولَّى إلباسي الملحفة، وتدريبي على التعامل معها.

ـ ذاك لأنَّها تغار على زوجها من رؤيتكِ عارية.

علَّق وزير الداخليَّة محمود ولد هاشم مازحًا، وهو يتولَّى بنفسه تقطيعَ اللحم للضيوف، ويقدِّم القطعةَ الليِّنة إلى يالوندا.

ضحك الجميع من تعليقه، وطأطأ بالخير رأسه خجلًا من نظر السيِّدة ذات العيون الخضراء، فهذه أوَّل مرَّة يرى فيها عيونًا بهذا اللون، ولم يكن يصدِّق كلام أهل المدينة عن وجود بشرٍ بعيونٍ ملوَّنة، لكنَّه رآها بنفسه الآن، وذلك ما جعله يسترقّ النظر إليها صباح اليوم قبل أن تزجره زوجته المتحكِّمة.

ـ لكنِّي لم أكن عارية، كنت ألبس طقمًا كاملًا ودرَّاعة واسعة!

علَّقت يالوندا منزعجةً من وصفها بهذه الصفة من طرف وزير الداخليَّة.

ـ هنا، أيّ امرأة لا تغطِّي رأسها يسمُّونها عارية، وهذا

t.me/yasmeenbook

منتهى العريّ عندهم، أنتِ في موريتانيا ولستِ في موسكو.

وكأنَّ كلمة موسكو أعادتها إلى ذكريات جلسةٍ جرت قبل عشرين سنة، فالتفتت إلى مختور، وقالت:

ـ لديَّ شيءٌ يُثقل صدري وأريد أن أقوله لك، ومنذ عرفتك أمس وأنا أحاول إيجاد الصيغة المناسبة.

ـ لا تجعلي شيئًا يتحكَّم فيكِ، رأيتِ ما فعلت الأسرار بالبشريَّة أمس.

قاطعها الجملوديّ وهو يستحثّها على الحديث، ومختور ينظر إليها وهي ترفع مضغةً إلى فيها ذي الشفتيْن المكتنزتيْن.

ـ أخي كان هو من سرق حقيبتك التي كنت تحمل في المقهى يوم لقائنا، وربَّما يكون هو من سبَّب لك غيبوبةً، لكنَّه لقي جزاءه، قُتل برصاص عصابةٍ في موسكو في الليلة ذاتها.

فتح الجميع أعينهم مستغربين دورةَ الزمن، كيف جاءت بسيِّدةٍ من موسكو إلى باديةٍ في ضواحي مدينة النعمة.

ـ كانت سذاجةً منِّي أن أحمل ثلاثمائة ألف دولار على ظهري متجوِّلًا في الشوارع، لكن ماذا تتوقَّعين من بدويٍّ مثلي؟ رحم الله أخاك.. وشكرًا لأنَّكِ كتبت اسمي على ورقة، فلولاه لما عرفت من أكون.

تحدَّرت دمعةُ امتنان من عيْن يالوندا، فوقف مختور للبحث عن منديل، وفي مدخل البيت، تعثَّر بهاتفه قديم الطراز، مرميًّا فاقدًا للشحن.

وضعه في قابس الطاقة الشمسيَّة وعاد إلى المجلس، ومدّ إلى

t.me/yasmeenbook

يالوندا المنديل، فنظرت إليه بامتنان، ولم تجد العبارة المناسبة!

عاد إلى غرفةٍ خلفيَّة من البيت محاولًا تجنُّب النظر إليها، ورجع يحمل معه حاسوبًا سلَّمه إلى الجملوديّ قائلًا:

ـ في هذا الحاسوب برنامج لشرح لغة أزوان البرمجيَّة، ستحتاج فترةً لفهم مصطلحاتها، وإذا استمعت إلى الموسيقى الموريتانيَّة ستكون الفترة أقلّ. يمكن لهذا البرنامج أن يحلّ كلّ المشاكل التقنيَّة للعالم، وسيُعيد إلى اللغة العربيَّة مكانتها، لأنَّ رموزه تعتمد الحرف العربيّ وليس اللاتينيّ.

ـ أنا سعيد لأنِّي لم أقبل عرضك في المؤتمر العلميّ في موسكو. لو فعلت، لما أُتيحت لي فرصة اختبار شواء بالخير.. شكرًا لك.

قدَّم الجملوديّ امتنانه المغلَّف بالاعتذار، ونظر إلى وزير الداخليَّة الذي كان مشغولًا بتقطيع اللحم، فيما كان مختور يقلب الوجه الثاني لشريط الفنَّان ولد عوة، وبالخير يضع الإبريق على النار لإعداد الشاي.

صَدَح الفنَّان الشيخ سيِّد أحمد البكاي ولد عوة بصوتٍ شجيّ:

أقول لأصحابي وقد طلبوا الصلا ... تعالوا اصطلوا إن خفتم القَرَّ من صدري

فقالوا نريد الماءَ نسقي ونستقي ... فقلتُ تعالوا فاستقوا الماء من نهري

فقالوا وأين النهرُ قلتُ مدامعي ... سيغنيكم دمعُ الجفونِ عن الحفرِ

تنهَّد وزير الداخليَّة محمود ولد هاشم تنهيدةً قادمةً من أعماق صدره، أتبعها بشهقةٍ قويَّة، وقال:

t.me/yasmeenbook

ـ ذي هي حالة الدنيا... لبتيت مقامٌ يُنذر بالفناء، ستتعلَّم معنى كلامي حين تتعمَّق في دراسة الموسيقى الموريتانيَّة، فالمجلس الموسيقيّ يبدأ بالبهجة، ثم الحماس، فالطرب، فالشجن، ويُختم بالذوبان شوقًا.

وجَّه الوزير كلماتِه الأخيرة إلى حمُّود الجملوديّ الذي لم يُخْفِ تأثُّرَه بغناء ولد عوة للأبيات المشهورة في الأدب العربيّ.

صبَّ بالخير الكأس الأوَّل بسرعةٍ فائقة، فقدَّمه إلى الجمع المنتشي بالمشهد الصباحيّ لبرِّيَّةٍ تلعب في مروجها الغزلان، قبل أن يرنَّ جرس التنبيه المزعج في هاتف مختور، ويذكِّر الجميع بما كانوا عليه قبل الوصول إلى هنا.

ـ أعطني هاتفي.

طلب مختور من طفل بالخير الذي يجرّ وراءه دميةً كانت قبل ساعاتٍ تتحكَّم في العالم.

فتح مختور هاتفه ليجد رسالةً نصِّيَّة تقول:

ـ سأقتلك.. أنترش.

ياسمين
قصص
روايات
t.me/yasmeenbook